

CA
353
H6T6A
v.1

ناتج العرب

(مَطْوَل)

بقلم

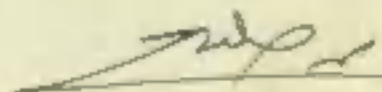
الدكتور فيليب حتي

الدكتور أدورد جرجي الدكتور جبرائيل جبور

الجزء الأول

١٩٤٩

دار المصنف للنشر والتوزيع



家

家

家

家

家

家

家

家

家

家

مقدمة

لقد وضع كتاب تاريخ العرب في الأصل باللغة الانكليزية وطبع اول مرة في مطبعة مكملان «Macmillan» في لندن عام ١٩٣٧ . ثم توالى طبعاته منذ ذلك العهد حتى بلغت اربعا آخرها سنة ١٩٤٩ . ونقل في خلال هذه السنوات الى اللغات الالمانية والافراسية والاوردية والتركية والحامرية جارية بشأن نقله الى غيرها من اللغات الاوربية والاسيوية .

لما هذه الترجمة التي تقدم الجزء الاول منها فقد قام بها اول الامر تلميذي وزميلي الدكتور ادورد جرجي الاستاذ للشارك في كلية برستون للاهوت . ولقد عرض القسم الاوفر من المخطوطة على ابيس انخوري المقدسي استاذ الادب العربي في جامعة بيروت الاميركية فتطاف وراجعه وهذاب بعض عبارته فله شكري الجزيل . واخيراً عهد الى تلميذي الدكتور جبرائيل جبور الاستاذ للشارك في الجامعة نفسها ان يحرر الكتاب ويساهم معنا في نشره فراجعه واقامه بدوره ووقف على طبعه وتعهده بعنايته الخاصة .

ولهذه الترجمة العربية ميزة خاصة وهي انه سيظهر فيها لأول مرة قسم جديد لم يظهر بعد في الطبعة الانكليزية اوفي اي من الطبعات الاخرى وهو القسم الذي يبحث تاريخ العرب منذ اول العهد العثماني حتى زماننا الحاضر .

ولعل القارئ يدرك ان يعرف ان للكتاب موجزاً ظهر عام ١٩٤٣ عن مطبعة جامعة برستون بعنوان «The Arabs : A Short History» . وقد أصدر المجلس العربي الاميركي منه طبعة خاصة للجيش عدد نسخها خمسون الفا . وفي عامنا هذا (١٩٤٩) اخرجت مطبعة برستون الطبعة الخامسة من الموجز . وكذلك اصدرت في العام القاتل مطبعة مكملان في لندن طبعة خاصة منه . ولقد نقل الموجز حتى الآن الى الاسبانية والبرتغالية والبولندية والعربية . وقد ظهرت الترجمة العربية عن دار العلم للملايين في بيروت عام ١٩٤٦ بعنوان «العرب : تاريخ موجز» ويسري الآن ان تكون دار الكشاف التي تولت طبع الموجز العربي لدار العلم للملايين هي نفسها التي تتولى اليوم نشر تاريخ العرب «الطول» وطبعه في مطالعها الحديثة .

فيليب صني

جامعة برستون
في ٢٥ تشرين الاول سنة ١٩٤٩

215

My dear Mr. [Name],
I have just received your letter of the 10th inst. and am
glad to hear that you are well. I am
also well and hope this letter finds you
the same. I have been thinking of you
very much lately and wondering how
you are getting on. I hope you are
all the same. I have been very busy
lately but I will try to write to you
more often.

I have been thinking of you very much lately
and wondering how you are getting on. I
hope you are all the same. I have been
very busy lately but I will try to write
to you more often. I have been thinking
of you very much lately and wondering
how you are getting on. I hope you are
all the same. I have been very busy
lately but I will try to write to you
more often.

I have been thinking of you very much lately
and wondering how you are getting on. I
hope you are all the same. I have been
very busy lately but I will try to write
to you more often. I have been thinking
of you very much lately and wondering
how you are getting on. I hope you are
all the same. I have been very busy
lately but I will try to write to you
more often.

فهرس المحتويات

القسم الاول - عصر ما قبل الاسلام

الفصل الاول - العرب ساميون ، الجزيرة مهد الجنس السامي ١٤-١
جدارة الموضوع - وولاد الجزيرة في العصر الحديث - الجزيرة مهد الجنس السامي .

الفصل الثاني - جزيرة العرب ٢٨-١٥
صفة الجزيرة - الاقليم - نبات الجزيرة - النخل - حيواناتها - الحيول العربية - الجبل

الفصل الثالث - حياة البدو ٣٧-٢٩
القبائل الرّحل - القزور - الندين - العشائر - المعينة - الشيخ .

الفصل الرابع - العلاقات الدولية الاولى ٦٢-٣٨
عرب الجنوب - العلاقات العربية المصرية - نحاس سيناء - اللبانت - اتصال العرب
بالسومريين والبابليين - توغل الاشوريين في الياضية - حملة العرب الكلدانيين والفرس :
نهاية - اتصال العرب بالعبرانيين - العرب في التوراة والانجيل - العرب في آداب اليونان
والرومان - الحقبة الرومانية - بلاد الطيوب - الذهب .

الفصل الخامس - الدولة السبئية وغيرها من بلاد العرب الجنوبية ٨٧-٦٣
عرب الجنوب وتجارتهم - النقوش العربية القديمة - الدولة المعينية - الدولة السبئية -
سد مأرب - الدولة الحميرية الاولى - الاحباش وأهلهم السامي - قصر محمدان - تحويل
تجارة العرب البحرية الى الرومان - دولة حمير الثانية - النصرانية واليهودية في اليمن -
حكم الاحباش - انفجار سد مأرب - عصر الفرس .

الفصل السادس - دولة الالباط وغيرها من دويلات شمال الجزيرة ولواسطها ١١٦-٨٨
الالباط - أصل الالباطية في سيناء - البغراء - مملكة تدمر - اذينة وزنوبيا -
الغساسنة - الدولة السورية العربية في ايام مجدها - المنذر ابن الحارث - زوال دولة
غسان - دولة لخم - الحميرة في ذروة زهوها - تنصر الاسيرة المالكة - كعدة .

الفصل السابع - الحجاز عشية ظهور الاسلام ١١٧-١٥٢
 العصر الجاهلي - أيام العرب - حرب البسوس - يوم داحس - لغزة الشمال العربية
 واثرها الكبير - عصر البطولة والغروسة - الشعر - القصيدة - المعلقة - الشعر الجاهلي -
 ما يكشفه الشعر الجاهلي من مكونات الطبع البدوي - البدوي والوثنية - مركز الشمس
 في نظام آلهتهم - الجن - بنات الله - الكعبة في مكة - الله - مدن الحجاز الثلاث :
 الطائف - مكة - المدينة ، - المورثات الثقافية في الحجاز : سبأ - الحبشة - فارس -
 أرض غسان - اليهود .

القسم الثاني - ظهور الاسلام ودولة الخلافة

١٥٥-١٦٨	الفصل الثامن - محمد رسول الله
١٦٩-١٧٥	الفصل التاسع - القرآن كتاب الله
١٧٦-١٨٨	الفصل العاشر - الاسلام دين الخضوع لأرادة الله
		العقائد - الأركان الخمسة : الشهادة - الصلاة - الزكاة - الصوم - الحج ، - الجهاد .
١٨٩-١٩٨	الفصل الحادي عشر - عصر الفتح والتوسع والاستعمار
		الخلفاء الراشدون - خلافة الراشدين - عصر الحكم الشيعي - الجزيرة لتوحيد - أسباب اقتصادية .
١٩٩-٢٠٨	الفصل الثاني عشر - فتح الشام
		معارات خالد في البادية - يوم اليرموك - إدارة شؤون الشام .
٢٠٩-٢١٤	الفصل الثالث عشر - فتح العراق وفارس
٢١٥-٢٢٥	الفصل الرابع عشر - الأسبلاء على مصر وعطرايس وبرقة
		مكتبة الاسكندرية .
٢٢٦-٢٣٦	الفصل الخامس عشر - ادارة للممتلكات الجديدة
		عهد عمر - الجيش - حنيفة المدنية العربية - اخلاق الخلفاء الراشدين .
٢٣٧-٢٤٧	الفصل السادس عشر - النزاع بين علي ومعاوية على الخلافة
		الخلافة الانتخابية - خلافة علي - معصوم الخلافة - الخلافة منصب سياسي .

القسم الأول

عصر ما قبل الإسلام

كتاب

الشيخ الفاضل

الفصل الاول

العرب ساميتون ابخرية مهد اجنيس السامي

مقدمة الموضوع

ليس بين كل البلاد التي تضاهي جزيرة العرب حجماً او بين كل الشعوب التي تناهز العرب في الاهمية التاريخية والسكينة العالمية بلد او شعب ناله من اهل الباحثين في العصور الحديثة ما نال الجزيرة العربية والشعب العربي .

فهنا بلاد تعادل ربع اوروبا او ثلث الولايات المتحدة مساحة ولكن ما نعرفه عنها ضئيل جداً لفا تقيس بما يحيط به ، بل لقد ازداد اطلاقنا نسباً على مجاهد للثقافة التجمدة الشامية والجنوبية بينما لا تزال معلوماتنا عن احوال القسم الاكبر من جزيرة العرب قليلة .

ولا كانت جزيرة العرب هي مهد الجنس السامي على ما يرجح فانها قد انشأت الشعوب التي نزلت فيها بعد الى الحلال انطصب هذه الشعوب التي اصبحت مع تعاقب الازمان امم البابليين والاشوريين والفينيقيين والعبرانيين . وفي ثروة هذه الجزيرة الرملية نشأت العناصر الأصلية للديانة اليهودية وبالتالي المسيحية وظهرت هذه الديانات والسجالات التي اصبحت تحكم التطور فيها بعد من فترات الحق السامي . ولما في العصور الوسطى قد اخرجت جزيرة العرب هذا الشعب الذي سيطر على معظم العالم للندن إذ ذلك وكانت مهداً لدين هو الاسلام يدين به في يومنا هذا ما لا يقل

عن ٢٧٥ مليوناً من الناس يمثلون شتى الاجناس البشرية ويعيشون في مختلف
البيئات . ان بين كل ستة أشخاص أو سبعة في عالمنا اليوم واحداً من اتباع محمد
وان دعوة المؤذن الى الصلاة لتجلبل في معظم ساعات اليوم الاربع والعشرين
معلوفة الشطر الاكبر من الكرة الارضية . وتتأق على هامة العرب تلك الهالة
الوهاجة التي تفتن دائماً باسماء القادحين العالمين ، فقد استطاعت هذه الامة في مدى
قرن واحد أن تنشأ دولة عظيمة واسعة الأرجاء بسطت سلطانها من شواطئ المحيط
الاطلسي الى تخوم الصين وفاقّت على امبراطورية رومة في اوجها . وفي اناء هذه
الحقبة من التوسع الذي لم يسبق له نظير استطاع العرب بواسطة الاختلاط مع الأمم
المملوكة « ان يكسبوا الى دينهم ولغتهم وشكلهم عدداً من أبناء هذه الأمم ما
استطاعت أمة قبلهم أو بعدهم أن تكسب مثله وتهضبه . ولا نستثني من ذلك
اليونان ولا الرومان ولا الالكولسكون ولا الروس » . (١)

ولم ينشأ العرب امبراطورية فحسب بل انشأوا ثقافة زاهرة أيضاً ، فقد ورثوا
المدنية القديمة التي ازدهرت على ضفاف الرافدين وفي وادي النيل وعلى شواطئ
البحر المتوسط الشرقية ، وكذلك نشرها واقتبسوا أهم معالم الثقافة اليونانية والرومانية
وقاموا مقام الوسيط في أن نقلوا الى اوروبا خلال العصور الوسطى كثيراً من هذه
المؤثرات الفكرية التي أنتجت بالتالي نقطة أوروبا العربية ومهدت لها سبيل نهضتها
الحديثة . ولم تعرف أمة ساهمت في العصور الوسطى في التقدم البشري بقدر ما
ساهم العرب والشعوب المتكلمة بالعربية .

وقد ظهرت ديانة العرب بعد اليهودية والمسيحية فاصبحت كالثالثة الديانات التوحيدية
وخاتمتها وهي من الناحية التاريخية تمت بأوثق الصلات الى هاتين الديانتين فكانت
أقرب الديانات اليهما على الاطلاق وهكذا فإن هذه الديانات الثلاث ليست الا
نتاجاً لحياة روحية واحدة هي الحياة السامية . ومن هنا هان على السلم المؤنس . اذا

(١) D.G. Hogarth, *The Penetration of Arabia* (New York, 1961) P. 7.

استثنينا بعض الاحوال - أن يسلّم بتعظيم ما تنطوي عليه العقائد المسيحية . وتقد
كان الاسلام ولا يزال عاملاً حياً يمتد أثره من مراكش الى افنداء وديناً وحياة للملايين
من الجنس البشري .

ثم ان اللغة العربية اليوم هي لغة الخطيب في قلوب من خمسة وأربعين مليوناً
من الناس وقد كانت طوال قرون عديدة في تصور البسطى لغة الفخر والثقافة
وانتمكر ارق في جميع أنحاء العالم حدث كان في كتب فهد في القرن
الثام والقرن الثاني عشر من تأليف النسبة وخطبة والتاريخية والدينية
والفلسفية والجغرافية أكثر ما كتب في أي لغة أخرى . وهذه لغات أرباب العربية
لا تزال الى الآن تحمل أثار الضعف العربي في مادة كبيرة من لسان المستعربة . وان
حروف الفباء العربية - من الالفية - هي أكثر الحروف انتشاراً في اعادة . وبمعدل
الحرف العربي في كلمة يعين التسوية والالفية وحدة لاوردو وطائفة من لغات
الترك والبربر والافار .

ان بوسطن ونيكساجين والكنز و - يدين شعوب أثبات تم رت ان العرب
والشكليون العرب في هذه الأمم ولا يزالون بعد ستة من اليوم كما كان في
موقع حضاري خطير على مستوى الأمم الحديثة . وهذه الخطب العظمى
الاولى التي تبت بعض هذه الشعوب ولا تزال حركات فهد في اليوم . وقد استطاعت
مصر ان تصبح دولة مكتبة مستقلة . وقد عرف ملكها في عهده هداد التي لم
تزل على عرشها ملك مد زمن عيسى . ولما لم يعودوا من الجزيرة العربية
اليوم منه ملكه عليه عبر على الاكثر من وسط الجزيرة العربية ولما حلها
الكنز . ان سور و - ان هذا الشعب جمهوريين مستأجرين وكنت - ان اول بلد
جمهوري عربي ولا تزال مستأجرين على الامم حرة في استقلالها من ايدي القاصدين .
ان نحو عرب قد عاد الى الصعود .

رواد الجزيرة في العصر الحديث

كان لأوروبا في عهد اليونان والرومن معرفة بشؤون الجنوب من جزيرة العرب فلقد ذكر هيرودتس وسواه ساحلها اقربى وكان اهم سبب لانتفاذ اليونان والرومن الى الجزيرة ان الجزء الجنوبي منها كان بلد اللبان والطيب والبحر وان سكانه كانوا همزة الوصل بينهم وبين اسواق الهند وبلاد الصومال ولكن أوروبا في اواخر العصور الوسطى الحديثة جهت بلاد العرب الى حد كبير وكان عليها ان تبعد اكتشافها في العصور الأخيرة من جديد، وكان اول من غامر باقتحامها فئة من الرواد والمرسلين المسيحيين والتجار وبعض القبط الفرنسيين والبريطانيين الذين التحقوا بالرحلات المصرية بين سنتي ١٨١١ و ١٨٣٦ وغيرهم من البعوثين السياسيين ورجال العلم .

وكانت اول من وصف بلاد العرب من العصور الحديثة هو كارستن سيوفر عضو البعثة الدنماركية التي انطلقت سنة ١٧٦١ ثم انهم اجدوا الاسبان فرار مكة في سنة ١٨٠٧ واظهر الاسلام وعرفه اقوامهم علي باب المندب وناقوا في اكرامه حتى أصبح له تعرف عليه كسبب لانت الحرام . ثم انهم اذ انزلوا زيارتهم انقلب بالخارج موسى فقد اعمل سنة ١٨١١ في بلاد اريانة جزيرة ولبس لاجبار رحلته آخر . ومن العرب ان سكتندو انحل في دولة المصرية التي جرت بقيادة طوسون باش تخلص محمد علي الكبير ثم انت في السنوات الامور في الدولة الممورة سنة ١٨١٥ . وقد قدم ابراهيم باشا وهو من القل والي مصر . باحضار الوهابيين في نجد سنة ١٨١٩ كانت في مدينته حط من الجيش البريطاني بدعي سادليز . بصفة مستشار خاص له .

وكانت الزمن - التي عرفت اليونان والرومن من قبل كثير من سواهم - اول اقطار الجزيرة التي جمدى غداون لكشفها ولم يغفوا كثير الى شؤونها المناطق الشمالية في الجزيرة على قارب اليمامة الى اليمن بحيث انت

الأوربيين الذين راجعوا هذه المناطق وكتبوا عنها لأخبار رحلاتهم لم يزد عددهم حتى يومنا هذا على النسي عشر .

وفي سنة ١٨١٢ كشف يوهن لودفيغ بركهاردت السويسري مدينة البتراء لعالم البحث ثم زار مكة وجدة متكرراً وقد استحل نفسه اسم إبراهيم ابن عبد الله وأجساد في وصف ما شاهده من الأماكن حيث ذكره بعد من استطاع أن يزد في ذلك . وبلغ فرح بركهاردت اليوم في القرارة الكبرى فتح جبل القلعة في القاهرة ولما عرف أوربا غير بركهاردت انك ما تحركه هذا الرحلة من العلم بثقافة مكة المكرمة قبل سنة ١٩٢٥ سوى الأستاذ سوك هورغرويه الذي زارها بين سنتي ١٨٨٥ و ١٨٨٦ وهو من علماء لندن سيولندية . وفي سنة ١٨٩٥ زار لهذا الرحلة فائدي سويدي مدعى جورج أوغسطس وبين تلميذ بعض الدراسات المعمقة وقد قيل ان محمد علي الكبير اوفده اليه - وهو من جنس في مدينة الاستنباط على الشام - لتلقيه بمهمة سياسية في مدخل حسن تون - وهو على الأرجح غير صحيح . وحدث ان تصرف لودويون كانت لهم مائة فدان من ارض في سنة ١٨٦٠ الى احدى منطقة شوك في احدى جزيرة فكت في هذا فدان شديداً رجالاً كبيراً بدى يوم غلبت بالعرف كان يسود في تون - وهو واحيط في سائر ارضه السوعية ونجم في مرسى رحلة حسن . وقد ذكر في تعريف انه يراد في قلب الجزيرة من الارض الكثير من حفر . وقد ذكر في تعريف في هذه الرحلة في ليدني اسم ركك وهو من اسم في هذا الجزيرة على ريو الكافيت وأعرف بفرس الجرينيزي . وفي سنة ١٨٥٣ كان بن الخويج في حرمين شرعين رجل أعرف بالخارج عدداً وهو في الواقع سير رائد تون في شير بنفسه كتاب " اب ليدني وليم " في " لغة الاسكيزية " ومن رواد شديداً جزيرة سيدان لوريندت احداهما الملاذي ان كانت وقد تمت بعد سنة ١٨٧٩ بسوء في ذلك بعثب متنوعة منها اشعث الشديداً بالحيول العرب . كذلك حارب لحيي الجزيرة سنة ١٨٧٥ تربط في

كان يعرف فيها بالنصرياني والإنكليزي اسمه تشارلز دوتي وقد دون أخبار رحلته
في سفر حنبيل اسمه « أسفار في الجزيرة الصحراوية » بعد أن أتمها أحد المؤلفات
الكلاسيكية في آداب لغتهم . أما كتب لويس النسي « أعمدة الحكمة السبعة »
فقد نال مصححة كبرى بين مؤلفات الآداب الحديثة التي عرفت بعد الحرب
العالمية الأولى . وحديثه في آداب الشرق يذكر بين الروايات المتأخرين العالم
التوسكانسوف في أوزموزيل الذي عني بدراسة المناطق الشمالية ، والكتاب
السوري الأميركي أمين الزين الذي قد كل سلوكة العرب ، والمدن التي زار
سكة والسنة بين سنتي ١٩٢٥ و ١٩٢٦ . ولا بد من الإشارة خاصة إلى مغامرة برترام
عمس التي كتبها الإنكليزي الغربي الذي انتقل في شهر شعبان من سنة ١٩٣١ أن
يعترف لربيع الخليل فكان أول من كتب عن سوريا منطقة حدد من المناطق
الكبرى المعروفة في سورية هذه سنت جون فلي المعروف بأخيه عبدالله
حين طرح خطوط سوريا في ٧ كانون الثاني من سنة ١٩٣٢ فطرح
الربع الثاني من سوريا إلى الغرب في القسم الجنوبي .

أما القسم الجنوبي الذي مهدت له سبيل الانحلال على ما أثارت حرب الجنوب أن
يذكره من قسمه وقد كتبت كثيره يهودي ومن - مد جوزيف هاليفي بين
سنتي ١٨٩٩ و ١٩٧٠ وهي عمودي مدني دورت عشر بين سنتي ١٨٨٢ و ١٨٩٢ .

و بعد ذلك الحرب المصرية من جانب لاكتشاف ولا بد من أنهم ما جسد
عليه من انداد في سنة ١٩١٦ خربة قدريم هو الجانب الغربية التي وصلت بعد
الاستيلاء والكتب على غزاة مدية متخذة لا بد في يد هذه السنة . ثم الأخبار
التي في الآداب لا غربي والآداب السيرة التي وردت في سياق المخطوط
من مخطوطات قديمة ومخطوطات شرقية في الرموز الجغرافية والمخطوطات الأسبانية
وكتبت مخطوطات جديدة التي تحت يمينه منذ عهد قريب .

عمولات العرب الأثرية - السامرة

إن العرب من بين الشعوب الباقيين الذين يمثلان الجنس السامي قد احتفظوا أكثر من اليهود بالميزات الطبيعية والخصائص العقلية لهذا الجنس . وأما تسميتهم فقل الرغم من أنها أحدث اللغة السامية آراءاً فإنها قد احتفظت بعناصر اللسان السامي الأصلي . بما في ذلك التعريف - أكثر مما احتفظت العبرية وإخوانها من اللغات السامية الأخرى . ومن هنا كانت اللغة العربية أحسن مدخل للدراسة اللغات السامية . وكذلك بنيت الدراسة السامية في الإسلام كله الطبيعي . وقد أصبحت نقطة سامي في أوروبا وأمريكا ذات مدلول يهودي قبل كل شيء . ولعل مصدر ذلك هو كثرة انتشار اليهود في هذين القروين ، أما الملامح الخاصة التي سماها الأفرنج سامية ومنها بروز الألف فليست سامة بل هي من مميزات اليهود إذا فسرنا بمرجع العرف السامي الأخرى ونسبه قد اكتسبوه قديماً من الحثيين والخورين حين اختلطوا بهم (١) .

والعرب في تلك عرب الجزيرة والبدو منهم نوع خاص هو خير من يمثل السلالة السامية من السامي السيلوية والسبية والاجتماعية والقوية راجع إلى المزايا الجغرافية والسفلى الحياة المتروكة في الصحراء فكان البدوة السامية هي السكينة التي تمنحها "بيئة لفترة شديدة التكرار كسبت" التي في أوسط جزيرة العرب . ولقد أصاب العرب في تسمية بلادهم جزيرة العرب فهي جزيرة حلقاً تحيط بها المياه من جهتي الشمال والشرق من جهة واحدة وحتي هذه الجزيرة مثلاً للعلاقات التي لا تنقطع بين السكان والقرية . وإذا كانت قد حصلت هجرات سافرة إلى هذه الجزيرة نتيجة موجات الاستعمار القديمة التي يدفع بعضها الآخر أو يغمره كما حدثت في الهند واليونان وإيطاليا والولايات المتحدة فليس التاريخ ما يخاف أن نقرأ عن هذا

(١) J. H. Breasted, *Ancient Times* (New York, 1916) pp. 216 - 17. (٢) E. A. Speiser, *Mesopotamian Origins* (1930) pp. ١٤٤ و١٤٥ و١٤٦ و١٤٧. (٣) E. A. Speiser, *Mesopotamian Origins* (1930) pp. 134, 147, 153-4.

في بلاد العرب . كما أننا نعرف فتحاً أو غزاة نجح في اختراق الحواجز الرملية لهذه الجزيرة وفي تثبيت قدميه في تلك البلاد . أجل فقد ظل سكّات الجزيرة صلباً هم طيلة أزمان التاريخ (١) .

إن نقطة « سامي » مأخوذة من ساء الوارد ذكره في التوراة (تك ١٠ : ١) وقد دخلت إلى اللغات الأوربية عن طريق الترجمة اللاتينية المتداولة للتوراة . إن الضير التقليدي المؤلف الذي يذهب إلى أن الساميين قد تعذبوا من كبير أبناء نوح لا تؤيده الأبحاث المعية الحديثة . فمن هم الساميون إذن ؟

إذا رجعت إلى خريطة لقوية لأسية الغربية وحدد أن الشام وفلسطين والجزيرة والعراق مأهولة الآن بشعوب تتكلم العربية ، ثم إذا استعرضت حد ذلك تاريخنا القديم وجدنا أنه اعتداء من منتصف الألف الرابع قبل الميلاد أخذ البابليون (الذين عرفوا أولاً بالأكديين سنة ١٧٠٠ قبل الميلاد) وبمدهم الآشوريون والكلدانيون في الشمال وادي الرافدين ثم حذسة ٢٥٠٠ ق . م . سكن الأموريون والكنعانيون (ومنهم الفينيقيون) بلاد الشام وحوالي سنة ١٥٠٠ ق . م . استقر الآراميون في الشام والعراقيون في فلسطين وغد طغى النسس في المصوب الأوسط والعصر أحدث إلى القرن التاسع عشر لا يدرك أن هذه الشعوب تركها الواسع قرأى شديدة حتى إذا حلت رموز الخط الآشوري في منتصف القرن التاسع عشر ودرست المصت الآشورية البابلية والعبرانية والآرامية والعربية والحثية دراسة متدرة تبين أن بين هذه المصت أوجه شبه ظاهرة وأن المصت يسم جوهرية حقيقية . وأحد الآن أن حذر الأقبال في كل من هذه المصت تأتي وأن المصت صيغتها المصت وصيغة المصت وأن المصت الأقبال متشابهة وأحد أيضاً أن المصت المصت

(١) Bertram Thomas in *The Near East and India* (London, Nov. 1, 1928) pp. 316 - 35; C. Ballieux in *Journal Asiatique*, (Nov. 1, 1929) pp. 141 - 35. « وماذا يذكر ثلاث مصت قد تكون من أصل واحد في قلب جزيرة حوارة والحدس مرآة أن نوح الجزيرة الحوارة وقد كان يسكنها في الأصل ثلاث مصت وقد سمع مني أن قدم الساميين في الأصل الأول ق . م . فيضروا عليه وأنسوا لقوة عربية وقد جاء بعدها .

ومنها الضمائر والأسماء المثالة على القراءة المسموعة والأعداد وبعض الأسماء لأعضاء
الجسم تنشأه تشابهاً يكاد أن يكون تاماً ، وإذا نظرنا إلى الألفاظ الاجتماعية والعقائد
الدينية عند الشعوب التي تتكلم هذه اللغات وقرأنا بين خصائصهم الجديدة بأن لنا
أيضاً أن أوجه الشبه بينهم رائعة جنية فليست القراءة المسموعة إلا سوى مظهر من
مظاهر الوحدة النفسية الرائعة التي تجعل تتكلم القريظة الدينية والتقدم الخيلة وقوة
الصور المرئية والقدوة ، ولا يمتنع واحدة هذه إلا أن نستطيع أن نلاحظ هذه
الشعوب المختلفة من ناسين والشوريين وكلدانيين وموريين وراميين وفلسطينيين
وعبرانيين وعربين وأحيش كاد في زمننا قبل باسمهم يعيشون شعباً واحداً في مكان
واحد .

الجزيرة العربية النفس العامة

إن كل الوطن الأصلي قد نشأ من عدة أعراق لغوية في الحواف من هذا
النوع ، وقد كانت لهم لغة مشتركة من أصل موطن مشترك في أبنية التريفة فانظر
بعضهم لاسودية بن السمين ولكن الاسم نفسه المشرق في بعض مناطق
الصحراء منهم ، وآخرين كثر في دولة هذه القارة وجميعهم في العرب هو المواطن
الأصلي وهو الذي ولد له عرقين شرف شعب من طين حارة في أعليه على صحراء
هم إلى حدت السادة وذلك عكس ما قدس في خطه لأحرار ، وقد جعله العرب
أبوه في دول النظر في المثالة التي في بلاد العرب هي هذه الجنس سامي وندمونها
بأصابع الامة .

إن معظم سطح الجزيرة صحراء أعظمها حافة شديدة من الأرض التي صحاح
تسكن وبحيث بحر هذه حافة عسيرة وقد عرفت هذه السكان عن طاقه الأرض
لأنهم قد كان على القاصدين أن يعتبرهم عن مثل حيوي يعيشون فيه ولا يكن
بإستقامتهم نوع في وسط كالات وهو صحراء ولا أنهار بحر حين لا يمكن في
مثل الأزمان من وسائل لدمهم يبقى كذا في يسكنون شرقى ساحل العربي

من الجزيرة نحو النيل حيث يخرج عند شبه جزيرة سيناء الى وادي النيل الخصيب .
وقد سلك هذا الطريق او طريق القريفة الشرقية مهاجرون ساميون حوالي سنة
٣٥٠٠ ق.م واستقروا في مصر مع سكان المحليين واختلفوا بهم فكان من نتيجة هذا
الاختلاط ان ظهر المصريون القدماء الذين وضعوا كثيراً من العناصر الاساسية في
مدنهم فكذلك اول من شيدوا لاية الخيرية وانشأوا التقويم الشمسي . وفي تلك
العهود اي في اواسط الالف الرابع قبل الميلاد اندفعت الى النيل موجة اخرى
من المهاجرين سكنت في تلك ارض مصر في الشمال والجنوب في وادي الزاويين
التي كان يسكنها في ذلك الزمان شعب عربي القديمة هم السومريون .^١ وقد
حل الساميون عند وادي وهو في حافة الصحراء وظهروا في عتبات تلك حلقوا من
السومريين مؤسسين لحدود مصر من بلاد النيل وسكنوا في وادي الزاويين
وهو في ذلك وقت معوا معهم كيف كانوا . وقد يكن السومريون من الشعوب
السامية ولكن جملتهم هؤلاء شعب الذين نزلوا عليهم في وادي الزاويين اسحق
الشعب الذي نزل الى مصر من مصر في مجمع الأسس لبلادنا في . ومن جملة
السامية . الساميون هم من الاساقفة (والارمن هم سوريين الاصلي)
والعراقية من بلاد مصر والذين نزلوا في مصر .

مهاجرون ساميون لآلاف السنين في مصر هجرة سامية اخرى سميت الاموريين
التي خلال تلك السنين في مصر التي سالت فيها هذه الموجة الجديدة
السكناء بين وادي النيل في مصر ووسطها .^٢ ق.م . والحيثيون الذين
ساروا لآشور في بلادهم .

١ : اي . ساروا في بلادهم من بلادهم في مصر .
٢ : اي . ساروا في بلادهم من بلادهم في مصر .
٣ : اي . ساروا في بلادهم من بلادهم في مصر .
٤ : اي . ساروا في بلادهم من بلادهم في مصر .
٥ : اي . ساروا في بلادهم من بلادهم في مصر .
٦ : اي . ساروا في بلادهم من بلادهم في مصر .
٧ : اي . ساروا في بلادهم من بلادهم في مصر .
٨ : اي . ساروا في بلادهم من بلادهم في مصر .
٩ : اي . ساروا في بلادهم من بلادهم في مصر .
١٠ : اي . ساروا في بلادهم من بلادهم في مصر .
١١ : اي . ساروا في بلادهم من بلادهم في مصر .
١٢ : اي . ساروا في بلادهم من بلادهم في مصر .
١٣ : اي . ساروا في بلادهم من بلادهم في مصر .
١٤ : اي . ساروا في بلادهم من بلادهم في مصر .
١٥ : اي . ساروا في بلادهم من بلادهم في مصر .
١٦ : اي . ساروا في بلادهم من بلادهم في مصر .
١٧ : اي . ساروا في بلادهم من بلادهم في مصر .
١٨ : اي . ساروا في بلادهم من بلادهم في مصر .
١٩ : اي . ساروا في بلادهم من بلادهم في مصر .
٢٠ : اي . ساروا في بلادهم من بلادهم في مصر .
٢١ : اي . ساروا في بلادهم من بلادهم في مصر .
٢٢ : اي . ساروا في بلادهم من بلادهم في مصر .
٢٣ : اي . ساروا في بلادهم من بلادهم في مصر .
٢٤ : اي . ساروا في بلادهم من بلادهم في مصر .
٢٥ : اي . ساروا في بلادهم من بلادهم في مصر .
٢٦ : اي . ساروا في بلادهم من بلادهم في مصر .
٢٧ : اي . ساروا في بلادهم من بلادهم في مصر .
٢٨ : اي . ساروا في بلادهم من بلادهم في مصر .
٢٩ : اي . ساروا في بلادهم من بلادهم في مصر .
٣٠ : اي . ساروا في بلادهم من بلادهم في مصر .
٣١ : اي . ساروا في بلادهم من بلادهم في مصر .
٣٢ : اي . ساروا في بلادهم من بلادهم في مصر .
٣٣ : اي . ساروا في بلادهم من بلادهم في مصر .
٣٤ : اي . ساروا في بلادهم من بلادهم في مصر .
٣٥ : اي . ساروا في بلادهم من بلادهم في مصر .
٣٦ : اي . ساروا في بلادهم من بلادهم في مصر .
٣٧ : اي . ساروا في بلادهم من بلادهم في مصر .
٣٨ : اي . ساروا في بلادهم من بلادهم في مصر .
٣٩ : اي . ساروا في بلادهم من بلادهم في مصر .
٤٠ : اي . ساروا في بلادهم من بلادهم في مصر .
٤١ : اي . ساروا في بلادهم من بلادهم في مصر .
٤٢ : اي . ساروا في بلادهم من بلادهم في مصر .
٤٣ : اي . ساروا في بلادهم من بلادهم في مصر .
٤٤ : اي . ساروا في بلادهم من بلادهم في مصر .
٤٥ : اي . ساروا في بلادهم من بلادهم في مصر .
٤٦ : اي . ساروا في بلادهم من بلادهم في مصر .
٤٧ : اي . ساروا في بلادهم من بلادهم في مصر .
٤٨ : اي . ساروا في بلادهم من بلادهم في مصر .
٤٩ : اي . ساروا في بلادهم من بلادهم في مصر .
٥٠ : اي . ساروا في بلادهم من بلادهم في مصر .
٥١ : اي . ساروا في بلادهم من بلادهم في مصر .
٥٢ : اي . ساروا في بلادهم من بلادهم في مصر .
٥٣ : اي . ساروا في بلادهم من بلادهم في مصر .
٥٤ : اي . ساروا في بلادهم من بلادهم في مصر .
٥٥ : اي . ساروا في بلادهم من بلادهم في مصر .
٥٦ : اي . ساروا في بلادهم من بلادهم في مصر .
٥٧ : اي . ساروا في بلادهم من بلادهم في مصر .
٥٨ : اي . ساروا في بلادهم من بلادهم في مصر .
٥٩ : اي . ساروا في بلادهم من بلادهم في مصر .
٦٠ : اي . ساروا في بلادهم من بلادهم في مصر .
٦١ : اي . ساروا في بلادهم من بلادهم في مصر .
٦٢ : اي . ساروا في بلادهم من بلادهم في مصر .
٦٣ : اي . ساروا في بلادهم من بلادهم في مصر .
٦٤ : اي . ساروا في بلادهم من بلادهم في مصر .
٦٥ : اي . ساروا في بلادهم من بلادهم في مصر .
٦٦ : اي . ساروا في بلادهم من بلادهم في مصر .
٦٧ : اي . ساروا في بلادهم من بلادهم في مصر .
٦٨ : اي . ساروا في بلادهم من بلادهم في مصر .
٦٩ : اي . ساروا في بلادهم من بلادهم في مصر .
٧٠ : اي . ساروا في بلادهم من بلادهم في مصر .
٧١ : اي . ساروا في بلادهم من بلادهم في مصر .
٧٢ : اي . ساروا في بلادهم من بلادهم في مصر .
٧٣ : اي . ساروا في بلادهم من بلادهم في مصر .
٧٤ : اي . ساروا في بلادهم من بلادهم في مصر .
٧٥ : اي . ساروا في بلادهم من بلادهم في مصر .
٧٦ : اي . ساروا في بلادهم من بلادهم في مصر .
٧٧ : اي . ساروا في بلادهم من بلادهم في مصر .
٧٨ : اي . ساروا في بلادهم من بلادهم في مصر .
٧٩ : اي . ساروا في بلادهم من بلادهم في مصر .
٨٠ : اي . ساروا في بلادهم من بلادهم في مصر .
٨١ : اي . ساروا في بلادهم من بلادهم في مصر .
٨٢ : اي . ساروا في بلادهم من بلادهم في مصر .
٨٣ : اي . ساروا في بلادهم من بلادهم في مصر .
٨٤ : اي . ساروا في بلادهم من بلادهم في مصر .
٨٥ : اي . ساروا في بلادهم من بلادهم في مصر .
٨٦ : اي . ساروا في بلادهم من بلادهم في مصر .
٨٧ : اي . ساروا في بلادهم من بلادهم في مصر .
٨٨ : اي . ساروا في بلادهم من بلادهم في مصر .
٨٩ : اي . ساروا في بلادهم من بلادهم في مصر .
٩٠ : اي . ساروا في بلادهم من بلادهم في مصر .
٩١ : اي . ساروا في بلادهم من بلادهم في مصر .
٩٢ : اي . ساروا في بلادهم من بلادهم في مصر .
٩٣ : اي . ساروا في بلادهم من بلادهم في مصر .
٩٤ : اي . ساروا في بلادهم من بلادهم في مصر .
٩٥ : اي . ساروا في بلادهم من بلادهم في مصر .
٩٦ : اي . ساروا في بلادهم من بلادهم في مصر .
٩٧ : اي . ساروا في بلادهم من بلادهم في مصر .
٩٨ : اي . ساروا في بلادهم من بلادهم في مصر .
٩٩ : اي . ساروا في بلادهم من بلادهم في مصر .
١٠٠ : اي . ساروا في بلادهم من بلادهم في مصر .

وكان هؤلاء التمييزيون اول من نشر في العالم نظاماً خاصاً للكتابة بالحروف
المجانية المجردة وعددها اثنان وعشرون وكانت هذه الحروف اسماً لكل الحروف
المجانية التي يكتب بها اليوم الله اوريا او آسية او اميركا او افريقية بحيث صح
قول القائل ان هذا اعظم اختراع اخترعه البشر على الاطلاق^(١).

وبين سنتي ١٥٠٠ و ١٢٠٠ ق. م. تسرب العبرانيون الى جنوب الهند الى
فلسطين وتسرب الاراميون (السريون) الى الشمال الى سهل القمع (جوف سوريا)
الواقع بين جبلي لبنان الشرقي والعربي. وكان العربيون قبل ان يبعث آخر اول
من كشف للعالم فكرة جديدة عن الله الأحد وقد صار التوحيد الذي دعوا اليه اسماً
للتوحيد في العقيدة المسيحية والاسلامية.

وحوالي سنة ٥٠٠ ق. م. وصل الاساطير الارض الواقعة الى الشمال الشرقي من
شبه جزيرة الهند وسنطيط ان سركا مدى لوفي الذي افقه حصارهم فيها مددوا ذلك
بتأثير الرومان، ثم يبدو في آثار الآثار عاصمتهم المعروفة في السحر من غنمة وبعد
وحده القرن السابع الميلاد وذا نحن انه موحدة حديثة هي آخر المحركات وقد
حزرت تحت راية الاسلام وهي تحطمت الدود امامهم ثم تسرع فبظاهرت على ارض
اللال انضبيب هذا القوس الهند من رأس الخليج الفارسي الى اية البحر المتوسط
الشرقية الجنوبية بل حداه ونجر مصر وورقية الشربة واسدية وفرنس وعلس البحر
من آسية الوسطى^(٢).

وقد اتخذت هذه المحركة التي تمت في وضح النهار حجة عند عبيد القرون
بان جزيرة العرب هي موطن السمين الاصلي وهم حزازون قضيتهم في بلادهم
ان العرب قد احتفظوا شميرهم السمية خالصة وانهم وهم وضيح اكثر من قبله

(١) راجع ما سبقت في الفصل السادس من تأليف سارتي المعروف فواتيه.

(٢) من اوائل العهد الذي شرحوا هذا النظام السمي في مقدم خروجهم من جزيرة

هوغو وكر - انظر : Hugo Winckler, *The History of Babylonia and Assyria*,
D. Jones A. Craig New York, 1907, pp. 302-303.

اعطاء تلك المجموعة الجنسية وان اللغة العربية هي اقرب ما يكون الى ما يرثاه
عده اللغات بشأن مزايا اللغة السامية الا ان شكك الداعي .

وتتقدرة تفرج افعالات المذكورة آنفاً وحسب ان بعض عده السامية
افكره في ان الجزيرة العربية كانت في حقب متعاقبة تتبع الواحدة منها اقل سنة
تاريخية فوجدوا ان مكان كثر من حقب في نجد بحيث ان اوصاف ما يزيد عن
سبعة . وقد اختلف هؤلاء عده ان يسمو هذه الفجرات المتعاقبة حين يحدفون عنها
" هوبات " والاولى ان يخلل هذه الفجرات كانت في الدور الاولى ما يشبه في
طبيعتها افعالات الاوربية في عهد احمد بن محمد بعض الفترات في الاربعين ثم
بعضهم آخرون ثم يزداد عدد الفجرات حتى يتكون السجل هذه الفجرات الاربعين
ويزداد الاقبال على الفجرات .

وان اقبال المؤلفات التاريخية حجة غير كافية من المصادر وحيثما لم يكن فيها
ان لا يرضى ان يكون في هذه الفجرات في السجل الا ان سليله في سطورهم ان فهم
أربعة اقل من اقل من الفجرات . وان الفجرات التي يكون بها السجل قبل
ان الفجرات ان يخلل هذه الفجرات التي تمت الفجرات في بعض السجل في الفجرات
عن ان الفجرات الفجرات التي تمت من الفجرات الفجرات الفجرات الفجرات
ويكون هذه الفجرات من الفجرات الفجرات الفجرات الفجرات الفجرات
شبه ان الفجرات الفجرات الفجرات الفجرات الفجرات الفجرات الفجرات
أربعة في عدد من الفجرات الفجرات الفجرات الفجرات الفجرات الفجرات
الفجرات الفجرات الفجرات الفجرات الفجرات الفجرات الفجرات الفجرات
الفجرات والفجرات الفجرات الفجرات الفجرات الفجرات الفجرات الفجرات

ويجب ان لا يخلل هذه الفجرات في كل حدة تاريخ كانت لغة
السامية أقوى على هذا وقد كانت هذه الفجرات الفجرات الفجرات الفجرات
" السجلات " كانت الفجرات الفجرات الفجرات الفجرات الفجرات الفجرات الفجرات

علينا اعتبار سكان وادي الرافدين من الساميين . ان انصرون اقديما . فقد نشأت
عندهم لغة سامية حامية ومن هذا لا نستطيع اعتبارهم ساميين . وعنه فلغة
« سامي » دلالة لغوية اكبر منه النحوية ويجب ان ينظر الى اللغات الاشورية
البابلية والآرامية والعبرانية والحبشية والعربية الجنوبية والحبشية والعربية على انها
هجات تفرعت من لغة واحدة هي لغة آدم . وقد ترى نظرا الى ان اللغات
الرومانية وعلاقته اللاتينية الان تبت من لغة الاشورية القديمة في يوم على
الاقبال مما يخلق من انما في حين ان لغة سامية لآدم لا يمكن لاحد بحكمة وقد
زالت من الوجود اليوم مع ان نسطور سنة ١٨٨٥ يسمي عيب من الآدم اللغوية
في اللغات سامية نظرية علمية .

واذا سمعنا ان سكان جزيرة العرب هم الساميين في اللغة والاسماء والادب
والتركيب الذي يوزع منه في هذا لا يكون بل يمكن ان يكون لغة سامية في اصولها
التي تفرع مع فرع آخر من جنس فليس هو فرع سامي بل فرع آخر
في ناحية من سامي في لغة سامية لغة من هذا الشعب في لغة سامية . وهذا
بالساميين وشعروا في جزيرة العرب عن طريق لغة سامية في هذا . وهذا
يعمل في لغة الوطن المرحح من سامي في جزيرة العرب في لغة سامية . وهذا
السامي والتركيب الذي يفرع منه . في هذا في لغة سامية في لغة سامية .

(١) ان اللغة عند بعض في لغة سامية في لغة سامية .

(٢) George A. Barton, *Semitic Languages* (Philadelphia, 1931) p. 27.

الفصل الثاني
جزيرة العرب

حضرت الطهر بن محمد

بلاد العرب - شبه جزيرة في الجنوب الغربي من آسيا واس في جزيرة العرب
شبه جزيرة عذراء - هي أكبر من شبه جزيرة هند ومسلم شبه جزيرة
الجزيرة العربية - هي شبه جزيرة في وسط ووسط من آسيا - لا يحيط بها مياه
مكتمل لا يوجد شبه جزيرة (أي) - من شبه جزيرة - شبه جزيرة - شبه جزيرة
مليون في الجنوب وشرق وشرق في آسيا وشرق في شبه جزيرة - شبه جزيرة
(الجزيرة) - شبه جزيرة في شرق آسيا وشرق في شرق آسيا وشرق في شرق آسيا
في الجزيرة عذراء من كوكب المشتري - شبه جزيرة في شرق آسيا وشرق في شرق آسيا
والتي هي من كوكب المشتري - شبه جزيرة في شرق آسيا وشرق في شرق آسيا
أوسط البحر - شبه جزيرة في شرق آسيا وشرق في شرق آسيا
سورية وشرق في شرق آسيا وشرق في شرق آسيا
بلون - في شرق آسيا وشرق في شرق آسيا
أما - شبه جزيرة في شرق آسيا وشرق في شرق آسيا
الجزيرة - شبه جزيرة في شرق آسيا وشرق في شرق آسيا
تأري قيعان - شبه جزيرة في شرق آسيا وشرق في شرق آسيا
تسبب في السيل الزهراء - شبه جزيرة في شرق آسيا وشرق في شرق آسيا

(۱) انا جنة في ذكرهم مع جميع العرب - فوہوں کا علم ہے کہ میں ارض نعمہ اعلیٰ و (ازان و ہداسا کی
بجائے) وہی نعمہ شریفہ ارض ہے۔ (مجلس ۱۱، ص ۱۰۱)

اعتبارها خطاً وهمياً يتجه شرقاً من رأس خليج العقبة حتى الترات ، اما من الناحية
الجيولوجية فإن صحاري الشام والعراق ككسب تعد جزءاً من الجزيرة العربية .

ويشغل سطح الجزيرة من الغرب الى خليج العقبة وسفوحات ارض الرافدين .
وعلى هذه الهمة والسطح على سلسلة جبال محدبة لمساحات الغربي هي بقايا العمود
الغربي للجزيرة محمد ويبلغ ارتفاع اعلاها اكثر من تسعة آلاف قدم في مدين
تسمى واكثر من التي عشرين الف قدم في اليمن جنوباً وسبع جبال الشراة (٢)
في الجبل نحو عشرة آلاف . وتحتل ارض من هذه الهمة الشخفا في الشرق
تدريجياً تمتد الى مدي مبد . ثم لا تبتعد العربي نحو البحر الأحمر فانه في قصير
الذي . ويثبت ان بعض بعض ارض الارض فيه هو في الجزء الجنوبي الغربي
منها أصبح الانحدار طبعه من الغرب الجنوبي الى الشرق الشرقي وانما به
البحر مديال ابد . وقد احدث طرف الجزيرة العمودية حيث تراجع البحر عند
البحر بمعدل المليون وسبعين قدم في امد السور واسعة عرف الهمة . وسبع ميوط
الارتفاع ندر وهي الفصة الوسطى العربية ثم ٢٥٠٠ قدم وفي سلسلة جبال القرونة
بشمالها من جبال العرب لا يوجد سوى ٥٥٥٠ قدم فوق سطح
البحر . وبعد ذلك السهل الشامية من جبال الثلاث سلاسل جبال مشوية
الارتفاع الى الشمال على السهل الشرقي لارتفاع ٩٩٠٠ قدم
وهو موضع التوحيد الذي نشأ عن الحافة التي نشأ من جبال الشام الانحدار
نحو الشرق .

ما من سلسلة الجبال والخصائص التي مر ذكرها من سلاسل في اواسط صحاري
ودارات والاريات سهول مية مستديرة بين السلاسل السطوح بده ومدا

(١) H. B. Baker, *and H. B. Baker*, *Western Asia and the Red Sea*, Vol. III, 1908, p. 18.
Landfastenheiten, *Ergebnisse*, 1908, p. 18.

هذا ان العرب من بلاد اليمن والحدود التي بينها وبين بلاد العرب من بلاد
البحر في جزيرة العرب . ولا يمكن ان يكون لها حدود مع بلاد العرب من بلاد

البحر في اربعة ارباب . ولا يمكن ان يكون لها حدود مع بلاد العرب من بلاد

بادية الشام وبرزخي الحراف وعرف القسم الجنوبي من بادية الشام بالحجاز ويعرف القسم الجنوبي من العراق بادية العراق أو السهولة . أما الأرض الصحراوية فقد تميز فيها ثلاثة أنواع :

أولها السهول وهي قدر منسمة ذات برص يضاء أو محمرة لسيب الرياح فتعمل منها كثبان أو الأتلا فتغطي جزءا كبيرا من شمالي الجزيرة العربية وتعرف السهول في كتب اللغة ببادية واحياء بالدهن ومع أن السهول حافة لا في واديها القليلة فله انفسها في بعض السنين انطار يكفي لمصبتها مسافة من النظرة جوتف الى حافة التلال والاعضاء التي يرعاه السهول الرمال . ومن بين الأوربيين القلائد الذين اختلفوا السهول مدحهم شارل همبرج الفرنسي الأيراني (١٨٧٨) وولفرد بنت السبسي الأكليري " الشار (١٨٧٩) وويليام ونج المستوف " التراسبورغ (١٨٨٣) .

ثانيها السهول وهي برص بادية حراء تمتد من السهول شمالا الى الربع الخالي جنوبا بشكل قوس تمتد طرفه الواحد من الآخر أكثر من عشرة من وقد تميز الجانب الغربي من الدهان باسم الانداف وهي كتل مستطيلة من الرمال . ويطلق الخرافا القديمة على الدهان اسم الربع الخالي . وإذا هطلت انطار القليل في واحيتها غدت الأرض باراعي التي تشبه السهول ومناشيب هذا الاسم في القول بقصة شهر غير أن تلك القصة في القليل حالية حاضرة . وقد يشار في رواية رومس ^(١) التي أورث على احراق الربع الخالي - لا برص التي لا يتسكب الماء في جزيرة العربية . وليس هناك ذكر لك - حياء قد عدهم بحداروا وقد تم رومس عمله هذا في ثمانية وخمسين يوما قطع الربع الخالي فيها من بين حرب حتى خليج فارس وقد شهد ظاهرة عربية - الرمال المعروفة - واكتشف عبوة من مياه ساخنة غير فيه هذا من متفرعات خليج فارس جنوبي قطر . وما كان معلوما حتى ثبت الوقت عن هذه الاستفاد القاطلة

(١) راجع Hertram Thomas, *Arabia Felix, Across the Empty Quarter of Arabia* (New York , 1912) .



الحقبة في جنوبي الجزيرة تزيد عما عرفت جغرافيو القرن العاشر للميلاد .
 ثالثاً الحرة وهي أرض من الحجرة الرمية تطلو سطحها جميع البراكين القديمة
 الخشبية المتخربة . وتكثر في شح الجزيرة الغربية والوسطى مثل هذه المناطق البركانية
 وتمتد شمالاً حتى حوران الشرقية وقد ذكر ياقوت ^(١) ما لا يقل عن ثلاثين حرة
 مشهورها حرة الشينة حيث النضر الأمويون في سنة ٦٣ هـ (٦٨٣ م) على القاريين
 من أهل الشينة المنورة . وآخر الحجر بركاني الشراية موزحوا العرب وقع سنة
 ٦٥٥ هـ (١٢٥٦ م) .

وقع ضمن هذه الحقبة من الصعدي والدارات حصنة حد أرض الوهابيين وقد
 اكتشفت في سطحها منذ زمن قديم منطقة جديدة مكتوبة شعيب . حصن المنع الرمية .
 ويتكون من الحجر من حجر الفلست وبخام الأسود .

الأنفوس

الجزيرة العربية من شد البلاد حداثاً وحراً . وعلى أرضها من وفوقها بين
 البحرين من الشرق والغرب من مساحة هذين البحرين أصغر من أن يكفي لذكر
 هذه البلاد المسماة معروف في هذه الأيام لأفنية لأسورة القديمة نظراً . ومن
 كان أعظم غلبي في الجنوب ساعد من وفوقها على النظر في الخراف الجزيرة
 من الزمان الواسعة المعروفة بالسموم حتى يذهب الجزيرة في موسم معروفه سحاب
 الرطوبة من فوقها إلى البحر وحينئذ لا يلبث أن يروح شرقية ليمتددة المعروفة
 بريح الصا فقد كانت موسومة بمحداً يعني به شمسها لغاب . ويرى العربي في النظر
 راحة من شد زمن مرزوق سمع قبوت وفيه ما فيها من دولي العيون والتقصير .

وفي الخرج هذه البلاد سحاب البلاد مواسم حداثاً قد تفسر ثلاث سنوات أو
 أكثر ومع ذلك ففصل سنواتها نظراً فيه يربط عنه في مظهر ميسر . وفيه يتم وأبلى
 غنييف من النظر على الشينة وعلى مكة فيكاد يفسد الحار . كغلب بخمسة وقد

حوض البلاذري ^(١) فضلاً كمالاً لأخضر سيول مكة . وحدث سنة ١٩١٠ است
اعترضت حديوي مصر وهو غمر غريضة الخيخ سيول بين البحر والمدينة اضطرنه
ان يرحى . سفوف ثلاثة ايام . ويعقب نزول هذه الأمطار ظهور المراعي الملوقة في
الصحراء . وليس في توالي الجود ارض تكن سوى الواحات العذبة ولا تزيد
مساحة اكبره عن عشرة اميل مربعة وقد اختلفت معها بعض الواحات القديمة
كواحة تلك التي كانت معروفة في صدر الاسلام وكان اليهود في ايام الرسول يزرعون
معظم هذه المناطق الخصب . وحقه اشداس السكان في الجوز اليوم هو من البدو
ومعدل درجة الحرارة السنوي فيها تقرب التسعين (فريهيت) اي ما يعادل الثلاثين
تقليد ستيفراد . ثم متوسط درجة حرارة في المدينة فلا تزيد كثيراً عن السبعين
ومن هنا كانت المدينة احب مدناً من احب الجنوبية مكة .

وقد يقع بعض الطرق في اقليم الجزيرة الوسطى من الغمر المسيرة عن سطح حبيح
ومن . والى افواه رحلت السمت من البحر الأحمر من معظمه حب قبل سوغه
ومحدرات الجزيرة الشرقية الواسعة . وهو الفصل في حبيب الشريعة بعد ذات
الواحات الكبيرة تتصل الى مياه وادي ارملة في موقف الاربع وعلى سطح
والى تروج الماء من اعلى حبل تحت حيث يرمى سقوطه على غمره في ارض
البحر فليس . يقع ارض عجمية عند حافة في قمة حافة الساج . ولا سقط
الأمطار الموسمية الا في اليس وغير وهي ههنا كهي غلين اشارة الارض
برعة منطقة حبيب عند خضرة دائمة است في اوزم حصة فند ان غمر مثنى ميل
من الساحل . ويرى من سطح عجمية اقليم يوم على سمعة آلاف قدمه عن
سطح البحر . وهي بذلك من صحاح الساج والجبب في جزيرة . وهناك على الشاطئ
قرب اخرى خضيرة ونكته يست مقصية . وغير حصر موت الاميرة اعمية التي
قبل غمره . الساج فخره في الماء . وعلى ن غمره . وهي احد اقليم الجزيرة

(١) البلاذري جويح سنان حافة دجلة سوية . ابيات ١٨٦٦ . ابي ٥٣ - ٥٤ . ورجعته الانكليزية :

Philip K. Hitti, *The Origins of the Islamic State* New York, 1916, pp. 82-4

شرقاً قدر لا بأس به من المطر . أما حدة فهي من أشد المدن حرارة ورطوبة ومثلها الحديثة ومقط .

ولا نستطيع الجزم أن فخر وجود هر واحد دائم الجزون بحسب سوء في البحر . وليس في أبهره الصغيرة ما يصلح لملاحة . وقد غرقت عن الأبرار شبكة من الأودية تجري فيها السيول حين غمر مياه الأمطار . وغمر همد الأودية خريف آخر ذلك أب تعدد طرق القوافل والخيول . وقد أصبح الخليج منذ ظهور الاساطيل حلقه الاتصال الرئيسية بين بلاد العرب والهند الخارجية . وهذه الفرق البرية التي أتت بعدهم . يسير من العراق مراراً مراراً في حد مشقة والذي أزمه والآخر من الشام مراراً والذي سرحان . منصف ساحل البحر الأحمر . أن الخطوط التي يصل ما بين الهند الجزيرة العربية فهي إما ساحة تحت شكل الطراف شبه الجزيرة العربية أو ناحية بحرفة الجزيرة من الجنوب العربي إلى الشمال الشرقي ممرجة على التوازي الوسطى من جهة السفلة المتوسطة المعروفة بمرج الخبي .

وقد يرى الأسطوري ^(١) أنه جغرافي القرن العشر الميلادي أن يس في الحجاز مكان ارد من جبل عزون نحو الشاف وأنه رتد عند الله في دروسه . ويس في الحجاز مكان جمد به سه سوي هذا الموضع . وأشار الفيداني ^(٢) أن جمد الله في سنده . وصيف عاتر ^(٣) إلى هذين الموضعين جبل حصور الشيخ في اليمن الذي سقط عليه الثلوج في سنة . كل عام تقريباً . وأن الصقيع فيه أكثر من ذلك شوباً .

نبات الجزيرة

أما جفاف الهواء وميوحة التربة حولان دون توالي السنوات والرياح . وبكثر

١) مسالك الملك . حصة في جبهه . يدين . ١٨٩١ . ص ١٩

٢) لأكلية . الكتاب ثامن عشر جبهه بين فارس . رستون . ١٩١٠ . ص ٩

وراجع أيضاً . جبهه لفظ . رحلة في بلاد العرب الجديدة . ١٩٣٠ . ص ١٩٨

٣) راجع A. Petermann , Mitteilungen aus Justus Perthes' geographischer Institut , vol. 32 (Gotha, 1898) , p. 43.

النخيل في الحجاز وينبع القمح في اليمن وبعض الواحات وينزع الشعير لما كلفه الخيل وتنمو النخلة في مناطق خاصة كما ينمو الارز في عمان والحباء ولا يزال شجر اللبان يزدهر على الخصب المحاذية للساحل الجنوبي لاسيا في مهرة وقد كان لشجر اللبان هذا اهمية ممتازة في الحياة التجارية الاولى في البلاد العربية الجنوبية. ومن اخص حاصلات عبر الخليج العربي . ولم شجرة اللبان التي تشتهر بها اليمن اليوم فقد ادخلت الى بلاد العرب الجنوبية من الحبشة في القرن الرابع عشر . ولعل اقدم اشارة الى التموية - بحر الاسلام - قد وردت في مؤلفات القرن السادس عشر^(١) ولم يذكرها كاتب الايري قبل سنة ١٥٩٢ .

وتوجد في البادية عدة انواع من شجر السط (الاكاب وتسمى العامة قنة) منها الانان (tamarisk) والقصب الذي ينسج المحمل المنديل والقمح الذي يستخرج منه القمح العربي . وينسج البادية ايضا السج وطامن جوده دقيق يستعمل في صنع المعصدة كما وجد الكفاة والبال والعري رغبة خاصة في الحصول عليها .

ومن اشجار البلاد الكرمة التي ادخلت الى افريقيا من الشام بعد القرن الرابع الميلادي وهي كثيرة في الطائف ويستخرج منها التمرا المعروف عنب الزبيب . ولما الخلة التي تسمى بذكرها نمرال العرب فهي نوع كان يستورد من حوران وهدنت ولم يكن شجر الزيتون - وهو من الشام - معروفا في الحجاز . ومن حاصلات الواحات العربية الزمان والذبح والشمس والنور والبرقان والليمون الحامض وقصب السكر والبطيخ والنور . ويرجح ان الاساط واليهود هم الذين ادخلوا هذه الفواكه الى الجزيرة من الشام . ويقال ان البطيخ كان من احب الفاكهة الى الرسول وروى حديث يروي مقاده ان البطيخ منقول من الجنة . واخرج الخطيب فيما

(١) راجع الجزيري : عمدة الصلوة في حل الفتوة في كتاب de Sacy, Chrestomathie arabe, 2nd. ed. (Paris, 1826) vol. I, pp. 138 seq. وما يليها واخر ايضا كتاب الكواكب السائرة لمصنف نجم الدين غازي نشر الاستاذ جبران جبور . (بيروت ١٩١٥) الجزء الاول ص ١١١ .

رواه مالك ابن انس قال : « ليس في الذي تبي يشبه ما في الجنة الا الموز »
ثم قال وانت ترى الموز في الصيف والشتاء .^(١)

التمل

ونعتبر نخلة البلح مسكة غلة الثنت في الجزيرة العربية فهي منج الطيب تمر
واعمه ، التمر الذي لا يغير له . وقوله العلماء عند البدوي لو ان التمر والخلب .
واذا استنبنا لهم الابل وتمر هو الضمام الصب الوحيد الذي ينشأه البدوي .^(٢)
وشراب التمر اذا حرق امسح السيد لمعوت فيه وولاه السحوقه تصنع اقراصا لحف
الجل . ومنية البدوي ان يحصل على الاسودين - اده والتمر - وقد اخرج في
الحديث ان الرسول قال : « اكرموا عمكم النخلة فمما حلفت من العن الذي خلق
منه آده . »^(٣) وقد ذكر مؤرخو العرب ان في ادمه وده حوله نحو مئة صنف
من البلح .

ومسكة الاسحر العربية هي احدى اشهر عربية الأصل فقد قامت الى الجزيرة
من التمل من ارض بل حيث كانت شعرة النخل اعظم المواصل التي اجتمعت
الاسن القديم لموطن هناك . ولا تزال في اصطلاحات العربية الماروجة في عهد
والخبر المظ زارعية مثل بل (اي ما يروى منه المظر خط)^(٤) واكر (حيث)
تدل على انها مستعارة من شعوب التمل السمين وشموعة الاراميين .^(٥)

عبرانها

ويقال مسكة الخيون في الجزيرة العرب والتمه والصب والذهب والفضة والضب .
اما الأسد الذي يحضر الاشارة اليه في الشعر القديم فيبدو انه افرض الآن . ولا

١ (البيهقي ، حسن الفاصلة : القاهرة ، ١٩٢٩) ج ٢ من ٢٤١ .

٢ (راجع ابن قبة ، عبود الاخير : القاهرة ، ١٩٣٠) ج ٣ من ٢٠٩ - ٢١٣ .

٣ (البيهقي ، حسن الفاصلة ج ٢ من ٢٤٢ .

٤ (راجع ما سيورد فيها بعد في فصل المصطلح في عبر الاسلام تحت عنوان « ومنية لنبو »

٥ (راجع ما سيورد فيها بعد في فصل المصطلح في عبر الاسلام تحت عنوان « اليهود »

تزال القردة موجودة في اليمن . ومن طيورها الكواثر العقاب والبازي والصقر
والبوم . وكثير الثربان هب ولكن أكثر الطيور وجوداً المدهد والقردة
والغندليب ^(١) والخام ورجع من الخيل أشهر في الأدب العربي باسم القط .
ومن الحيوانات الداجنة الخيل وأخر وكلب الخرافة والكلب السوفي والقطعة
والضم والماعز . أما الفيل فيقال له ادخل إلى الجزيرة من مصر بعد الفجرة وكان
النبي يؤثر ركوبه على ركوب الخيل .

وكثير الجراد في الصحراء ويعتبره البدوي طيراً شياً لا سم إذا شوي وبيع ،
وقد أحدث الملا من الفجرة . ويقال إن آفة الجراد ظهر مرة كل سبع سنوات .
أما ازواج قنصير النعود نوع من طيور الحفة المقاتلة ذات القربين . وقد تحدث
لورنس ^(٢) شكل معين مما فسد من الخوف من الأفعى في وادي سرجين .

الجزيرة العربية

ورغم أشهر الخيل في الأدب الإسلامي فإن تاريخ دعوها إلى الجزيرة العربية
كان متأخراً . فمثل عرفت بعد عيدهم الكريمة في الشعوب السامية الأولى لما
عرف الخيل ورجع الفضل في محبب إلى الشعوب الآرية فقد كانت منهم في
الأزمنة القديمة رعاية من القدامى القديمة - الآرية ينتمون في الأراضي الواقعة إلى
الشرق من بحر قزوين وكاف أول من دجن الخيل كما استوردته من ذات الكشيين
والخثيون على نطاق واسع وانتقل هذا الحيوان واستعمله إلى آسيا الغربية في البلاد
بنحو التي عدت أنه ادخل قبل العصر المسيحي من سورية إلى الجزيرة العربية حيث
نهبأت له السبل للاحتفاظ بسلامة دمه وحلوصه من الفجعة والاختلاط . ونقل
المكسوس (الرعد) الحصان من سورية إلى مصر وقته المديون من آسيا الصغرى
إلى اليونان حيث خلد ذكره النحات فيديس في البرونز . ويسمى العربي في
الآثار المصرية والآشورية - السامية والفارسية القديمة حمالاً لا حبالاً وكان الخيل

(١) راجع النعوت - معجم الحيوان - مصر ١٩٣٣ - من ١٧٠ و ١٧١

(٢) F. Lawrence, Seven pillars of Wisdom (New York, 1936) pp. 260-70 (٢)

لا الحصن هو الذي يذكر عند جمع الجزيرة التي كان يحرسها الفاتحون الآشوريون على الأري أو العري^(١) . (يعني العري ١٠) وفي جيش آشور بوش الذي كان مصمماً على فتح اليونان ظهر العرب بركيون جلاً^(٢) . وقد أكرم ثورخ سترابو^(٣) وجود الحصن في الجزيرة العربية وأمه اسمه في هذا على ما رواه صندوق الفيلسوف علوس القائد الروماني الذي غزا الجزيرة عام ٢٥ ق. م .

ومن القبول العربية الأمامية السكحيات ونعيم حرم حسمه وقوة احتياجه وبهته وإخلاصه لسيده ومثفه به وهو لائق لدى السلطات مع الآراء العربية في تعليق تربية القبول المتأخرة . وفي القرن الثامن وصل العرب القبيل في أوروبا عن طريق إسبانية حيث حفظت أثوابهم في أنساف من القبول العربية والأندلسية .^(٤) وفي هذه الحرب الصليبية كانت القبول الاسكندرانية قد حددوا لاختلاف القبول العربية .

ويتمتع امر القدر القبيل في بلاد العرب من الأمور الكريمة والمهممة والمتعة بمشكلة من مث كل من اصحاب ولا يستطيع حينها الا من كان على سعة من القبل . وأهم ميزة القبيل عند القوي هي سرعتها التي تحققه النجاح في القوي وتتمتع بها في القوي والاحساس بربحية كرمي الجرد والسر والحمد . وكما من القوي في محبة "يوم اذا قل له انه واهب صديقه جرة من نراه لا يسمي في سرانجه بل غده آخر قصة عدو من القوي حصنه . وقد لاحظنا موزال ان القوي وذويهم قد يستولون على القوي في سبل قوتهم من القبول أو القبول بحرس عددهم ذات قوتهم .^(٥)

(١) راجع ما سيرد في الفصل الرابع تحت عنوان (آشوريين) .

(٢) Herodotus, *History*, BK. VII, ch. 86, § 8 .

(٣) *Geography*, BK. XVI, ch. 1, § 12 & 20 .

(٤) William L. Brown, *The Arabs of the Desert* (New York, 1929), pp. 123 seq. .

(٥) Also, Musil, *The Manners and Customs of the Bedouins* . . .
(New York 1928), p. 351-3 .

الجمال

وإذا كان القرس أبل حيوان استطاع الإنسان أن يدمجه فإن الجمال دون ريب هو بالنسبة للبدوي أعظم الحيوانات نفعا ، ولولاه لما كانت البداة صالحة للسكنى ، فالجمال هو الذي يغذي البدوي وهو أداة انتقاله وهو بقدره الذي يتبادل السلع واسطته وهو فوق ذلك وحيدة القيس لمر العروس ، ودية الفتي ، ولرباع البسر ، وغنى الشيخ ، فكل ذلك يقدر بعدد معين من الجمال . والجمال رفيق البدوي وصنو نفسه وحاضته التي ترضعه فينمى به مثل له . (الذي يوفره له) ويجعل طعمه من لحمه وحشاه من جوده ويحسب حيمته من دمه ويتخذ رونه وقوداً ويؤله علاجاً لشربة الشعر ودواء يستلجى به . وليس الجمال في نظره " سفينة الصحراء " حسب بل هو حياة الله والنعمة حبيب الكرمي ذوقه ومنافع ومنها أن يكون ولكم فيها جمال حين تريحون وحين ترحلون . وتعمل الفاسم إلى بلادكم كمواد ما بينكم إلا ينق الأسن ان يسكنوا رؤوف رحيم . والخيول والبغال والحمير تركبوه وزينة ويخلق ما لا تحصى ^(١) والشيء كمنه طريقة في هذا الصدد وهي أن البدوي يحب تنقيباً على الجمال ^(٢) وكثيراً ما يذهب بدو في أمد هذه بهم " أهل البعير " وقد ذكر مؤرخ أنك سكد لا تجد أحداً في قبيلة الرواة لم يشرّب في منسبة ما الله من جوف الجمال ^(٣) وإذا دعت الخديّة فأنهم يدفعون بجلأ مساً أو يدفعون عصاً في حقه لينضج ما في جوفه من الماء فإذا كان الجمال قد شرب قبل يومين فداء الذي يستخرج من خوفه بشرية البدوي . ويختلف الجمال العربي عن الدهميج أو الجمال البفطريتي بأنه ذو سنم واحد في ظهره وإن ويره اسم واثق ، والبدو يميزون بين البعير (جمعها أباعر وبعران)

(١) سورة حل ٤ - ٨ .

(٢) انظر XIV (1891) *Zeitschrift der deutschen Morgenländischen Gesellschaft* . p. 361 . 113

(٣) *The Manners etc p. 368 Cf. Bertram Thomas in The Near East and India, Nov. 1, 1928 p. 518*

وهو يستخدم لجل الانتقال وبين الدول أو القبلين وهو صيرب كريمة من الابل يستخدم
للكروب . وقد نسب لجل دوراً كبيراً في حياة العرب الاقتصادية بذلك على ذلك
ما يقال من ان الملة العربية نظم نحو الف اسم لجل في مختلف اوائه وانكائه وما لجل
شوه وهو عدد لا يتقنه الا عدد القراوت لكمة السيف . ويستطيع لجل العربي ان
يصر عن الد ، نحو خمسة وعشرين يوماً في الشتاء وخمسة ايام في الصيف . وتعد
كل لجل من العوامل التي سهلت الفتوح الاسلامية الاولى ، ذلك انه ارجح لأصحابه
سرعة في الحركة جمعته يتنقلون على لجل الخصر . ونسب الى الخليفة عمر انه قال :
لا يفتح العربي الا حيث اُتخِذ لجل . ولا تزال الجزيرة العربية اهم موطن في
الامة عربية لجل . وقد أصبح لجل حد وجير الخد وهجن تحت عبوة عينة .
وقد كانت في السابق مواسم الحج في الجبل ومضت المواقف في عمان ومنطقة
خليج امجج لاسيما البحرين ، ومع ذلك السج في بعض البقع ، وتربية لجل ، موارد
الدخل الرئيسية في امارة . ولكن منذ ظهرت مدع البترول والنفط في المنطقة
سنة ١٩٣٣ أصبح الدخل من العمل في شركات الزيت وصنفته اعظم مورد في
الامارة قايماً بالتبول في احداً حد من النفي الأكبر في العام .
وقد ادخل لجل (وهو كخصل حيوان اميركي لأجل) من غربي الجزيرة
عربية العربي الى فلسطين وسورية لمدة غزو النازيين في القرن الحادي عشر
ق .م حسب ورد في سفر القضاة ٦ : ٥^(١) وأصل هذه اول نادرة الى هذا الحيوان
في الآثار المكتوبة . وقد ادخل لجل الى مصر زمن الفتح الاشوري في القرن
السابع قبل الميلاد وادخل الى تونس افرقية زمن الفتح الاسلامي في القرن السابع
الميلاد .

(١) لانهم كانوا يسمون بواشيهم وحياتهم وينتقلون كخمرات في السكنة وليس هم ولخاتم عدد .

الفصل الثالث حياة البدو

القبائل الرحل

نفس سكان الجزيرة بعد غليظ البرودة التي قد بينت في فصلين دول رحل
وحضر مقيمين . وليس حدد الذي يقابل بين فئات العرب الرحل وبين فئات
الأخرى التي استقرت في الشكول والوسطى المزاج والبدن واللباس . ذلك ان
يكون في بعض الأحوال عدم شبهة لأن ما يلاحظ من طبيعة بدو فيهم الخفاف
ثابتة عند بدو وأخرى عند حضرية . فمن سكان المدن من كان في سائر
عهد بدو . وما يجمع كل مظاهر البدو ومن بدو من كان في دور الانتقال
من البدو إلى الحضرة . بهذه الصفة المحددة به حضر في رحل في حضرة
أنه امدد وعلى هذا السطح لا المزاج بين بدو وبدو هذه الحضرة . وفي أطراف
بادية الشام يشهد المظهر اليوم ما كان في شجرة وسقى بين البيوت والخيول .

وليس البدوي عجزاً لأنه القواف والمخول على غير هدي أن به يخل ففعل
من استطاعه الأسير من التكيف لموجب مقتضيات حياة بدو . لذلك فهو اندا
ساع إلى المزاج الحضرة المحدث . فب من ماء وكلاء . والبدوون من شكل مسبق
من الشكول الحية بالأنه مقتضيات البيئة في النمو ملاً كما تلاحظ الحية الصاعدة مقتضيات
البيئة في درجوت و مستقر .

وبعد على أن العلاقات بين أهل المدن وأهل البادية عوامل من الخجول
الطبعة التي تحلب الصالح الذاتية والرغبة في المحافظة على النفس . فالبدوون عجز
على أن من حقه أن يسب ما يحتاجه من موارد العيش التي تفتقر ونعم به حرم

احصري المحفوظات - وقد يستعمل كبد المدوي كاحصري فيعبد الى الصف - القارات -
ونكه في الغالب معخذ الحليب سبعة - كالمثغة - فالمدوي ثابته فرد من « قرضان »
البر والخرى سائر من سميرة التجارة ورتما اجتمعت فيه المراتب - والمادة التي
يشتمل فيه المدوي قرضان البر لك كل بحر في بعض الخصائص الظاهرة - والبدو
على هذا عمل من عوامل البحر كاحصر حين يختلطون به بازواج فيشتمل عن هذا
التحريك جيل جديد فيه حيوية جديدة وطاق.

والمدوي ^(١) يقتصره حب من جسم اسير لا يزال على حاله الى اليوم كما كان
بالأمس وكما سيكون في الغد حيث ان شغل ثقافته لا يتغير الا - وليس التطور
واقعه وانما هو من التراجع الذي ساق به من مقدسه - فهو مثل هذا كعش
مخاضه لخصه مدعة شديدة من عرات الارض الخبيثة واعدات القرية - وما كنه
حده من شعر خفيف ووبر الابن - يوت سم - وهو يرى غشه وابنه على
الارض له اقدسة غيب وفي معنى مقدسه غيب - وغشده من ارضه لاعداء والابن
اولا - وارضه الغيب ووبره وحيد ومن عرات - هي له - هي له - يغشه - وهي
اعمال الواحد الذي يخدم الناس - يقوم به - ويروى ينادى الزمانه والصدقة
وتغيره من وجهه حرف ولا تفر وجسد له غيب من غيبه - ولكن سرعان
ما يرون غشه حقة يمدوه هذه غا - يرحم الله المحررين - وقد قمت في افسال
الخصب دون كبري نعمه ذات وذهب ما في وفي شعري - فلهذا فاندو كانوا
ولا يرون فيه كما هو ان - شدة - ^(٢)

وقد احتكر سعة في سيرة اوب سوب في السيطرة على كل ذي حيدة
في شعراء وهذا سوب هو مدوي وانج والمجد - وقد اصبحت يب شيا رام
هو اربل عرفت شقيق الارعة الفطرية يشوب بولية حيدة في الشعراء

١ - على مخطوطة - نسخة - مصر - ١٩٢٥

٢ - انظر غريب - سور وحاتم لارمن ليمفرويا - من هو من لاسمية في ذلالات
لاسيمة ولاسيمة في غريبها ان سوب

في آسية الغربية في ألف القرن السابع لميلاد وفيه دعوا الفتوح مغربي واسرفوا
في القتل ان الحرب خدعة .

ومع ذلك فان مدأ الضيقة عند الحرب كان يخفف الى حد ما من شر العزوة .
وقد خلف حب الكرم والضيقة مد فم في نفس السدوي بالفتوة من حبس
المدوة محلا للقصص والعبث حيث استطعت الفكرة الانامية فكرة حياة الضيف .
ومم يمكن في السدوي من صلات الفص والاسكار لمدوة فم انما ضمن الظافر
المدوة الى محض لمدقة . وقد نفي شعراء جديبة وهو مدوقو بومهم فضل
الضيقة التي تنير هي والحدة والبرودة ^(١) من اسمي الشمال التي تميز به الشعب
العربي . ومن كان الزاحف على الماء والبرقي الذي مات عنه معطو لبيت القتل قد
قصي ان يلق سكر المدوة قد في سدوي . فعند مد فم في السدوي الشكرت لمدقة
وعجزهم مد مدوق الضيقة لمدية لمدوة ان وفيه الامس حدة مد مدقة
ان المدقة . وكف مد فم على الضيف بوم في بلاد لا عرف فيها
المدوق ولا المد . ومتى كان لمد فم مد فم في المدقة من مد فم . ان قد
مد الامد في الحرب . في الحرب والشرف والفضل ومما ان في مد فم وهو
الحجر الحفظ

السبع

وهذا اصول المدوة المدقة في البوادي رمية ان في لودت وكانت لاول
عندهم تركيز على مد فم العجوة والحد من في المدوق التي سبقت عصر الحجر الاسود
ومن زعم في الجزيرة وعصر مت ان في فلسطين . وما كان السدوي عيم كثير
ومن مد فم . وقد ورد في القرآن - الاعراب عد كثير وعدة - (البقرة ٩٨) .
وقال الله ان يوم هذا لا تطعون رسول لا تقول ^(٢) .

(١) Ignaz Goldziher , Mohammedanische Studien , II : 1 (Halle, 1889) p. 13 .

(٢) من راجع في تاريخ المد فم .

المناشر

تقوم الهيئة الاجتماعية عند البدو على نظام العشيرة ^(١) ووحدة الأسرة التي تمثل الواحدة منها الخيمة أو البيت . وأخي عشيرة عن مضرب من مضارب الخيام والعشيرة التي يطلق عليهم لفظ قوم . وتتألف القبيلة من اقواء أو عشائر تربطها الواسع النسب . وينظر أبناء العشيرة الواحدة بعضهم إلى بعض كأنهم دم واحد . وهم يؤدون الفدعة لرئيس واحد . هو كبير العشيرة . ويتصدعون إلى الحرب بصيحة حرية واحدة . ويرجع اسم العشيرة في العرب إلى الجد الأول الذي تنسب إليه فيقال مثلاً بنو نعيم أو بنو شيبان وهو جراً . وتظهر من أسماء المناشر المؤنثة آثار العصر الذي كانت السادة السانبة فيه أصل المجتمع البدوي . وترجع الزاظة في كيان القبيلة إلى العلاقة الدموية سواء أكانت حقيقية أم وهمية . هكذا كان النظام الاجتماعي عند العربيين في العهد القديم الذي حفظت أحاديث التوراة وهو نظام عشائري قائم على إزعة الأب . ومطابق لفظ المناشر العربية . ومن ذلك يقال في سوي العرب من الجماعات السانبة في بني واثور .

وتعتبر الخيمة وما فيها من أثاث حريم مسكناً مقدساً لا يمس ولا يجرى والأرض المقدسة للزروع فهي منك مشاع للقبيلة كلها .

وإذا اقترب أحد حريمه القتل ضمن نطاق عشيرته فبمس ثمة من يدافع عنه ، فإذا فر الضيف طريداً . ولكن إذا ارتكب حريمه في عشيرة أخرى قتل حدود المناشر وأصبح كل فرد من أفراد عشيرته عرضة للعدو .

وتقد قتلت شريعة البدوية القديمة أن الدم لا يغسل بالدم . فكان لا يقبل حراً آخر غير أحد المناشر إلا في بعض الحالات حين يقبل أهل القبيلة دية ، وتلقى المسؤولية عمومًا على اكتف ذوي القربى من الأسرة . وتقد اخترق عداوة

(١) مؤاد حمزة . قلب جزيرة عرب . ص ١٩٣٠ . من ١٩٣٠ - ١٩٣٦ .

الدماء اربعين حولاً كما جرى في حرب السويس التي دارت بحده بين بني نصر
وبني تغلب . وكان ذلك بعد غزو الخديوي محمد علي العرب بمصر في اواخر الدوايق
التي كانت بينه وبين مرادون امر العدو المموية الا ان كثير من هذه الحوادث بلا
ريب منها عوامل اقتصادية حقة .

وبين من كثر على الحدود العربية من حصره سنة ثمان مائة . وهذا فعل من
لا قبيلة في بلاد حجاز . حرب شديدة دامت في سر مسطير . وثمن
كان ليس الا انساب في غيرة من الغيرة وقد على سنة الدم في حيزتها ايضا
طرق اخرى كان يشارك المرد مع هذه الغيرة في حرب الانساب اليها كما كل
او مشرب او انصاف قطرات من دم العدو وراعه بمن الى الكسوة سنة الدم
به . وقد ورد في تاريخ هيرودس ذكر هذه الغيرة سنة ١١٠ .

والا انما عند من مصادره على هذه من غلب علاقته بالاسيرة التي سب
اليها سبده فبصيح من التواقي . وقد دخل عرب عن قوتهم طائفة هؤلاء فيهم فبين
(دحيلاً) . وكثيراً ما فعل الغيرة الصعبة على الدحول في هذه الحرب
مصاديق المذبح في على ماف كآبه . ولا سكاوت الصعبة وهذه التواقي بين
جموع الغيرة الى فدان صغيرة لخطا جميع بدكرت سب القديمة . وبالعكس
فلقد بعد انما الغيرة بقصد انصاف والتواقي في الدحول عن الناس فببصيح
الصغيرة في الكبرى . وهكذا كانت على وفطنت وسب وسواها وهي في الاصل
احصاف من قبائل شمالية . وقد كانت دوراً مهم في تاريخ العرب ولا يزال لها
سلاطة الى الآن في ابدان العربية .

وهناك عدة في الحياة الدينية شبه هذا . وهي تبيع للعرب الدحول في خدمة
حرم او موضع مقدس ^(١) فبصيح عندهم مولى لرب ذلك المكان . ولا يزال
حجاج مكة الكريمة الى يوم هذا يعرفون - « غيوف الله » . واما الغلات

الذين يتسبون إلى مسجد مكة أو غيره من المساجد العظيمة ويسمونه المخاويرين
« أي مجاوزي الله » .

العصبة

العصبة روح العنبرة . ومن ترويضها عن العبد روحه الذي لا حد له لأحواله
من الله العنبرة شكل يتألف مع مائة من العنبرة . وعصبة متطرفة في المنطق
السياسي الخلدت . وقد قل الشعر العربي :

« فحفظ عشرين الأديب في دمه » .
« هذا عرق من رايح ومارب » .^(١)

وما هذه العصبة العنبرة الملائمة التي ألفتت في عترة لا صورة ~~بصورة~~
الاستقلال العربي الذي ظهر في عترة . وهي حدود في النفس من عترة
أو القوية . حسب كل حال . هي مائة عترة فنة مائة عترة عن عترة
مطابقة العترة . وهذا حسب كل عترة أو عترة عترة مائة وعصبة باردة
بحسب هذا فيها العترة والسبب ومن ثم هذا الإسلام فستد من المنطق القليل في
الغرامه العربية . ففهم العترة إلى عترة على عترة عترة . ولكن المستعمرين
في الأوامر المنوطة على عترة عترة . وكانت مصرح بالحقون في الإسلام
من الشعوب المنوطة مولي الله هذه القوية أو عترة . وما نفس الآية على هذه
العترة التي ظهرت فيها أرواح العترة والعصبة في من القوية بل إن اعدام
الشعور الأجمعي على هذا مائة في النفس العربي بنية القرون التي قدمه العربي والرفق
فيها بعد أرواح الإسلام وكل ذلك من حواس اعدامه التي آتت إلى الخلال القول
الإسلامية المختلفة وسقوط .

التبج

يشمل العنبرة رئيس رسمي هو الشيخ . وليس الشيخ زير الله كما صورته

(١) الجزء ١ : السكك لشرو . ريت (بيلغ . ١٩٥٥) ص ٢٢٩ .

هوايود في أثرها الناطقة والخاصة بل هو المن المقدم على أفراد القبيلة الذي تظهر زعامته بما يديه من أمانة الرأي والنسخة والشجاعة . فتقدمه على أهل القبيلة مبني على كبر سنه واختلافه الشخصية . وليس الشيخ صاحب الأمر المطلق في الشؤون الشرعية والحربية وسواها . بل يفرض عليه مشورة مجلس القبيلة الذي يتألف من زعماء البطون والأفخاذ . وبدونه تمتعه بهذا المركز الذي ما دام ولاء القبيلة حليفه . والشيخ في العصور العربية الأولى كان يسى سيداً أما اليوم فقد خضع هذا القلب بذيبة الحسين سبط الرسول - ابن علي وقاضيه .

والمرءى عموماً والبدوي على الخصوص دينقراطي الحرية . وهو يعامل زعيمه الشيخ انشروع معاملة الأكفء والزماء . فكان الهيئة الاجتماعية التي يعيش فيها قد سوت بين الناس على الإطلاق . وقد كان يحيى البدوي في أماننا أن حصرة أمك حين بالحجاز فبقف تحت نافذة القصر وبدى : « يا علي » ^(١) ولا غرو أن لقب ملك لم يكن يستعمله العرب إلا إذا شذوا الأشدة إلى الملوك الأجانب أو ملوك غسان ونظير المتأخرين بالتفويض الأجنبي . ولا يستنى من هذا القول إلا ملوك بني كندة . وينسب إلى الخليفة عمر كلاً مرمو أن العرب . والخطباء هم ملوك العرب . على أن العربي أرسقراطية لا يقل عن ديكتاتورية . فهو يؤمن أن فيه انحصرت مقومات الكون الإنساني ، وأن العرب أفضل الأمم وأعزها . وبه الرجل المتمكن في نظر البدوي المعجب بنفسه لا رجل أقل منه سعدة وأخط مكالمة . وبخبر العربي أن ذلك بشوة دمه وفصحة لسانه وقوة شعره وسيفه وجواده وأعظم من ذلك كله فخرو بسبه المجيد . وهو كثير التواضع يرجع إلى الأجداد العريقين وقد يربط نفسه بهم . وقد فخر الخجاج ابن يوسف عامل الأمويين الشديد على العراق يوماً فقال : « ما بدى أمة بيني وبين آله ما خلا هاجر » ^(٢) . وليس بين الشعوب غير العرب من رفع أمر معرفة الأسب إلى مرتبة العنود العالية .

(١) ابن الأثير في تاريخه (بيروت ١٩٢١) ج ١ ص ٢٦ .

(٢) الجاهلي ، البيان والبيان (مصر ١٩١١) ج ١ ص ٧١ - ٧٢ .

وقد كانت المرأة الهندوية في الجاهلية تتعبد بحظ واقف من الحرية لم تعرفه اختها
الغريبة وظلت كذلك في الاسلام . ومع ان تعيش في بيته تقر تعدد الزوجات
وتخضع لنظام يجعل الرجل بعلًا اي سيدًا لها فنهيا كانت ولا تزال حرة مستقلة لها
حق انتقاء زوجها او هجره اذا لم يعش معشيتها .

ويمتاز بنو البادية بالقدرة الفائقة على فهم التقوى الأخرى حين تعين لهم
الفرص فترى اقوى الكامنة التي كانت مستكنة أحيانًا طويبة قد بنيت فجوة
بفضل البوائت الملائكة ومرت عمل عبودية وشدة . واتد نسج هذه القمص في
الهلل العجيب . فهذا حمورابي ظهر في بابل وموسى ظهر في سيناء وزنوبيا في
بدمر ، او هارون الرشيد على سرير الخلافة في خداد . وهذه آثار أبيية قد حنفوها
مثل البقراء لا تزال الى يومنا الحاضر شجر أعجب لعمري . وأنت هذا الازدهار
العجيب الذي رآه في فجر الاسلام نابع في الغالب الى تلك اقوى الكامنة التي
امتاز بها البدو الذين قل فيها الخيفة غير . اللهم أصل العرب ودمه الاسلام» (١)

(١) ابن سعد ، كتاب الطبقات الكبير نشر تدوير ساحر . لندن ١٩١٠ - ١٩٢١ (المجلد
الثالث ، الجزء الأول ص ٢٢٦ .

الفصل الرابع

العلاقات الدولية الأولى

حرب العرب

قد أخذ في القبول - لغة عظة عرب على جميع سكان الجزيرة عريف
النظر عن مدلتهم الجغرافية وحسب عند الآن أن عريف بين عرب الجنوب وعرب
الشمال الذين سيطروا أهل نجد في أواسط الجزيرة - وكان سطح الجزيرة ينقسم
إلى مدلتين شمالية وجنوبية متصل بينهما محاورات غير معروفة ، كذلك ينقسم
سكانها إلى جماعتين تميزوا بالجماعة منهم عن الآخرين .

وعرب الشمال في العاصم من الشام يسيطرون في سوت من الشعر في نجد والحدود
أو عرب الجنوب - كما نرى من الحضر يقطنون اليمن وحضرموت وما حاورهما
من السواحل . ولغة الشمال هي لغة القرآن في اللغة العربية المعروفة ، أما أهل
الجنوب فقد كانت لغة قديمة قديمة - لغة - وحديثة وهي تمتد إلى اللغة
الخشبية عملة . وعرب الشمال على العاصم مستعابوا الأقحاف أما عرب الجنوب
فمستعابوا غموم . لذلك فلاوامر الجبهة تربط الشمال بالقواء البحر المتوسط بينما
يربط الجنوب بالبحر الأحمر في آسيا بالأندلس أو الحبش أو العبراني . وهو
يقترب لغة الفلك وهو الألف وسط الخدين وعزارة الشعر . وقد سبق عرب الجنوب
أخواهم من أهل الشمال في خوض ذروة المدنية فاشوا حضارة وحضارة راقية وأما
عرب الشمال فلم يصلوا إلى مسرح الشؤون الدولية حتى ظهور الإسلام .

وقد ظهرت آثار هذه الميزات القومية بين العرب والشعوب به وحفظت في

السبب الذي كثر فيها فراحوا يسمون شعبه قسرين : أولا : العرب المدة ومنهم
ثمود وعدن . وقد ورد ذكرهم في القرآن . وصار وجدس . وثانيا : العرب البقية
وتعود قومه عروبهم التاريخ فقد ذكرهم الخطوط الانسية في مدونات سرجيون
الثاني .^(١) وعروبهم الخط كذب اليونان ويرومون باسم « ثمودي »^(٢) والتحق
أخصى بركة في القرن الخامس ميلاد فبق من نخبة اليهودية . ثم بعد عدد قليل
اليهم حكموا حضرموت القديمة . ثم بعد السدس فسمون العرب الدقية الى
ثمودين عظمين : العرب العرباء و العربية والعرب السعوية او النعوية . فاعرباء
لي زعيمهم هو اهل بين النهرين سموا من فحط (فحط في المودة) وهو سكان
البلاد الانصورية . ثم السعوية والحجرون والمجرون والاساطير واهل سمر -
وحجوبهم من سائمة غدير . وهو من سائمة السعول - فكأنهم عرب دخلوا البلاد
وأسمو حجب . وهذا هو هذا فحط السعول العرب كتحط بين وعديين
المعروفين المعروفة بين عرب الحبوب وعرب النخيل . وقد فطت الأموال المتوعة
والأسباب الاقتصادية . فخرج بعض فحط الحبوب الى ربيع الشمال الاقامة فيها .
وما اهل المدينة الذين السعول الى حيرة رسول الله يوم فحيرة الاحدثة من
السبيين . وكذلك هو بعض المدن السعول في الترفية والمجربون الذين زلوا
احيرة بالرافد . على أن فحط الذي السب اليه الرسول كانت من رار وهي من
الدوحة النعوية .

وله ثلاث الفوارق بين هذين موضحين العربيتين الى الآن في الاختلاف
بينهم واتحاد على الرغم من جدوة الاسماء من توحيده العرب والمجرب بين فحطهم
واحد امة عربية واحدة .

D. D. Luckenbill, *Ancient History of Assyria and Babylonia*, vol. II (Chicago, 1925), pp. 17, 118.

Phay, *Natural History*, III, 11, 32-33.

١. المعرفات العربية المصرية

كانت جزيرة العرب اسبقاً بفصل بين مركزي الثقافة القديمة - مصر وبابل، وربما كانت البعاب في الهند مركزاً ثقافياً كذلك ففصلت الجزيرة بينها وبين بلدان الغرب أيضاً، وعلى الرغم من أن الجزيرة لم تقع تحت سلطان الثقافة التي توعزت والزهرة في وادي النيل ووادي الرافدين، فإنها لم تستطع أن تتخلص من تأثيرها^(١). على أن ثقافة الجزيرة في قرآن كانت ثقافة محلية مرفقة بما كانت الثقافات التي نشأت على سواحل البحر، وقد أصبح سكان الجنوب الشرقي منها ارباب بحارة وتجار توسعوا في سوق التجارة بين مصر وما بين البحرين والهند - وهي مراكز ثلاثة مهمة لتجارة في العصور القديمة - وما بينهم تسمى البحر الغامض بين هذه البلدان.

وقد كان الناس بين افريقية والجزيرة في الشمال عدد شبه جزيرة سيناء حيث يمر خط بري، وجنوباً حيث قرب الجزيرة من افريقية عند باب المندب، فلا تقول دون اتصالها إلا مسافة خمسة عشر ميلاً، ويربط البحرين في اواسط ساحل الجزيرة الغربي خط يقطع البحر الأحمر إلى القصير فوادي الحوتات قناة السكاف النيل بالقرب من طيبة، وكان هذا الخط الأخير أهم خطوط الاتصال الوسطى. وقد احتضرت السلالة الفرعونية الثانية عشرة (نحو ٢٠٠٠ - ١٧٨٨ ق. م) قناة فوق النيل تربط النيل بالبحر الأحمر. واعد البطانية معاً هذه القناة وهي قناة الام الأولى قناة السويس. وجدت دول الاسلام وعدد الخلفاء فتحها وبقيت إلى أن تم اكتشاف خط رأس الرجاء الصالح (١٢٩٧ م) المؤدي إلى الهند.

نحاس سيناء

لقد كان مبعث اهتمام المصريين في شبه جزيرة سيناء، ما فيها من مناجم

(١) تناول بعض العلماء في الآونة الأخيرة من امر الجزيرة الجنوبية وهل كانت مركز ثقافة سبقت ثقافات آسية وافريقية، فان Crawford, The Geographical Review, vol. (1926) pp. 73-91

النحاس والقيروان المتوفرة في وادي مغارة جنوب سيناء قريبا من البلدة المعروفة اليوم بالطور . وفي العهد السابق تعبر التاريخ المصري كان بدو سيناء يسمون هذه المنتجات الثمينة في اسواق وادي النيل . وقد تولى فراعنة الثلاثة الاولى شؤون التعدين في سيناء ولكن لم تنتج دور استخرها الزاهر الا ايه سنفر (نحو ٢٧٢٠ ق.م) من فراعنة الثلاثة الثالثة . وكانت الطريق المفضي التي تربط مصر بسورية وفلسطين وتصل منها الى انحاء افلاان الغصب وآسية "مصرى" - وهي اول طريق اسيية ساكن الاثني في التاريخ - ينحى منها فرع جنوبي غربي الى مسجدة النحاس والقيروان في سيناء . وقد عثر الاثري بترى سنة ١٩٠٠ على قطعة من الزجاج في فريخ ملكي للسلالة الفرعونية الاولى في ايدوس تحمل رسم رجل سمي من النوع الارمنوي كتب عليها « اسيوي » ويحمل الرسم رجلا ذا خبة مروسة حديق الشربين ولغله من غرب الجنوب . وهناك نقش آخر اقدم عهدا من هذا العهد الى السلالة الاولى ايضا روى فيه زعيم بدوي يحمل البدن برر نزار وهو يترجف متذلا لده آتيره المصري الذي هم بهراوة بنوي به سحق رأسه . وهذا الرجل هم اقدم رسوم التوحيد التي تمثل البدو . ويحمل قفلة بدوي في المصرية « عمو » ومعناها بدوي او اسيوي . وقد ظهرت كثيرا في الدورات الاولى وهي تشير احيانا الى البدو القاسين حول الاراضي المصرية وخارج نطاق الجزيرة . وان اول مصري زار فلسطين وابنى لنا اثرا بقي عن اخير رحلته هو سنوحي الذي ظهر في دولة المنصحت الاولى (نحو ٢٠٠٠ - ١٩٧٠ ق.م) وهو يشير الى نفسه بقب « ملك سين البدو »^(١) وفي اثر تاريخي آخر كلام يشعر بان المنصحت الاولى مع حالي على « البدو غرق شملهم مثل الكلاب الضالة »^(٢) .

الباب

ولقد توصلت الصلات بين جنوبي الجزيرة ومصر ايمه الثبات مصر صلات

Breasted, *Ancient Records of Egypt* (Chicago, 1906-7) vol 1, ch. 430 (١)

vol. 1 ch. 483 انصرفت (٢)

تجارية مع فوط (بنت) والنوبة . وقد ذكر هيرودس ^(١) ان سينوسيس ،
والاينى ان قبل سوسرت الأول (١٩٨٠ - ١٩٣٥ ق. م) من السلالة الثامنة عشرة
قد فتح الامصار النخلة ، خليج العربي ، وخليج الشقة لأفريقية من البحر الأحمر .
ثم كان السلالة الثامنة عشرة انطون في البحر الأحمر . ولكن منذ عهد السلالة
الخامسة كان هوري (٢٧٤٣ - ٢٧٣٩ ق. م) قد أرسل أول حملة بحرية بطريق
البحر الأحمر إلى بلاد الحبش ، ففتح لهم بلاد الصومال على الساحل الأفريقي .
وكان لهم مدخل مصر إلى مواني الجزيرة هو اليمن الذي كانوا قدروه
كثيراً إذ كانوا يعرفونه في هذا كيبو ، وسموه في خليج موانهم . وكانت ملك
المدن من الجزيرة غلبة هذا هذا الملك .

وكانه يرحلون مصر على النوبة ومنه إلى فوط (الصومال الحديثة) إلى
طريق الأماطورية المصرية المعبرى عن رحلات حتى سارت إلى هذين المدين في
ملك " النور والشمس " الفراء ، ورسيع والاحداث ، إضافة منها حملة مودنها
حسبوت الملكة (نحو ١٥٠٠ ق. م) إلى فوط وهي أول امرأة صعدت القديح .
وكان حلفهم أنفسهم " الملك " ، ووجع مصر القديمة ، فقد عادت سعة من ملك
الأحمر ، حملة مراثف " الفاح والابوس " ^(٢) ولأفريقيا ، وحمود الفيود " . وقد كانت
المن في الجنوب العربي من جزيرة نجر ، وهم تسع السبعة أيضاً فلا يستعد ان
المصريين انما احتلوا غلة فوط على المدين المدين عسل بينهم باب لندس . ووطن
الذهب أيضاً كان صدر من الجزيرة . وكانت نجرة المحور الآتية من جنوبي
الجزيرة ثم وادي الخدمات حيث أصبح ذلك الخط الأوسط أهم حلقة الاتصال
بلاد العرب الجنوبية . واشتهرت حصرموث ^(٣) وهي بين اليمن وعمان بابا كانت
رأس المحور واليمن وكانت مسحتها في التقديم اعظم منها الآن لأنها كانت تشمل

١. BL. II. ٢٥. ١٥٢

٢. نسخة " أبوس " هي من اصل مصري قدمه " هسي " .

٣. هي حصرموث في الجزيرة بـ ٢٩٥٠ .

وهو سليل سرجون (أول عظماء الساميين في التاريخ ومؤسس الدولة الأكديّة في وادي الفرات) وخليفته وهي نفس على انه الخضع « مذن » وغلب سيدها مانيوم^(١) وأبناؤه غوديا (نحو ٢٤٠٠ ق م) وهو البتيسي (تقب الملك أو حاكم المدينة عند السومريين وكان ياتوه بالحيات السكهنوت الى جانب رؤاسته السياسية) السومري حاكماً لغش انه در حملة على « مذن » و « ملوخا » متنبأاً للتجارة والخشب لبناء هيكلكه . وقد ائمن علماء اللغة الآشورية في تفهني اسم هذين الاسمين الدالين على مكابين ولعلها اُخذت أولاً على تقنين معنيين في ترفق الجزيرة واواسطها ثم في العصر الآشوري حملوها اسمين موضوعين أبعد مدفة بفن اسم في شبه جزيرة سبته أو إفريقيا الشرقية . ورأى بعضهم ان ملوخا موطن العمالة في سبته ، بخوار البترا . ولا تمت مقالت من حيث الانشاق بصفة الى مذن^(٢) وهو اسم الواحة المعروفة في شمالي الفجر (وهي الآن في شرقي الأردن) وكانت على الأغلب مستعمرة قديمة على مرقى اتوافق التي ذكرها كتب اليونان والرومان ، ومنها يمكن من ايرادنا في هذه السكتة الاسفلية اول اشارة مدونة في التاريخ الى موضع معين في الجزيرة وفي قومه من العرب . وفي كنية اخرى اقرب عهداً خلفها لنا اردنا (نحو ٢٣٠٠ ق م) ذكر ارض « سبو »^(٣) . ولا سبيل الى التسمي انها هي سبأ العربية .

وجاء في النقوش الاسفلية ذكر « الارض البحرية » وكانت الرئي السائد الى الآن انها الاغوار الواقعة الى الشمال من خليج « المعجم » . غير ان هناك نظرية جديدة تجعلها جزءاً من الجزيرة نفسها يشمل شواطئ خليج « المعجم » الغربية الى غيبة جزيرة البحرين (دبرون قديماً) ، وربما كانت الاراضي البحرية تشمل ايضاً النفود حتى

(١) F. Thureau-Dangin, *Les inscriptions de Samir et d'akkad* (Paris, 1905), pp. 238, 239.

(٢) سبون أو معون الجرائين (فضاء : ١٠ : ١٢ : سفر الأخبار ثاني ٢٦ : ٧)

(٣) Thureau - Dangin, *Les inscriptions*, p. 213

فقتل بالامر الثالث من قبل من وضع يدا فوق احدى العرب .
 والسنة سرجون الثاني (٧٢٤ - ٧٠٥ ق. م) وبع كركاش والبرقة منه في
 السنة السابعة من حكمه خضع قوم من حنانيا فيد ثمود (ثمود في القرآن . هود :
 ٦٤ الخ) وابديده " الذين يكتون النعمة ولا يقرؤن كثير " او سمعوا من الحكماء
 فكل به شكلاً وفي قصده الى البرقة .^(١) وبقى في الوقت نفسه من بني
 ملكة بلاد العرب والعبر (على امر) وغيره من موافق من موافق مصر واحدة
 جزيرة من " الذهب وحصائل الخيل والحجارة الكريمة والماح ولبون
 الاسفند (:) واولاع حلتل وحل ولاء . جزيرة ارمو وشرين " .^(٢)
 والظاهر ان العبراء هم الذين قال " تقي ارمو " الذين كان واحدهم يسمى " مكرب " في
 نفوس عرب الجنوب الحرة . وكذلك خضع كركاش موافق من الذي ادعى
 منحرب له احد الجزيرة منه فاعاد كل من عرب الجنوب الغربي . ونطق
 اسمه على اسم كركاش هو الذي في نفوس الجزيرة .^(٣) ومن مبع ذلك قد الجزيرة
 التي زعم ملك الاشوريين السلام الا هذا وساهبه . في الحرب من ارمو الجنوب
 اختيرا وهم مطروون الى سيد اشور بقرعة اند الى اند او اخذ الى حنانيا .
 واحدهم . اندوا والاشوريين على صد غارات ارمو وحمو من ارمو اشور .
 وحوالي سنة ٦٨٨ ق . م . خضع منحرب " ارمو و مطلق بلاد العرب " .^(٤)
 وحمل آفتم الى بنوى وسر مكتبة التي كانت في الوقت معه كاهنة الآفة .
 وابست ارمو الا واحدة التل التي سمعت شوا غفيرة هذا على عهد المنوح
 الامامية وعرفت بدومة الجندل . من النكة واسم محبو (ملحنو) فكانت قد
 حازمت البابليين الخارجين على سلطة اشور وساعدت حزائيل سيد قبيلة قيدر (كدري
 في الاشورية) الذين كان مقرهم في وادي الذر .

Luckenbill , vol. iv , § 17. (١)

" 18. (٢)

Nielsen , Handbuch , vol. 1 , pp. 75 seq. (٣)

Luckenbill , vol. iv § 518. (٤)

وانضامت بزرگ اعنته التي وقعه اوتوغ بين حركاتي الذي خلف والده فاجده
اسير بدون (٦٨١ - ٦٦٨ ق.م) حوالي عام ٦٧٩ وخطب اوتوغ ان « مغفرة بحبه
لينجو نفسه . فخر وحيد وسير الى الامم عبيدة » ^(١١) . ويخيل لنا ان اسير
كانوا شوكة في قلب الدولة الاشورية وكانت مدفعهم مصر وادي في الثور في
الامرهم الى اعلى كانت رحب . سنة ٦٧٠ ق.م اوتوغ قد عن الاط
فمنحز حركات الاشوريين عن مقاربه . وكانت سنة ٦٧٠ ق.م موطن الدار والحق التي
بنتي في الفاح . وفي عام ٦٧٠ ق.م من بعد سنة ٦٧٠ ق.م حمله عبيدة على القدر
المصرية ثم وطأ حتى جزيرة التي بعته بلاد قصير و ديرة شدر من همد
« اوتوغ ذوات رئيس ورجل مرعفة في الحروب » ^(١٢) . وقد ذكر النعم
(٦٦٤) عن اوتوغ حروب الامم وفضل على . واكد هيرودس ^(١٣)
ان الاوتي منسوبة في جميع اقطار . سنة ٦٦٤ ق.م حركت بحرية فلا ترو الا في
بلاد العرب تحت حركات كاهن .

وفي اعقاب النسخة التي حركت في شوبان (٦٦٨ - ٦٦٩ ق.م) على القدر
العربية كل مصر عبيدة وفي نفس على اوتوغ وحملته مد عراك فلول وقرت
له هذا الخبر عن حمله :

« انتدبت بحايه ومذاق الفول . مكى [بدوا] منهم كانوا خوه صفارهم .
وكان سوان اهل بلاد العرب في حبه . فط - الواحد لأخيه : « ما بال بلاد
العرب قد احدث في هذا الامر منطير . » فاحده فلاح : « تلك عاقبة كند
المهد اوتوغ الذي قتلوه لاشور » ^(١٤) .

واخير . اشور بارسا كتيبت مع الاشور اوتوغ فقال : « حبسته في مرط

Lucienbill, vol. II, p. 226 - A

Lucienbill, vol. II, p. 258 - B

Bk. III, ch. 193 - C

Lucienbill, vol. II, p. 256 - D

الكلاب . اويته مع بنات آوى [٩] والكلاب واقفه على حراسة الباب في
بنوى ... » ^(١) . وكان اويح حليف أوتبع سيد الأباط (يابطو) فزحف
اشور بانيبال وقواته عليهم وحاربوهم « في رمشاء البيرة وقيطها حيث لا ترى
طيور السم ، وحيث لا يرى العير [حمار الوحش ، الفراء] ولا الغزال » ^(٢) .

وفي سجلات الاشوريين اشارات كثيرة الى زحف العرب « يقبلون اوجبل »
ملوك بني رافعيين اليهم الهدايا فيها الذهب والخضرة الكريمة وانواع الكحل ،
واللبان والخل والخير . والواقع ان الارب متوفرة عن زهاء سبع حملات جردها
سرجون الثاني وسنحاريب واسرحدون واشور بانيبال نضفة قبائل البدو التي لا تقهر
سبب مضيقهم لتملكات الاشورية في وادي النهر واعتراضهم طرق القوافل
التجارية وتلقيهم «عون والمساعدة من مصر وسهل عدواني اشور » . واما غطفاء « أربي »
و « أربي » الواردان في مدونات هذه الحملات فهما ببلاد على البدو بالأكثر
وبلادهم نسبة « أربي » شمل في زواجر مائة الف وشبه جزيرة سيناء وشمال
الجزيرة . وفي سيناء كان اهل يمدية الوارد ذكرهم في التوراة هم الذين خصموا
لاشور وليس الاساط لان هؤلاء ، واسمهم « ميطو » ^(٣) و « سبطاي » على اسطوانة
اشور بانيبال النقطة الخيرة حتمه السبعة ، لا تكن قد استقلت قدميه في سيناء بعد ،
اما السبيون الاسبيون من اهل الجنوب فم بعضهم قط لبنوى ^(٤) ومع ان
الاشوريين يدعون بحق رومن العلم تقديم فبه لا يستقيموا ان يمشوا سطرتهم
الا على بعض الواحات وبعض القبائل في شمالي الجزيرة . وذلك بصورة اسمية فقط ،
ونيمت سبلاي التي ابن الميت الا « بلاغات رجمية » فعد به « تمكين الخواطر »
في مناطق موذمه .

Luckenbill , vol . i , § 819 . (١)

Luckenbill , vol . i , § 823 . (٢)

Luckenbill , vol . ii , § 823 . (٣)

Alois Musl . *Arabia Deserta* , (New York 1927) p . 57 - 78 . (٤)
Northern Hegaz (New York , 1926) p . 268 - 82 .

تتعلق سقوط بابل (٥٣٨ ق.م) على يد الفرس . قد كانت هذه الواقعة ان نبوخذ
يؤمنه كان في « آل نين » وذلك في سنوات السبعة والتسعة والعاشر والحادية عشرة
من ملكه نين كان ابنه [نين شاصر] مع اجند مقبين في البلاد البابلية ^(١) .
ويتمتع حينئذ اكتسب م حمل موبيد الى نين . وهي شئون سياسية خطيرة ارتفعت على
سكنى تلك الواقعة الحقيقة يصرف عنه قبل الى الله . اجتمع الفرس فيمقد محالة
عند كورش لم كانت له مآرب شخصية من ونه الشديد بالتقريب الآري او له فر
من سهل بابل الله . نشر الفرس التي نشرت فيها . وقد قدر الرحلة دوني ^(٢) ان
نينا على نينش ٣٥٠٠ قدم فوق سطح البحر .

وسنة ٥٢٥ قبل قير . وهو ان مؤسس الدولة الفارسية وخلفه ، بشلي الجزيرة
عزف اقواب وهو في طريقه الى غزو مصر . وقد ذكر هيرودوتس ^(٣) في صدد
الكلام عن داروس ما عده : « وقد اشرف على جميع اقواب آسية الذين كان
قد ذنبهم كورش ثم قبله معه لا العرب . فيؤلا . ما يجمعوا التفة لسلطان فارس
اما كوا الحلاف ، وقد مهدوا طريق سبل التوصل الى مصر . واولاهم ما امكنه
القيمة هذه القيمة » .

وعلى « حجر نين » الذي ابعده هوبر (١٨٨٣) وهو الآن في المتحف ، نجد
نقش هو من اعظم النقوش التي كشف عنها حتى الآن قيمة . ويرجع تاريخه الى
القرن الخامس قبل الميلاد . وهو مكتوب باللغة الارامية وفيه ان احد الكهنة استقدم
الله جديدا الى نين يدعى « صدم هعاه » فتم فيكل الاله المصور وقد وعين له
كهنة وراثية ^(٤) . وقد مثل الاله في زي الاشوريين وظهر في اسفل الرسم رسم
الكاهن الذي شيد ذلك النصب .

Dougherty, *Sabundia* , pp. 111 - 112 .

Dougherty, *Travels*, vol. I, p. 285 .

BL. III, ch. 88 .

G. A. Cooke, *A Text - Book of North Semitic* .

Inscriptions, Oxford , 1901 , pp. 125 - 6

العرب في التوراة والانجيل

تلفظة عرب من ناحية الاشتقاق سمية معناه « لادية » أو « ساكني البادية » وهي لا تعين قومية صاحبها ، وهذا هو المعنى الذي لاقته في العبرانية (اشعيا ٢١ : ١٣ : ١٣ : ٢٠ : ١٣ : ٢٠) وفي التوراة الاعراب هم البدو ، وفي سفر المسكانيين الثاني (١٠ : ١٢) حدث كلمة « العرب » بمعنى « البدو » - وأول نص صريح يعنى هذه التلفظة في التوراة انه هو في ارميا ٢٥ : ٢٥ - « ملوك العرب » - وتوزيع سورة ارميا من ٦٢٦ و ٥٨٦ ق. م. ، وغاب الظن ان « الملوك » المشار اليهم هم من ملوك الشمال وبادية الشام . وما قبل القرن الثالث قبل الميلاد حتى صار هذا اللفظ يطلق على « كل الجزيرة » من كان ، فهذا سفر الاخضر الذي (١٦ : ٢١) يذكر العرب الذين قرب « كوشيين » [لاحسن] « فلا بقي محلا » للرب في ان السكاب عنى قوم من العرب النجيين في جنوب اعري من الجزيرة اي سبأ . ومن جهة الدول الأربع التي ظهرت في الجزيرة القديمة - سبأ ومعين وحمير وموت وقتل - ان أسماء الثلاثة الأولى ، وهي الدول القديمة ، مذكورة في التوراة ، وفي الفصل السابع والعشرين من سورة حزقيال (وفي ص ٥٧٢ ق. م.) وبسبب هذا الفصل فصل الجزيرة ، ذكرت بلاد العرب مقرونة بغيرها . واحصيت سبع جزيرة جديدة للديرة في توقعه من حصائل بلاد العرب . وينتج من الآية ٢١ في هذا الفصل ان عرب القرن السادس قبل الميلاد - انصرفوا الى تربية الدابة منهم ايهم وكما يسمونه ان حيرابهم الخطر . وتؤخذ من ارميا (٢ : ٣) انه كانوا في ذلك الزمن يشبهون قطع الطريق واسب . كذلك يستدل من ارميا (٢٣ : ٢٥) انه كانوا يحرقون شعور رؤوسهم الا حصاة في قبة الرأس كعادة اندو شدة اليوم .

اما ديدان (ترمين في العربية) التي ذكرت مرار في التوراة اشعيا ٢١ : ١٣ : ارميا ٢٣ : ٢٥ : حزقيال ٢٥ : ١٣) فهي العنلا الحديثة - واحدة في شمال الحجاز

« اعظم ابتداء المشرق جميعاً » (ايوبي ٣ : ١) . وبنو المشرق لم يفقههم حكمة الا
سليمان (ملوك الاول ٤ : ٣٠) . واهل الجحوش الذين اقبلوا من المشرق الى اورشليم
(متى ١٥ : ٢) يبتدون بانفسهم كانوا بدواً من البدية في الشمال لا محسوساً من فارس .
وبلاحظ ان نقطة « عرب » في آداب العبرانيين التي ست سببها الى بال
ترمز الى الانباط (سفر المكانيين الثاني ٥ : ٨ : سفر المكانيين الاول ٥ : ٣٩) .
غير ان الانباط ورد ذكرهم بمئات في المكانيين الاول (٩ : ٣٥) . وكانت دولة
الانباط على عهد الرسول وليس تترامى اطرافها حتى دمشق شمالاً وبؤيد ذلك ان
معاكك دمشق تحت امرة ارناس [الخريف] سعى الى القبض على ولس (كورنثس
الثاني ١١ : ٣٢) . ولا ريب في ان « شير العرب » التي اطلق ولس ايها
(غلامية ١ : ١٧) انه هي لغة صحراوية في ارض الانباط كذلك « عرب » في
في اعمال الرسل (١١ : ٢) كانوا في الاربعين انباطاً .

٦ . العرب في آداب اليونان والرومان

وقد أحاط اليونان والرومان عاماً بأحوال الجزيرة والعرب لأن هذه البلاد على
طريقهم الى الهند والصين وكانت منبع السلع المرموقة جداً في سواق الغرب .
وكانت سككها كقربهم اقدم من اهل الشمال الى الفينيقيين هم القبطاء . و
الملا في التجارة بين بلاد البحر الجنوبية واهلها . فمكثوا يقومون بتشيال « صباط
الارند » في مدينتي التجارة الصلبة .

ويقسم كتب اليونان والرومان جزيرة العرب الى اقسام ثلاثة - العربية
الصعيدة . والعربية الصحراوية (منطقة البثراء) والعربية الصحراوية - وهو تقسيم يفتق
مع وحدته السببية في القرن الاول لحيالات . وقسم الاول كان مستقلاً وكانت
الثاني تابعا لرومه وكان الأخير يسيطر عليه القرطبيون بالاسم .

كانت باقية الشام « السوءة والحداد » عند لواتل كتب العرب ، والبادية عند سواهم «
فمن نطاق العربية الصحراوية . اهل العربية الصحراوية فكان مركزها سيناء وبلاد

الانباط وكانت عاصمتها البتراء . واشتملت العربية السعيدة على بقية أنحاء الجزيرة
إلا أن الأثافي بأحوافها الداخلية كان زهاء حداء . فخط كذب المصور الوسطى إذ
توهموا أن العربية السعيدة هي اليمن وحسب . ويوضح أن كلمة « سعيدة » هي محاولة
لتفسير كلمة « اليمن » العربية اعتقاداً أن مصدره هو اليمن والحساب أن دلالتها اليد
اليمنى فلقد سميت هذه البلاد بهذا توضع في اليمن النظر إلى جنوب الحجاز حيث
تكون البلاد السورية - (١) - إلى شماله .

وأول من ذكر العرب في أدب اليون هو نيكس^(١) (٥٢٥ - ٤٤٦ ق.م.)
الذي أشار إلى مصطلح عربى تريف في حقل الحثوريول . ثم الامبرودتس^(٢)
(نحو ٤٨٥ - ٢٥ ق.م) وأشار إلى العرب في حقل الحثوريول ويوضح أنهم
من سكان مصر الشرقية وقد أدى حقائق كثيرة عن ملابسهم وأساليبهم .

وأجمعت كلمة المحققين اليونان والرومان من زسلس اليوناني (التوفي نحو
١٩٦ ق.م) (واثي لستد سترام) في سيبوس الروماني (التوفي ٧٩ م) أن بلاد
العرب بلاد أروة وريخا عجبين . وأما موضع اللسان وطيوب الأخرى و
أهلها يعمون الحربة ومنتعمون في كل الصنع . وألقوا أن هذه الأمة الأخيرة هي
التي تمت الغارة السكتب العربيين . والاستقلال الذي تميز به خلق الشعب العربي
أصبح مقرب اللسان وموضع التمدد والاعجاب عند المؤرخين الأوروبيين من بعد
المصور حتى إنه المؤرخ لاسكيري يبين^(٣) .

وعرف العرب هذه الأقاليم العربية التي تليها في بلادهم الجنوبية . بناء على
ذلك هذا القول الذي زعموا أنه عربي بين النول ابن السكرا (التوفي ٦٠٢ أو ٦٠٧ م)
وكسرى ملك الفرس . وقد حضرته وفود يوم وافند والمعين . وكان العرب

Persians, I 320 (١)

lit. VII, p. 69 (٢)

Edward Gibbon, The Decline and Fall of the Roman Empire, . . . ed (٣)
J. B. Bury (London, 1898) vol. V, p. 349

مدة العودة ستين يوماً . وكانت ماريه ^(٢٠) بعد التراجع التي وعدها في الجزيرة والراجع اليها غير مألوف فعدت سباً في الجنوب الشرقي بل هي مريه التي في الجنوب الشرقي . ويقول الجغرافي اليوناني سترابو ^(٢١) - مؤرخ تلك الحقبة وصدق قائده الببوس غاوس - ان القاصب والاضطر التي جرت هذه الحقبة ان تعزى الى خيفة المذبل " سيلانوس صغير لاسط ومنزل مسكبه اودانس [عيلة] " . وهذا هو الصغير الذي آت اليه لول بل آخر غرة ذات بل قصدت به دولة اوربية اكسبح داخل الجزيرة .

بمرد الطيوب

كان هيرونيس ^(٢٢) يرى ان بلاد العرب كلها كانت بلوح " مطر والطيوب " لأب كقول " البلاد الوحيدة التي تلج البحر والقفص والقرقة والافان ... وصول الاشجار التي تحمل ثمار حبات مخدعة وهي سميرة الحمار مشوية الألوان تنقل باعداد لا تحصى من كل شجرة " ^(٢٣) وكانوا يحنون لفراد هذه الحبات فاقبل من سمها الاضطرب (ليس وسمي) سمها الذي يرمي حمار القاصب فقصود من دجبه ما يترك لثوبه . ان الجغرافي سترابو ممكن ان يكون قديماً من هيرونيس اني سترابو " السرخ القاصد " يروي به انه من ان دة جنوب الجزيرة " بلاد الطيوب " ^(٢٤) قول :

" وبلاد " الذي " بلاد مودحمة سكان ... وهي تحصد ثمار لاصبي على الاماكن ثم يذهب من ولس والقفص ... وفيهم حبات ثمار لول البحر وقع لايح الشجر فتولا ويجمعون الثمار التي نحو حمار لاصبي ولا يجمع في صعب محتاج " ^(٢٥)

(٢٠) ان ماريه في هذه الايام من كسب السبيل (١٩٥٥) ص ١٠١ كسب سترابو هي مريه .

(٢١) XVI, ch. 4, § 20 .

(٢٢) I, 1, 1, ch. 125 .

(٢٣) III, ch. 107 .

(٢٤) XVI, ch. 1, § 25 .

(٢٥) XVI, ch. 4, § 19 .

وأعد ديدورس الصقلي ^(١) ذلك الوصف فقال إن الجزيرة أرض تكثر الطيوب بحيث كانت تربتها نفسها حبق بالاربع . أما سينيوس الذي نطق في الجزء السادس من تاريخه الطبيعي ما طعه ليدأرومين حتى سنة ٧٠ م بأحوال البلدان الشرقية فقد أكد هذه الجزيرة ^(٢) وأضاف في منسوبة أخرى أن «السبي» هم «الشهر قبائل الجزيرة قندهم السبي» ^(٣) . ومن الواضح أن حضرموت كانت في ذلك الزمن تتصدر بلاد اليمن كلها . والظاهر أن الرومان حسبوا أن جميع «الضلع» التي تجرّب أعرب كانت من مصادرات بلادهم . فقد كان حرص التجار على الاحتفاظ بأسرار حركتهم ومواردهم من الخشب والنفط عظيم . وكذلك كانت الاحتكاك عندهم منسوبة دقيقة .

وكان هؤلاء الكذّاب من اليونان ورومن أعجب عظيم ما سلكه أعرب الجنوب من تروقة ورجاء هذه ذخير ملزم ^(٤) منذ «مرو» «تربط» التي كل الحياة والتصور ^(٥) .

وقد أصبحت «السبي» و «الجرهني» ^(٦) من أعرب في الجزيرة (الطوب) التي القائل شامة عندهم مستعدات لأدوات خصوصية من الذهب والفضة . من الألبسة ومنتجات نفوثة ولاحوش ووجعة العرب واليهود يتألفهم المظنة . وقد تزوفت لواب وجماداته وسطوحه لأدوات وتوسعت به مع ذهب والفضة والخجيرة الشكرية .

وروى سينيوس ^(٧) عن أبيوس شافيس ما يؤيد ذلك فقال :
قالت «السبي» «جميع تروقة تبأبوف في أرضها من أديان ذات عظم

12. II, 66. 13. 14.

15. 16. 17.

18. 19. 20.

21. 22. 23.

24. 25. 26.

27. 28. 29.

30. 31. 32.

سواهم من العرب إذ قل أن شريحتهم تقضي بالافلاخ عن الحرث والزراعة
وهجران البيوت وعيق التبيد^(١) ، وإورد سينيوس أن « العرب يلبسون القلنسوة
ويزيخ بعضهم شعور رؤوسهم فيغنيهم ضوف عن لبس الرأس ويخلقون اللحية
تاركين الشرايين »^(٢) .

ورسم بطليموس خريطة أودشيب كتبه المعروف في الجغرافية ، الذي صنفه
بين ١٥٠ و ١٦٠ م . وقد ظهرت فيه قطار الماء الثمن وثبتت هذه الخريطة
طيلة القرون التالية عندما يتوخد الأوروبيون والاسبانيون في مسائل الجغرافية ،
وقد استقى موادها بطليموس من رواة البحر وهن الاسفار في ذلك العصر فوعت
مشهداته وتكرارها . وخريطة بلاد العرب هذه هي أول معصور مبني على أمثال
هذه المصنوعات .

Ok. IX, ch. 94. (١)

Ok. VI, ch. 32. (٢)

الفصل الخامس

الدولة السبئية وغيرها من بلاد العرب الجنوبية

عرب الجنوب ونجد نهم

كانت السبئون هذه الألفاء العربية التي تخطت غيبة الحديفة . وقد ذكروا في القوس الاسفلية المسخرة ووردت في الحاشية اليهم في الآداب اليونانية في كتب ثيوفراستس^(١) (اشرفى ٢٨٨ -) كما موثقهم "تقديمه" فصححة الجنوب الغربية من الجزيرة .

ورمزى في ملك الزمعة " السعيدة " التي شملت عتدة منب عصبين الوافر من الامطار وفرب من البحر ومركزها الجغرافي الخطير على خط الاتصال بالهند . وكان من حاصلاتها الطيوب والمر وسواهم من طرف الغنوم والأفوية التي تستعمل قوائم المقطع او تحرق في محلات الناجح والراسم الدينية واحترق بالله كبر البخور وهو أمن البضائع التي تداولها التجارة القديمة . وإلى هذه البلاد ترد الحاصلات الخفية المرغوبة فكان يرد القوافل من خليج العرب والافار . والاسجة والسيوف من الهند والحرير من الصين والارزاق والغرود واج وزيش هذه والذهب من الحبشة ، وكانت جميعها تعد طريقا إلى اسواق بلاد العرب . وقد ترك لنا مؤلف كتب الضواف حول الاربرشي^(٢) (٥٠ - ٦٠ -) وصفاً عملاً سوق " موزا " وهي " بح " اليوم قال فيه :

^(١) Theophrastus. *Historia Plantarum*. Bk. IX, ch. I, § 2.

^(٢) *The Peoples of the Euphrates Sea*, Tr. W. H. Schoff (New York, 1912) 24.

أما الفرع الشامي فكان ينتهي على المتوسط عند غزة ، ومن حضرموت ، أغنى
الاضطار بالبيان ، كانت تمتد طريق نسلها القوافل حتى مرب عاصمة سبأ حيث
تصل بشريان التجارة الهامة . وقد تمت لسبأ عدة مستعمرات على طول هذا الخط
بين الجنوب والشمال . ولعل أبناء سبأ الذين ذكرت اسمائهم في النقودات الآشورية
والعبرانية قد تحدروا من هؤلاء المستعمرين . وقد خلده لى سفر التكوين (٢٥:٣٧)
صورة مصغرة جليلة نقدة " من الإسماعيليين مقبلة من جنات وجماهم حاملة مصكفة
وبلأنا ولأذن " (١)

الفرش العربية القديمة

وكانت الاستعمارات التي أعزها عرب الجنوب بحرية اقتصادية شامخة في ذلك
شأن الفينيقيين . ولم تكن ان تلك التي شهدها دولا حربية . وأما بعض تاريخهم
فيمكن معرفة الخطوط الرئيسية فيه من المراجع التي أسد ذكرها في كتابات السمين
القديمة واليونان والرومان ومن الأندلس العربية في آداب الإسلامية الأولى ، وهذه
الأخير بكاد تشبه الأسنجر . وهم يات يوا وهب ان منه (التوفى في صنعاء
عمر ٧٢٨ -) والحمادي (١) (التوفى ٩٤٥ -) وشوانس ابن سعيد الحميري (٢)
(التوفى ١١٧٧ -) وفوق هذا كله ما نستفيع من المصادر الخفية التي أصبحت
قريبة لأخذ بعض الكشوف التي تمت على يد هانفي وغلاز في النظر الثاني من
القرن الأخير . وجميع الآداب العربية الجنوبية التي اتصلت ب هي إفريقيا اي
رفق أو نقوش غشت على ألواح معدنية أو حجرية . ولذا كانوا قد اعتدوا فضلاً

(١) راجع المراجع ٢٢ : ١٠ : ١٥ : ١٦ : ١٧ : ١٨ : ١٩ : ٢٠ : ٢١ : ٢٢ : ٢٣ : ٢٤ : ٢٥ : ٢٦ : ٢٧ : ٢٨ : ٢٩ : ٣٠ : ٣١ : ٣٢ : ٣٣ : ٣٤ : ٣٥ : ٣٦ : ٣٧ : ٣٨ : ٣٩ : ٤٠ : ٤١ : ٤٢ : ٤٣ : ٤٤ : ٤٥ : ٤٦ : ٤٧ : ٤٨ : ٤٩ : ٥٠ : ٥١ : ٥٢ : ٥٣ : ٥٤ : ٥٥ : ٥٦ : ٥٧ : ٥٨ : ٥٩ : ٦٠ : ٦١ : ٦٢ : ٦٣ : ٦٤ : ٦٥ : ٦٦ : ٦٧ : ٦٨ : ٦٩ : ٧٠ : ٧١ : ٧٢ : ٧٣ : ٧٤ : ٧٥ : ٧٦ : ٧٧ : ٧٨ : ٧٩ : ٨٠ : ٨١ : ٨٢ : ٨٣ : ٨٤ : ٨٥ : ٨٦ : ٨٧ : ٨٨ : ٨٩ : ٩٠ : ٩١ : ٩٢ : ٩٣ : ٩٤ : ٩٥ : ٩٦ : ٩٧ : ٩٨ : ٩٩ : ١٠٠ : ١٠١ : ١٠٢ : ١٠٣ : ١٠٤ : ١٠٥ : ١٠٦ : ١٠٧ : ١٠٨ : ١٠٩ : ١١٠ : ١١١ : ١١٢ : ١١٣ : ١١٤ : ١١٥ : ١١٦ : ١١٧ : ١١٨ : ١١٩ : ١٢٠ : ١٢١ : ١٢٢ : ١٢٣ : ١٢٤ : ١٢٥ : ١٢٦ : ١٢٧ : ١٢٨ : ١٢٩ : ١٣٠ : ١٣١ : ١٣٢ : ١٣٣ : ١٣٤ : ١٣٥ : ١٣٦ : ١٣٧ : ١٣٨ : ١٣٩ : ١٤٠ : ١٤١ : ١٤٢ : ١٤٣ : ١٤٤ : ١٤٥ : ١٤٦ : ١٤٧ : ١٤٨ : ١٤٩ : ١٥٠ : ١٥١ : ١٥٢ : ١٥٣ : ١٥٤ : ١٥٥ : ١٥٦ : ١٥٧ : ١٥٨ : ١٥٩ : ١٦٠ : ١٦١ : ١٦٢ : ١٦٣ : ١٦٤ : ١٦٥ : ١٦٦ : ١٦٧ : ١٦٨ : ١٦٩ : ١٧٠ : ١٧١ : ١٧٢ : ١٧٣ : ١٧٤ : ١٧٥ : ١٧٦ : ١٧٧ : ١٧٨ : ١٧٩ : ١٨٠ : ١٨١ : ١٨٢ : ١٨٣ : ١٨٤ : ١٨٥ : ١٨٦ : ١٨٧ : ١٨٨ : ١٨٩ : ١٩٠ : ١٩١ : ١٩٢ : ١٩٣ : ١٩٤ : ١٩٥ : ١٩٦ : ١٩٧ : ١٩٨ : ١٩٩ : ٢٠٠ : ٢٠١ : ٢٠٢ : ٢٠٣ : ٢٠٤ : ٢٠٥ : ٢٠٦ : ٢٠٧ : ٢٠٨ : ٢٠٩ : ٢١٠ : ٢١١ : ٢١٢ : ٢١٣ : ٢١٤ : ٢١٥ : ٢١٦ : ٢١٧ : ٢١٨ : ٢١٩ : ٢٢٠ : ٢٢١ : ٢٢٢ : ٢٢٣ : ٢٢٤ : ٢٢٥ : ٢٢٦ : ٢٢٧ : ٢٢٨ : ٢٢٩ : ٢٣٠ : ٢٣١ : ٢٣٢ : ٢٣٣ : ٢٣٤ : ٢٣٥ : ٢٣٦ : ٢٣٧ : ٢٣٨ : ٢٣٩ : ٢٤٠ : ٢٤١ : ٢٤٢ : ٢٤٣ : ٢٤٤ : ٢٤٥ : ٢٤٦ : ٢٤٧ : ٢٤٨ : ٢٤٩ : ٢٥٠ : ٢٥١ : ٢٥٢ : ٢٥٣ : ٢٥٤ : ٢٥٥ : ٢٥٦ : ٢٥٧ : ٢٥٨ : ٢٥٩ : ٢٦٠ : ٢٦١ : ٢٦٢ : ٢٦٣ : ٢٦٤ : ٢٦٥ : ٢٦٦ : ٢٦٧ : ٢٦٨ : ٢٦٩ : ٢٧٠ : ٢٧١ : ٢٧٢ : ٢٧٣ : ٢٧٤ : ٢٧٥ : ٢٧٦ : ٢٧٧ : ٢٧٨ : ٢٧٩ : ٢٨٠ : ٢٨١ : ٢٨٢ : ٢٨٣ : ٢٨٤ : ٢٨٥ : ٢٨٦ : ٢٨٧ : ٢٨٨ : ٢٨٩ : ٢٩٠ : ٢٩١ : ٢٩٢ : ٢٩٣ : ٢٩٤ : ٢٩٥ : ٢٩٦ : ٢٩٧ : ٢٩٨ : ٢٩٩ : ٣٠٠ : ٣٠١ : ٣٠٢ : ٣٠٣ : ٣٠٤ : ٣٠٥ : ٣٠٦ : ٣٠٧ : ٣٠٨ : ٣٠٩ : ٣١٠ : ٣١١ : ٣١٢ : ٣١٣ : ٣١٤ : ٣١٥ : ٣١٦ : ٣١٧ : ٣١٨ : ٣١٩ : ٣٢٠ : ٣٢١ : ٣٢٢ : ٣٢٣ : ٣٢٤ : ٣٢٥ : ٣٢٦ : ٣٢٧ : ٣٢٨ : ٣٢٩ : ٣٣٠ : ٣٣١ : ٣٣٢ : ٣٣٣ : ٣٣٤ : ٣٣٥ : ٣٣٦ : ٣٣٧ : ٣٣٨ : ٣٣٩ : ٣٤٠ : ٣٤١ : ٣٤٢ : ٣٤٣ : ٣٤٤ : ٣٤٥ : ٣٤٦ : ٣٤٧ : ٣٤٨ : ٣٤٩ : ٣٥٠ : ٣٥١ : ٣٥٢ : ٣٥٣ : ٣٥٤ : ٣٥٥ : ٣٥٦ : ٣٥٧ : ٣٥٨ : ٣٥٩ : ٣٦٠ : ٣٦١ : ٣٦٢ : ٣٦٣ : ٣٦٤ : ٣٦٥ : ٣٦٦ : ٣٦٧ : ٣٦٨ : ٣٦٩ : ٣٧٠ : ٣٧١ : ٣٧٢ : ٣٧٣ : ٣٧٤ : ٣٧٥ : ٣٧٦ : ٣٧٧ : ٣٧٨ : ٣٧٩ : ٣٨٠ : ٣٨١ : ٣٨٢ : ٣٨٣ : ٣٨٤ : ٣٨٥ : ٣٨٦ : ٣٨٧ : ٣٨٨ : ٣٨٩ : ٣٩٠ : ٣٩١ : ٣٩٢ : ٣٩٣ : ٣٩٤ : ٣٩٥ : ٣٩٦ : ٣٩٧ : ٣٩٨ : ٣٩٩ : ٤٠٠ : ٤٠١ : ٤٠٢ : ٤٠٣ : ٤٠٤ : ٤٠٥ : ٤٠٦ : ٤٠٧ : ٤٠٨ : ٤٠٩ : ٤١٠ : ٤١١ : ٤١٢ : ٤١٣ : ٤١٤ : ٤١٥ : ٤١٦ : ٤١٧ : ٤١٨ : ٤١٩ : ٤٢٠ : ٤٢١ : ٤٢٢ : ٤٢٣ : ٤٢٤ : ٤٢٥ : ٤٢٦ : ٤٢٧ : ٤٢٨ : ٤٢٩ : ٤٣٠ : ٤٣١ : ٤٣٢ : ٤٣٣ : ٤٣٤ : ٤٣٥ : ٤٣٦ : ٤٣٧ : ٤٣٨ : ٤٣٩ : ٤٤٠ : ٤٤١ : ٤٤٢ : ٤٤٣ : ٤٤٤ : ٤٤٥ : ٤٤٦ : ٤٤٧ : ٤٤٨ : ٤٤٩ : ٤٥٠ : ٤٥١ : ٤٥٢ : ٤٥٣ : ٤٥٤ : ٤٥٥ : ٤٥٦ : ٤٥٧ : ٤٥٨ : ٤٥٩ : ٤٦٠ : ٤٦١ : ٤٦٢ : ٤٦٣ : ٤٦٤ : ٤٦٥ : ٤٦٦ : ٤٦٧ : ٤٦٨ : ٤٦٩ : ٤٧٠ : ٤٧١ : ٤٧٢ : ٤٧٣ : ٤٧٤ : ٤٧٥ : ٤٧٦ : ٤٧٧ : ٤٧٨ : ٤٧٩ : ٤٨٠ : ٤٨١ : ٤٨٢ : ٤٨٣ : ٤٨٤ : ٤٨٥ : ٤٨٦ : ٤٨٧ : ٤٨٨ : ٤٨٩ : ٤٩٠ : ٤٩١ : ٤٩٢ : ٤٩٣ : ٤٩٤ : ٤٩٥ : ٤٩٦ : ٤٩٧ : ٤٩٨ : ٤٩٩ : ٥٠٠ : ٥٠١ : ٥٠٢ : ٥٠٣ : ٥٠٤ : ٥٠٥ : ٥٠٦ : ٥٠٧ : ٥٠٨ : ٥٠٩ : ٥١٠ : ٥١١ : ٥١٢ : ٥١٣ : ٥١٤ : ٥١٥ : ٥١٦ : ٥١٧ : ٥١٨ : ٥١٩ : ٥٢٠ : ٥٢١ : ٥٢٢ : ٥٢٣ : ٥٢٤ : ٥٢٥ : ٥٢٦ : ٥٢٧ : ٥٢٨ : ٥٢٩ : ٥٣٠ : ٥٣١ : ٥٣٢ : ٥٣٣ : ٥٣٤ : ٥٣٥ : ٥٣٦ : ٥٣٧ : ٥٣٨ : ٥٣٩ : ٥٤٠ : ٥٤١ : ٥٤٢ : ٥٤٣ : ٥٤٤ : ٥٤٥ : ٥٤٦ : ٥٤٧ : ٥٤٨ : ٥٤٩ : ٥٥٠ : ٥٥١ : ٥٥٢ : ٥٥٣ : ٥٥٤ : ٥٥٥ : ٥٥٦ : ٥٥٧ : ٥٥٨ : ٥٥٩ : ٥٦٠ : ٥٦١ : ٥٦٢ : ٥٦٣ : ٥٦٤ : ٥٦٥ : ٥٦٦ : ٥٦٧ : ٥٦٨ : ٥٦٩ : ٥٧٠ : ٥٧١ : ٥٧٢ : ٥٧٣ : ٥٧٤ : ٥٧٥ : ٥٧٦ : ٥٧٧ : ٥٧٨ : ٥٧٩ : ٥٨٠ : ٥٨١ : ٥٨٢ : ٥٨٣ : ٥٨٤ : ٥٨٥ : ٥٨٦ : ٥٨٧ : ٥٨٨ : ٥٨٩ : ٥٩٠ : ٥٩١ : ٥٩٢ : ٥٩٣ : ٥٩٤ : ٥٩٥ : ٥٩٦ : ٥٩٧ : ٥٩٨ : ٥٩٩ : ٦٠٠ : ٦٠١ : ٦٠٢ : ٦٠٣ : ٦٠٤ : ٦٠٥ : ٦٠٦ : ٦٠٧ : ٦٠٨ : ٦٠٩ : ٦١٠ : ٦١١ : ٦١٢ : ٦١٣ : ٦١٤ : ٦١٥ : ٦١٦ : ٦١٧ : ٦١٨ : ٦١٩ : ٦٢٠ : ٦٢١ : ٦٢٢ : ٦٢٣ : ٦٢٤ : ٦٢٥ : ٦٢٦ : ٦٢٧ : ٦٢٨ : ٦٢٩ : ٦٣٠ : ٦٣١ : ٦٣٢ : ٦٣٣ : ٦٣٤ : ٦٣٥ : ٦٣٦ : ٦٣٧ : ٦٣٨ : ٦٣٩ : ٦٤٠ : ٦٤١ : ٦٤٢ : ٦٤٣ : ٦٤٤ : ٦٤٥ : ٦٤٦ : ٦٤٧ : ٦٤٨ : ٦٤٩ : ٦٥٠ : ٦٥١ : ٦٥٢ : ٦٥٣ : ٦٥٤ : ٦٥٥ : ٦٥٦ : ٦٥٧ : ٦٥٨ : ٦٥٩ : ٦٦٠ : ٦٦١ : ٦٦٢ : ٦٦٣ : ٦٦٤ : ٦٦٥ : ٦٦٦ : ٦٦٧ : ٦٦٨ : ٦٦٩ : ٦٧٠ : ٦٧١ : ٦٧٢ : ٦٧٣ : ٦٧٤ : ٦٧٥ : ٦٧٦ : ٦٧٧ : ٦٧٨ : ٦٧٩ : ٦٨٠ : ٦٨١ : ٦٨٢ : ٦٨٣ : ٦٨٤ : ٦٨٥ : ٦٨٦ : ٦٨٧ : ٦٨٨ : ٦٨٩ : ٦٩٠ : ٦٩١ : ٦٩٢ : ٦٩٣ : ٦٩٤ : ٦٩٥ : ٦٩٦ : ٦٩٧ : ٦٩٨ : ٦٩٩ : ٧٠٠ : ٧٠١ : ٧٠٢ : ٧٠٣ : ٧٠٤ : ٧٠٥ : ٧٠٦ : ٧٠٧ : ٧٠٨ : ٧٠٩ : ٧١٠ : ٧١١ : ٧١٢ : ٧١٣ : ٧١٤ : ٧١٥ : ٧١٦ : ٧١٧ : ٧١٨ : ٧١٩ : ٧٢٠ : ٧٢١ : ٧٢٢ : ٧٢٣ : ٧٢٤ : ٧٢٥ : ٧٢٦ : ٧٢٧ : ٧٢٨ : ٧٢٩ : ٧٣٠ : ٧٣١ : ٧٣٢ : ٧٣٣ : ٧٣٤ : ٧٣٥ : ٧٣٦ : ٧٣٧ : ٧٣٨ : ٧٣٩ : ٧٤٠ : ٧٤١ : ٧٤٢ : ٧٤٣ : ٧٤٤ : ٧٤٥ : ٧٤٦ : ٧٤٧ : ٧٤٨ : ٧٤٩ : ٧٥٠ : ٧٥١ : ٧٥٢ : ٧٥٣ : ٧٥٤ : ٧٥٥ : ٧٥٦ : ٧٥٧ : ٧٥٨ : ٧٥٩ : ٧٦٠ : ٧٦١ : ٧٦٢ : ٧٦٣ : ٧٦٤ : ٧٦٥ : ٧٦٦ : ٧٦٧ : ٧٦٨ : ٧٦٩ : ٧٧٠ : ٧٧١ : ٧٧٢ : ٧٧٣ : ٧٧٤ : ٧٧٥ : ٧٧٦ : ٧٧٧ : ٧٧٨ : ٧٧٩ : ٧٨٠ : ٧٨١ : ٧٨٢ : ٧٨٣ : ٧٨٤ : ٧٨٥ : ٧٨٦ : ٧٨٧ : ٧٨٨ : ٧٨٩ : ٧٩٠ : ٧٩١ : ٧٩٢ : ٧٩٣ : ٧٩٤ : ٧٩٥ : ٧٩٦ : ٧٩٧ : ٧٩٨ : ٧٩٩ : ٨٠٠ : ٨٠١ : ٨٠٢ : ٨٠٣ : ٨٠٤ : ٨٠٥ : ٨٠٦ : ٨٠٧ : ٨٠٨ : ٨٠٩ : ٨١٠ : ٨١١ : ٨١٢ : ٨١٣ : ٨١٤ : ٨١٥ : ٨١٦ : ٨١٧ : ٨١٨ : ٨١٩ : ٨٢٠ : ٨٢١ : ٨٢٢ : ٨٢٣ : ٨٢٤ : ٨٢٥ : ٨٢٦ : ٨٢٧ : ٨٢٨ : ٨٢٩ : ٨٣٠ : ٨٣١ : ٨٣٢ : ٨٣٣ : ٨٣٤ : ٨٣٥ : ٨٣٦ : ٨٣٧ : ٨٣٨ : ٨٣٩ : ٨٤٠ : ٨٤١ : ٨٤٢ : ٨٤٣ : ٨٤٤ : ٨٤٥ : ٨٤٦ : ٨٤٧ : ٨٤٨ : ٨٤٩ : ٨٥٠ : ٨٥١ : ٨٥٢ : ٨٥٣ : ٨٥٤ : ٨٥٥ : ٨٥٦ : ٨٥٧ : ٨٥٨ : ٨٥٩ : ٨٦٠ : ٨٦١ : ٨٦٢ : ٨٦٣ : ٨٦٤ : ٨٦٥ : ٨٦٦ : ٨٦٧ : ٨٦٨ : ٨٦٩ : ٨٧٠ : ٨٧١ : ٨٧٢ : ٨٧٣ : ٨٧٤ : ٨٧٥ : ٨٧٦ : ٨٧٧ : ٨٧٨ : ٨٧٩ : ٨٨٠ : ٨٨١ : ٨٨٢ : ٨٨٣ : ٨٨٤ : ٨٨٥ : ٨٨٦ : ٨٨٧ : ٨٨٨ : ٨٨٩ : ٨٩٠ : ٨٩١ : ٨٩٢ : ٨٩٣ : ٨٩٤ : ٨٩٥ : ٨٩٦ : ٨٩٧ : ٨٩٨ : ٨٩٩ : ٩٠٠ : ٩٠١ : ٩٠٢ : ٩٠٣ : ٩٠٤ : ٩٠٥ : ٩٠٦ : ٩٠٧ : ٩٠٨ : ٩٠٩ : ٩١٠ : ٩١١ : ٩١٢ : ٩١٣ : ٩١٤ : ٩١٥ : ٩١٦ : ٩١٧ : ٩١٨ : ٩١٩ : ٩٢٠ : ٩٢١ : ٩٢٢ : ٩٢٣ : ٩٢٤ : ٩٢٥ : ٩٢٦ : ٩٢٧ : ٩٢٨ : ٩٢٩ : ٩٣٠ : ٩٣١ : ٩٣٢ : ٩٣٣ : ٩٣٤ : ٩٣٥ : ٩٣٦ : ٩٣٧ : ٩٣٨ : ٩٣٩ : ٩٤٠ : ٩٤١ : ٩٤٢ : ٩٤٣ : ٩٤٤ : ٩٤٥ : ٩٤٦ : ٩٤٧ : ٩٤٨ : ٩٤٩ : ٩٥٠ : ٩٥١ : ٩٥٢ : ٩٥٣ : ٩٥٤ : ٩٥٥ : ٩٥٦ : ٩٥٧ : ٩٥٨ : ٩٥٩ : ٩٦٠ : ٩٦١ : ٩٦٢ : ٩٦٣ : ٩٦٤ : ٩٦٥ : ٩٦٦ : ٩٦٧ : ٩٦٨ : ٩٦٩ : ٩٧٠ : ٩٧١ : ٩٧٢ : ٩٧٣ : ٩٧٤ : ٩٧٥ : ٩٧٦ : ٩٧٧ : ٩٧٨ : ٩٧٩ : ٩٨٠ : ٩٨١ : ٩٨٢ : ٩٨٣ : ٩٨٤ : ٩٨٥ : ٩٨٦ : ٩٨٧ : ٩٨٨ : ٩٨٩ : ٩٩٠ : ٩٩١ : ٩٩٢ : ٩٩٣ : ٩٩٤ : ٩٩٥ : ٩٩٦ : ٩٩٧ : ٩٩٨ : ٩٩٩ : ١٠٠٠ : ١٠٠١ : ١٠٠٢ : ١٠٠٣ : ١٠٠٤ : ١٠٠٥ : ١٠٠٦ : ١٠٠٧ : ١٠٠٨ : ١٠٠٩ : ١٠١٠ : ١٠١١ : ١٠١٢ : ١٠١٣ : ١٠١٤ : ١٠١٥ : ١٠١٦ : ١٠١٧ : ١٠١٨ : ١٠١٩ : ١٠٢٠ : ١٠٢١ : ١٠٢٢ : ١٠٢٣ : ١٠٢٤ : ١٠٢٥ : ١٠٢٦ : ١٠٢٧ : ١٠٢٨ : ١٠٢٩ : ١٠٣٠ : ١٠٣١ : ١٠٣٢ : ١٠٣٣ : ١٠٣٤ : ١٠٣٥ : ١٠٣٦ : ١٠٣٧ : ١٠٣٨ : ١٠٣٩ : ١٠٤٠ : ١٠٤١ : ١٠٤٢ : ١٠٤٣ : ١٠٤٤ : ١٠٤٥ : ١٠٤٦ : ١٠٤٧ : ١٠٤٨ : ١٠٤٩ : ١٠٥٠ : ١٠٥١ : ١٠٥٢ : ١٠٥٣ : ١٠٥٤ : ١٠٥٥ : ١٠٥٦ : ١٠٥٧ : ١٠٥٨ : ١٠٥٩ : ١٠٦٠ : ١٠٦١ : ١٠٦٢ : ١٠٦٣ : ١٠٦٤ : ١٠٦٥ : ١٠٦٦ : ١٠٦٧ : ١٠٦٨ : ١٠٦٩ : ١٠٧٠ : ١٠٧١ : ١٠٧٢ : ١٠٧٣ : ١٠٧٤ : ١٠٧٥ : ١٠٧٦ : ١٠٧٧ : ١٠٧٨ : ١٠٧٩ : ١٠٨٠ : ١٠٨١ : ١٠٨٢ : ١٠٨٣ : ١٠٨٤ : ١٠٨٥ : ١٠٨٦ : ١٠٨٧ : ١٠٨٨ : ١٠٨٩ : ١٠٩٠ : ١٠٩١ : ١٠٩٢ : ١٠٩٣ : ١٠٩٤ : ١٠٩٥ : ١٠٩٦ : ١٠٩٧ : ١٠٩٨ : ١٠٩٩ : ١١٠٠ : ١١٠١ : ١١٠٢ : ١١٠٣ : ١١٠٤ : ١١٠٥ : ١١٠٦ : ١١٠٧ : ١١٠٨ : ١١٠٩ : ١١١٠ : ١١١١ : ١١١٢ : ١١١٣ : ١١١٤ : ١١١٥ : ١١١٦ : ١١١٧ : ١١١٨ : ١١١٩ : ١١٢٠ : ١١٢١ : ١١٢٢ : ١١٢٣ : ١١٢٤ : ١١٢٥ : ١١٢٦ : ١١٢٧ : ١١٢٨ : ١١٢٩ : ١١٣٠ : ١١٣١ : ١١٣٢ : ١١٣٣ : ١١٣٤ : ١١٣٥ : ١١٣٦ : ١١٣٧ : ١١٣٨ : ١١٣٩ : ١١٤٠ : ١١٤١ : ١١٤٢ : ١١٤٣ : ١١٤٤ : ١١٤٥ : ١١٤٦ : ١١٤٧ : ١١٤٨ : ١١٤٩ : ١١٥٠ : ١١٥١ : ١١٥٢ : ١١٥٣ : ١١٥٤ : ١١٥٥ : ١١٥٦ : ١١٥٧ : ١١٥٨ : ١١٥٩ : ١١٦٠ : ١١٦١ : ١١٦٢ : ١١٦٣ : ١١٦٤ : ١١٦٥ : ١١٦٦ : ١١٦٧ : ١١٦٨ : ١١٦٩ : ١١٧٠ : ١١٧١ : ١١٧٢ : ١١٧٣ : ١١٧٤ : ١١٧٥ : ١١٧٦ : ١١٧٧ : ١١٧٨ : ١١٧٩ : ١١٨٠ : ١١٨١ : ١١٨٢ : ١١٨٣ : ١١٨٤ : ١١٨٥ : ١١٨٦ : ١١٨٧ : ١١٨٨ : ١١٨٩ : ١١٩٠ : ١١٩١ : ١١٩٢ : ١١٩٣ : ١١٩٤ : ١١٩٥ : ١١٩٦ : ١١٩٧ : ١١٩٨ : ١١٩٩ : ١٢٠٠ : ١٢٠١ : ١٢٠٢ : ١٢٠٣ : ١٢٠٤ : ١٢٠٥ : ١٢٠٦ : ١٢٠٧ : ١٢٠٨ : ١٢٠٩ : ١٢١٠ : ١٢١١ : ١٢١٢ : ١٢١٣ : ١٢١٤ : ١٢١٥ : ١٢١٦ : ١٢١٧ : ١٢١٨ : ١٢١٩ : ١٢٢٠ : ١٢٢١ : ١٢٢٢ : ١٢٢٣ : ١٢٢٤ : ١٢٢٥ : ١٢٢٦ : ١٢٢٧ : ١٢٢٨ : ١٢٢٩ : ١٢٣٠ : ١٢٣١ : ١٢٣٢ : ١٢٣٣ : ١٢٣٤ : ١٢٣٥ : ١٢٣٦ : ١٢٣٧ : ١٢٣٨ : ١٢٣٩ : ١٢٤٠ : ١٢٤١ : ١٢٤٢ : ١٢٤٣ : ١٢٤٤ : ١٢٤٥ : ١٢٤٦ : ١٢٤٧ : ١٢٤٨ : ١٢٤٩ : ١٢٥٠ : ١٢٥١ : ١٢٥٢ : ١٢٥٣ : ١٢٥٤ : ١٢٥٥ : ١٢٥٦ : ١٢٥٧ : ١٢٥٨ : ١٢٥٩ : ١٢٦٠ : ١٢٦١ : ١٢٦٢ : ١٢٦٣ : ١٢٦٤ : ١٢٦٥ : ١٢٦٦ : ١٢٦٧ : ١٢٦٨ : ١٢٦٩ : ١٢٧٠ : ١٢٧١ : ١٢٧٢ : ١٢٧٣ : ١٢٧٤ : ١٢٧٥ : ١٢٧٦ : ١٢٧٧ : ١٢٧٨ : ١٢٧٩ : ١٢٨٠ : ١٢٨١ : ١٢٨٢ : ١٢٨٣ : ١٢٨٤ : ١٢٨٥ : ١٢٨٦ : ١٢٨٧ : ١٢٨٨ : ١٢٨٩ : ١٢٩٠ : ١٢٩١ : ١٢٩٢ : ١٢٩٣ : ١٢٩٤ : ١٢٩٥ : ١٢٩٦ : ١٢٩٧ : ١٢٩٨ : ١٢٩٩ : ١٣٠٠ : ١٣٠١ : ١٣٠٢ : ١٣٠٣ : ١٣٠٤ : ١٣٠٥ : ١٣٠٦ : ١٣٠٧ : ١٣٠٨ : ١٣٠٩ : ١٣١٠ : ١٣١١ : ١٣١٢ : ١٣١٣ : ١٣١٤ : ١٣١٥ : ١٣١٦ : ١٣١٧ : ١٣١٨ : ١٣١٩ : ١٣٢٠ : ١٣٢١ : ١٣٢٢ : ١٣٢٣ : ١٣٢٤ : ١٣٢٥ : ١٣٢٦ : ١٣٢٧ : ١٣٢٨ : ١٣٢٩ : ١٣٣٠ : ١٣٣١ : ١٣٣٢ : ١٣٣٣ : ١٣٣٤ : ١٣٣٥ : ١٣٣٦ : ١٣٣٧ : ١٣٣٨ : ١٣٣٩ : ١٣٤٠ : ١٣٤١ : ١٣٤٢ : ١٣٤٣ : ١٣٤٤ : ١٣٤٥ : ١٣٤٦ : ١٣٤٧ : ١٣٤٨ : ١٣٤٩ : ١٣٥٠ : ١٣٥١ : ١٣٥٢ : ١٣٥٣ : ١٣٥٤ : ١٣٥٥ : ١٣٥٦ : ١٣٥٧ : ١٣٥٨ : ١٣٥٩ : ١٣٦٠ : ١٣٦١ : ١٣٦٢ : ١٣٦٣ : ١٣٦٤ : ١٣٦٥ : ١٣٦٦ : ١٣٦٧ : ١٣٦٨ : ١٣٦٩ : ١٣٧٠ : ١٣٧١ : ١٣٧٢ : ١٣٧٣ : ١٣٧٤ : ١٣٧٥ : ١٣٧٦ : ١٣٧٧ : ١٣٧٨ : ١٣٧٩ : ١٣٨٠ : ١٣٨١ : ١٣٨٢ : ١٣٨٣ : ١٣٨٤ : ١٣٨٥ : ١٣٨٦ : ١٣٨٧ : ١٣٨٨ : ١٣٨٩ : ١٣٩٠ : ١٣٩١ : ١٣٩٢ : ١٣٩٣ : ١٣٩٤ : ١٣٩٥ : ١٣٩٦ : ١٣٩٧ : ١٣٩٨ : ١٣٩٩ : ١٤٠٠ : ١٤٠١

عن ذلك مواد أخرى يكتسبون شيئا مما هو شرح الحظب كالبردي والرقوق فسجلوا
عليهم العمليات التجريبية وحوادث تاريخية والآثار الأدبية العريقة فبها قد اثيرت
ولم تفصل اليه . وقدمه ما عثر عليه من اوراق يرجع عهد الى القرن السادس او
السابع قبل الميلاد . ويتضمن سبق رقم سبأ كما في : أولا ارقم التجربة وهي
محفورة على الواح برونزية اقيمت في افيكل وكل وفست الآفة الله^(١) وعثر وثمن .
ثانيا ارقم الظاهرة على حدران افيكل وغيره من لانية العمومية لعلها تذكر
باسمها او من عهد نفقة ابيد . ثلث ارقم التاريخية والتي عن اخبار معركة او حائل
ظفرا على الاعدا . رابع قوانين الشرطة وهي منقوشة على اعمدة منصوبة في مداخل
افيكل وما يحكيها من الادبية العمومية . وفيها اشار للشعب انهم يتبعوا عن
منكرات معينة والا فينزل بهم العقاب . حتماً رقم قديمة وايك ترجمة بعض المقوس
الجنوبية تنقيا عن الاصل على سبيل المثال :

٧. ... الله رب شعبان [ليحفظ عبيد] هـ

٨. آحور^(٢) ووذ ونسب [:] ابيد عثر

٩. من الشر ... ومن الخطر ومن المرض

١٠. ومن الأذى وليبيد و [ليصيرب اعداهم]^(٣)

١. انجكا [رب قدس لانيه حران تـ]

٢. ثالا من الذهب اومه هـ ، اقراراً بفضله لانه اعز [وـ]

٣. مر سيلهمو الشرح يحضب ان فر . خيب

٤. منك سبأ مكسره وغلبته وانفضاعه [اـ] هـ حتى

٥. ايه انتموا السر [وقدموا الاعذار] وقدموا هدبة ...^(٤)

(١) الله له سبأ العمومي التي كانت له عذرة في ظاه كفة ولقد اختلف علماء العربية الجنوبية في
قراءة اسمه على وجود عذرية .

(٢) قال سفر الامثال ١ : ١٠ .

(٣) عثر على هذه الوثيقة هالي في بيطاء .

(٤) من رسالة كتبها مرعونيوت من عشق حريجن .

١. سعد وابنه اسم الله.
٢. جيزر بسيل : هم الذين قدموا جميع
٣. ... وكروا وقد نكح
٤. ر رمت واشتوا ...
٥. آل عبد ... (١)

وهذا نصع وألقى شرعية مهمة من تطور ورفي في الحياة الدستورية .
فشرعة حمورابي وشرعة موسى ذات من فوق وليست شرائع الخليلين الا مراسيم
امدهم مولا مسيطرون . ثم شرائع عرب الجنوب فتمثل بقذات التصوح
الشرعي والبنوع العيسى وتدل على نظام دولة نوح من خلافة اوضح الحكم
القيادي ورثة ما يكن في الأمر القدم "الحقيقة ما بداهة رقي .

وما تظن اورد ، الامر لرقم العربية الجنوبية حتى انما عليها كارتون سيوهر
(١٧٧٢) . وعند الباب يوسف هبني ، وهو اول اوري "سد عهد الميوس
غلوس (٢٤ ق. م) زار العراق في القرن (١٨٦٩ - ١٨٧٠) ، حاملاً نسخ
٦٨٥ رقاً جمعها من سبعة وثلاثين موضعاً . وفيه اورد غلاز بين ١٨٨٢ و ١٨٩٤
الى اليمن باربع مئات عصبه سمرت عن الحصول على نحو اثني مئتي بعضها لم
يشتر بعد . وفيه اليوم ما يقرب ثلاثة آلاف من رقة تروي احباً يرجع عهدها
الى سنة ٨٠٠ ق. م . واستسخ هذه الافراسي ارفود وهو الذي كشف عن اعرية
مازب نحو سنين رقاً بعد ان عرض نفسه مخطر وذلك في سنة ١٨٩٣ وكان الخطايط
البحري البريطاني جرح واستد قد شر سنة ١٨٣٧ قسماً من رقيم قب الحجر فاطلع
اوربا بذلك للمرة الثانية على كتابة الجنوب العربية . ام حل رمز هذه الكتابة ففقد
تم على يد اهلان اويل رودر في هذه يداب (١٨٣٧) وغيبس (١٨٤١) .

والجدة لغة الجنوب العربية لولغة معين وسب (وسيت ايضا الجزيرة واحياناً

(١) نقش ممبي وجسد يونيغ في ...

العيبية) تسعة وعشرون حرفاً . ولراجع أن شكل حروفها قد تغير قديماً من قبل سبأاء التي هي حلقة الاتصال بين الأبجدية الحقيقية وسبأها العبرية . وهذه الحروف المتبعة المتبقية المخطوط (ونسبها بالخط المسند في اللغة العربية) تدل على أنها نتيجة لتطور طويل مرت به ^(١) . وإحدى لغة الجنوب تحاكي الأبجديات السامية الأخرى من حيث أنها تتألف من الحروف الصامتة فحسب . ولغة الجنوب في بناء الأسماء ونصاريك الأفعال والظهور والنفردات صلة مع اللغة الأكديّة (البابلية القديمة) والآشورية (الحبشية) . ولا ترتبط في هذه الأمور بصفة الشمال العربية - لغة القرآن . إلا أنها تتميز بالجمع المكسرة مثل لغة الفداد . ولغة الأكديّة ولغة الجنوب العربية واللغة الآشورية (الحبشية) خصائص تجعلها أقدم لغات السامية . وقد بداعت ثقافة اليمن قديماً فامت لغة الجنوب ، واحتلت لغة الشمال مقامها . وساعد على هذا الانقلاب الأسواق الأدبية التي كان الشمال قد أنشأها كقوة عكازة ومواسم الحج السنوي التي كان عرب الحامية يقصدون السكينة فيها والعلاقات التجارية التي أنشأها مكة مع غيرها من المدن . فمع بدء الإسلام كانت لغة الشمال قد سوت مقاماتها الجنوبية في أكثر أنحاء الجزيرة . وهذه لغة الجنوبية ذرية باقية في لهجات مهرة وسقطرة ولكن ليس لهاين قيمة أدبية تذكر .

١ . الدور العيبية

إن أول دولة استطاعت أن تلبثها من خلال اللغات النحوية على غير الجنوب القديم هي الدولة العيبية التي ازدهرت على رأي بعض علماء الدراسات العربية من حوالي ١٢٠٠ - ٦٥٠ ق.م ^(٢) . وعينوا لها تاريخاً سبق مما يمينه فم سواهم . ولعلّ لغة « ميني » وردت في آداب اليونان والرومان . أما كتبة التوراة فبدعواها ماعون أو معون أو معين - على اختصارها اسم شكل - وهي نسبت معن التي

(١) نجد نماذج من لغات عربية جنوبية في *Corpus inscriptionum Semiticarum*, pars IV (Paris, 1889 ff)

(٢) Nielsen, *Handbuch*, vol. 1, pp. 67, 74. بل

عربية اللاتينية يونانية راسي عمر يمنية عربية اسيماية

ا	A	A	Α	Α	ا	ا
ب	B	B	Β	Β	ب	ب
ج	CG	CG	Γ	Γ	ج	ج
د	D	D	Δ	Δ	د	د
هـ	E	E	Ε	Ε	هـ	هـ
و	FV	FV	Υ	Υ	و	و
ز	Ζ	Ζ	ز	ز
ح	H	H	Η	Η	ح	ح
ط	Θ	Θ	ط	ط
ي	I	I	Ι	Ι	ي	ي
ك	Κ	Κ	ك	ك
ل	L	L	Λ	Λ	ل	ل
م	M	M	Μ	Μ	م	م
ن	N	N	Ν	Ν	ن	ن
...	X	X	Ξ	Ξ
ع	O	O	Ο	Ο	ع	ع
ف	P	P	Ρ	Ρ	ف	ف
ق	ق	ق
ق	Q	Q	Ϟ	Ϟ	ق	ق
ر	R	R	Ρ	Ρ	ر	ر
س	S	S	Σ	Σ	س	س
ت	T	T	Τ	Τ	ت	ت

حقوق محفوظة للأخذ

ذكرتها الكتابات الآشورية البابلية حسب السند . ولكن تشبهاً معان الحديثة الى الجنوب الشرقي من البصرة في أرض ادوم القديمة . والكلمة العربية الاصلية معان حُرِفَت الى معين ومعناها ماء ظهر على وجه الارض . ويرجح ان المعين الذين احتلوا ارض الشمال هم مستعمرون جاءوا من الجنوب الغربي . وقد ازدهرت الدولة المعينية في جوف اليمن بين نجران وحضرموت فستوت في اوج عزها على معظم الجنوب بما فيه قطبان وحضرموت ومنطقة ماح (منذ في المذونات الاسفينية) وهي واقعة في اواسط الجزيرة وشمال الغربي . ويرجح ان ماح هذه هي عماليق في التوراة - « اول الشعوب » (١) . وكانت معان المحوية البصرة مستعمرة خطيرة ومركزاً تجارياً في ارض مديان (شرقي سيناء) واسمها في النقوش « مصران » فسمي هذه المستعمرة الرسمي كان معان مصران . ثم قامت دولة سبأ فانتقلت هذه المستعمرة الى حوزتها حوالي ٦٥٠ ق.م . لها المحاسبون (نحو ٥٠٠ - ٣٠٠ ق.م) وعاصمتهم ديدان (دادان في التوراة والعلا اليوم وكانت مستعمرة معين ايضاً) فانهم استولوا على مصران حوالي ٥٠٠ ق.م . ثم تلاهم الاسط فحكوا هذه المستعمرة المعينية بارض الشمال . والواقع ان اسمها القديم حلد في « معان مصرية » - القسم الجنوبي من بلدة معان اليوم .

ولما استُئِث معان ، مركز السلطة المعينية في شمال الجزيرة الغربي ، قامت بعد دويلات معينية سبئية قد ظهرت على ضفاف الترات السفلى في القرن السابع قبل الميلاد كما اثبتت النقوش والخطوط التي عثر عليها في تلك الدحية . اما العاصمة المعينية قرناو (٢) التي زارها هيجي في ١٨٧٠ فتمسب « معين » الحديثة (في جنوبي الجوف الى شمال صنعاء الشرقي) التي يحد الاسم فيها . وتمتد قامت اليوم ايضاً برفاق موضع بيل ، المركز الديني قديم في جنوبي الجوف ، الى الشمال الغربي من مأرب . وهناك بلدة اخرى هي شنت قامت على اطلالها اليوم بلدة السوداء .

(١) نولدك : ٢٤ : ٧٠ . ن. ١ . Nielsen, Handbuch vol. ١, p. 85, n. 1.

(٢) القرناء في لغة الشمال .

واللغة العبية تشكل لغة التي قمت بعدها فلا تختلف اللغتان إلا في أمور
لهجية . ويرجع عهد ازرق العبية إلى حقبة ملوك معدن وهي تسلسل عروش قطبان
الملكية والنصوص الحضرمية العبية التي وصل إليها العهد . وقد دقق العالم مولر
في أسماء ملوك معين صفق عوبة سنة وبتشرين ملك فيها واستدل من تكرار بعض
الأسماء الملكية أن نظام الملك العزاني كان يراعى في دولتهم ^(١) . ومن أشهر
الأعلام في جدول ملوكهم : صدقي أو وافي بدء بنع ومعد كريب ^(٢) .

المرحلة السابعة

يتمد عصر سبأ من ٩٥٠ و ١١٥٠ ق. م . على وجه التقريب . فنلوكم الأول
عصرهم مسخري ملوك الدولة العبية . ولكن بعد انقضاء ثلاثة قرون وبث السليوني
ملكهم قريظة العبيين وأصبحوا سادة على بلاد العرب الجنوبية وحكاماً لها في
عصر من الزمن المصور التي عرفت .

أما العصر العبي الأول نحو ٩٥٠ ق. م . فكانت قب القاسم على أمور
الدولة أثناء « مكرب » ^(٣) سبأ . وكان يقوم بوظيفة ملك وكاهن معاً . وبعد في
النصوص المخطوطة ذكر أن « يارب السبعة عشر ملكاً يعمون هذا القاب » . وأقدم
ابنية سبأ قصر مبروح والذي « يوم حربة وهو على مسيرة يوم إلى الغرب من
مأرب وكان معتمده الأول » . وفي هذه الحقبة يعود امر شمس (أو شمسة) وبشي
امرا السبيين الذين نقضوا مرجون التي جزية منها .

سبأ مأرب

وتقع مأرب على بعد ٣٩٠٠ قدم فوق سطح البحر ومأرب هرب حتى اليوم إلا
ثلاثة من الأوربيين : الروم وهنني وعلازل . وكانت ملتقى الخطوط التجارية التي

Müller, *The Inscriptions*, pt. 2, pp. 60-67. ١٠

Nielsen, *Handbuch*, vol. 1, pp. 69-73. ١١

١٢ نقطة « مأرب » لم تحيط مركزها وكانت تغطي على من يجمع بين الكتابة والملك .

وحملت بلدان اللبانت بترافق البحر المتوسط واخصب غرة . وقد أشار الهمداني في « الاكليل »^(١) الى ثلاث قلاع شرب ولكن الب. الذي اكسب المدينة شهرتها هو سدحها العظيم - سد مأرب^(٢) فقد كان من عجائب الفن الهندسي وكان فيه كما في غيره من مباني سبأ العامة من الرقي الهندسي ما يتم عن مجتمع يحب للسلام عريق في الحضارة لا في الامور التجارية فحسب ، بل في الاعمال الفنية الرائعة ايضاً . وشيدت اقسام السد القديمة في اواخر العصر السبئي الاول . ولقد اُبانَت النقوش ان تقدم الاول بين بنى السد انه ينمي لمرابين وابوه . على ان الهمداني ومن جاء بعده من مؤرخي العرب مثل السعدي^(٣) والاصمغاني^(٤) وياقوت^(٥) يعمسون ان بابه هو رجل اسمه تيم بن عاد ، والواقع ان تيم هو من رجال الاساطير . ويظهر في العصر الثاني لدولة سبأ (نحو ٦٥٠ - ١١٥ ق. م) ان الحاكم قد تجرد من صفته الكهنوتية فشق القوم عنه لقب « ملك سبأ » وكانت عاصمته مأرب (مريانا في الآداب اليونانية والرومانية) وهي على بعد مئة كيلو متر (نحو ستين ميلاً) الى الشرف من حضراء . وقد توجه ياقوت وجمعه كثيرون ان سبأ هي مأرب على ان التصحيح غير ذلك فبأسم البلاد والأمة ولم تلك بلدة ابداً . وكان القطين في بعض ادوار هذه الحقبة ملوك يدبرون دفة أحكامها وعاصمتهم تمنع . ولخصرموت ملوك آخرون في عاصمتهم شوة (سبوة في آداب اليونان واثرومان) . ولكن سبأ كانت تقدم الاول بين من عاصرها من فروع الدولة الجنوبية . وكانت هذه الحقبة (٦٥٠ - ١١٥ ق. م) العهد عصر في تاريخها .

٣ - الدولة الحميرية الأولى

ومضت سنة ١١٥ ق. م . فذا تملك الجنوب تظهره النقوش حملاً ثقيلاً جديداً :

- (١) شعر الكرملي (ج ٢ ، ص ١٩٣) من ٢٥٠ .
- (٢) راجع وصف العامة له كتاب تاريخ الخطوط الجزء ٢ من ٥٠ وما يلي .
- (٣) السعدي . مروج الذهب شعر دمي ومار وثرجه (باريس - ١٨٦٥) المجلد الثالث من ٣٦٦ .
- (٤) الاصمغاني . تاريخ سبأ ملوك الأرض والاهياء شعر غوطيت (بيروت - ١٨٤٥) من ١٢٦ .
- (٥) مجمع البلدان ج ١ ص ٣٨٣ .

« ملك سبأ وذو ريدان » . ويريدان هي التي عرفت فيما بعد باسم « ظفار » ^(١) وهي منطقة الساحل البحري وهنا بدأت دولة حمير الأولى التي كتب لها البقاء حتى ٣٠٠ . ولعل الخيريين كانوا في أول أمرهم حكاماً في قضن . وأول إشارة إلى الخيريين في الآداب اللاتينية هي في « كتب الطوائف حول البحر الأريثري » ثم تكررت في تصنيف بلينيوس . وحمير تمت بصفة شديدة إلى سبأ . وهي أحدث فروع الدوحة الجنوبية عهداً وورثة المهاد الحضارة العينية السبية . وليست لغة الخيريين إلا لغة من نعتي سبأ ومعين السبئيين . ويؤيد قول بلينيوس عن احوال الزراعة عندهم ما قرينه الرقة من ذكر الآبار والسدود والحواس . وكانت للصل مدقق خاصة به يستمر فيها ولذهب منحه في غير . لم مورد البلاد الرئيسي ففي اجتهاد النفس ولهم من ذلك صناعة واسعة كانت من قبيل الفرائض القديمة .

وكانت عاصمة الاسرة الحميرية ظفار (في آداب اليونان والرومان سبهر وسفار وفي ملك ١٠ : ٣٠ سفر) وهي مدينة في الداخل على بعد مئة ميل إلى الشمال الشرقي من بحر وعلى الطريق المؤدية إلى حمص . وما لبثت ان احتلت مكان مأرب عاصمة سبأ وقربها عاصمة معين في شظفيتها . ولا تزال آثارها ماثلة لمعين على قمة من مستدير بجوار بلدة يرم الحاضرة . وكان ملكهم في الوقت الذي وضع فيه كتاب الطوائف يدعى كريبانوثور . وأول من أشار إلى آثار هذه الملة الحميرية القديمة مستنداً من نقوش بعيدة العهد هو العالم اليسوعي الذي أم البعث في ١٧٦٣ وكتب عنها في ١٧٧٢ . وحدث في هذه الحقبة الحميرية ما ذكره آلف من امر الحملة الرومانية المشؤومة التي رأسها اليوليوس غايوس وطلوح سبأ حتى مريانه . وليس الملك الاسدروس الذي قل سترابو انه حاكم البلاد في ذات الوقت إلا أسرحاً يخضب المذكور في النقوش .

الامباشي واحمد بن السامي

وفي هذه الحقبة جرت حادثة تاريخية أخرى ذات دلالة هي نزوح فئة من عرب

١١ وهي غير مظفر مدينة حميرية التي كانت هي خاصة .

اليمن وحضرموت إلى « أرض كوت » حيث استقر بهم النقاد فوضعوا حجر الأساس لدولة حبشية ذات مدينة ومحران ما قلت أن أدركت من الحضارة درجة لما يكن لزئوج الملاد الأصليين أن يلفوه أولاً اندماج العرب بهم . ومن المحتمل أن تفرق قبائل الجنوب حوالي منتصف القرن الخامس للميلاد (وحرزوه الأخبار والتقاليد إلى انبحار سد مأرب العظيم) الذي انصرف عن هجرة بعض القبائل إلى الشام والعراق قد أدى إلى نشاط حركة الانتقال إلى الحبشة أيضاً . والزيادة الجلية العربية فيها . وكانت قد تقطعت جموع العرب إلى ساحل أفريقيا الشرقية قبل الفتح الإسلامي بزمان بعيد حيث احتفظ دمهم بده السكان الأصليين . ولمدة اكسوم - وهي بواقي تحت منها دولة الحبشة في بعد - اصول تعود إلى القرن الأول للميلاد .

والحبشة هي الملاد الأفريقية الوحيدة ما خلا مصر التي تنعم بتاريخ معروف وقد مرت على الأمة الحبشية أحوال متميزة انحصرت فيها باستقلال سياسي سافر المثال . وفي التقاليد التي تدور المؤننون عدها أن عهدهم الذي كان ملاب قبل التدخل الإطاني الأخير - بعد بؤوا الفتح - هو من سلافة سبائك الحكيم ومسكة سب - إلا أن الحقائق زاهدة لا تؤمن في تاريخهم إلى ما قبل القرن الأول الميلادي وليس لدى ما يؤمن به من الأخير الصريحة هذه الأمة قبل اعتناقها النصرانية على يد القديس فرمانيوس ^(١) السوري حوالي منتصف القرن الرابع للميلاد .

نصر محمداه

وحرزى إلى ذلك آخر من ملوكهم يسمى التبريد (وهو يتبرج من بخصب في ياقوت ^(٢)) وقد دلى الحكم في القرن الأول للميلاد أنه بنى أفخم قصور اليمن

١ - وفي ما ر الحبشة أن أجراً سوراً عرج بوضه تين من إفريقية هو ومديوس والخوا على أحد أنوار بحر الأحمر حيث قتل جبروسى لأهول في حمرة سندا . ويروي أن الملك السور فرمانيوس ترجمه بطريرك الاسكندرية أول ساق على الحبشة . *Budge, History of Ethiopia, vol. I, pp. 147 - 148*

٢ - معجم البلدان ج ٣ ص ١١١ . وهو أبو شرح يخصص في كتابي أفندي بشر نكريل ص ٢١ .

وقد شُيِّت اليمن « بلاد القصور » . وهذا القصر هو الخمدان في صنعاء . وكانت
المحضرين من حير حبرون بحكم الضرورة إلى القصر والقصر والبقاع النبعة القصر
أقاربت البدو . وقد امتاز الخمداني ^(١) المتوفى سنة ٩٥٥ هـ وباقوت بعده
عظمة الخمدان ووصف القصر بأنه وصف دقيق برغم أن رسومه كانت قد عنت في
عصره . ولم تختلف منه سوى حياء خواجه القصر . فكان في هذه القاعة قبا
رواد هذا الجدران عشرون طرفة مسطوفة مصب فوق عرض وبين كل سقفين
عشرة أفرع . فهذه الآن أول ملامح السحب في التزيين الخمداني . وكانت مربية
بالغرائب والبربري وأرخام . وحمل مصاب الخمدان بحسه في أعلى طرفة في القصر
وأطلق سقفه رخامة واحدة فكان يستلقي على فراشه في طرفة حير به الطائر
فيعرف به العرب من الخدانة . وكان القصر أربعة أوجه منها وجه مهي بحجارة بعض
وجه بحجارة سود ووجه بحجارة حمر . وكان في كل ركن من أركان القصر لشد من
نفس فكانت الرياح إذا عنت لتردد في الحواف من الأسود فزأر عند ذلك . وفي
عصره قول الخمداني :

ومن السحب مصعب مربة ومن أرخمه مطلق ومؤزر

وفي البيت حتى ظهور الأمام ووجه عدم في القصر الخمداني الذي نعه عنه
المنظر السيرة الأسطورية في اليمن . ولقد عهد موقعه الأمام يعني بصفته فاعر أن
قوم خراسنه يقرب يتعرف عليه وكان السلال القصر قد أعجب به القصر . ويستدل
من الحجارة العظيمة التي تليد به الجمع الكبير الخدث صنعاء وطريقة تحتها لها
منقولة من غير ذلك قلعة قديمة .

وبدو البيت في هذه خلفه لأول من أخرج حير سيداً قطاعياً يكن قلعة
حديثة مستبد في حكم الأرض بحرب القود ذهباً ونهضة ونهضة وهي حامية برسمه
على أحد وجهيه وصورة ودة على الوجه الآخر (الصورة شعار مدينة البنة الليوانية)

أو رأس ثور ، ومن شؤدهم القديمة طائفة تشل رسماً لرأس الألهة الينة ويستدل
من هذا أن أهل الجنوب إنما توخوا في سك النقود قواعد اثينية وذلك في ما يبلغ
القرن الرابع قبل الميلاد قديماً . وفضلاً عن النقود فقد عثر النقبون في اليمن على
اشكال وتمثيل صغيرة من البرونز من صنع الفينيقيين والساميين . إلا أن الفن
البلدي ليس عريقاً في القدم ولا يعرف رسماً أو بلاداً عثرت فيه العفوية السامية
عن نفسها في هذا السيل القوي .

ولقد اوضحت الرقيم أن نظام الاجتماع في بيئة سبأ وحيد كان يرتكز على
أساس توارثت فيه مزايا الحياة النفسية بطبيعة انفس الامة إلى طبقات مستقلة متباينة
وبالاستقرائية الاقتصادية وحكومة المسكية فهدم شكلاً قديماً بدانه لبعض مظاهره
مثيل إذا اعتبر كل مظهر منها على حدة ولكن مجموعهم يريد هذا لا يحاكمه نظام
آخر في تاريخ الأمم .

تحول تجارة العرب البحرية إلى الرومان

ولم تنفص الحقبة الأولى من تاريخ حيد حتى من نعم دولة الجنوب إلى الأقوال .
فأرخاء الذي حالف اليمن كان وليد نجاحه في امتلاك مرفق التجارة في حفات
البحر الأحمر . ثم بدأوا يتخذون في الاستئثار به والسيطرة عليه . واسالموا نصفهنا
وكتاب الطواف حول البحر الأحمر في (٥٠ - ١٠٦٠) - وهو أول ما وصلنا
من مدونات العلاقات التجارية المنظمة بين الشرق والغرب التي انشأها العربيون
وابتنوا لها السفن وقاموا على الدار - وأخذ يولد جديدة لشعوب بأفكار عظيم في
ميدان التجارة . وكان الاسكندر قبل ذلك يهدد كين هذا الطريق البحري العظيم
الذي كانت يفتقر ارضه لخلال الخصب ويربطه بين أوروبا وأفند فيسبب
الاصطدامات المتوالية بين امبراطورية الفرتين وامبراطورية رومان . وتكن الخط
البحري الجنوبي الذي ينتهي إلى أفند ، فل في أيدي العرب حتى القرن الأول
للميلاد . وكان تأهبا أن يجمعوا حصلات بلادهم وحصلات افريقية الشرقية وأفند

ثم يرسلوها على ظهور الأبل تتحلى من مذب إلى مكة فاشته ومصر اجتناباً
 لأهوال البحر في البحر الأحمر . أما إذا اضطروا إلى نقل البضائع حراً أو رأوا أنه
 اصطلح فإنهم كانوا إما يسلكون البحر الأحمر كله إلى القنطرة حيث يتحولون ببضائعهم
 إلى أحد فروع النيل العليا الشرقية أو يقيمون إلى وادي الحمت ثم يعبرون الصحراء
 المصرية إلى طيبة أو يقيمون في النيل إلى ممفيس . وكانت الخطط التجارية التي
 يخترق البحار قد انتهت على ملوكة المخطات الخيرية ^(١) وأودا ستراو ^(٢) أن القوافل
 كانت تقطع المسافة بين « مينا » و « نبال » (القنطرة) في مدة سبعين يوماً . ثم
 ازداد ونع الأقوام العربية بالتمسك بالشرقية وضاعت رغبتهم في الأعطار والطيب
 فتسارع عرب الجنوب إلى رفع أثاث منازلهم خصوصاً المسك وازدادوا المكوس
 والضرائب التي يلقاها عن البضائع الأجنبية التي تمر بلادهم وازدادوا حرصاً في
 الوقت نفسه على تشكيل قبضتهم على طرق التجارة ، ومن هنا كثرت فروقهم
 وأصبح غدهم مضرب الأمان . وقد ساء كل من البلاد وتدمر في هذا النظم
 التجاري الواسع وكانت كل منها حقة في سنة هذا الطريق التجاري وتتمتع
 نصيبها من الثروة والرخاء . ولكن الموقف كله أخذ يتغير الآن .

ذلك أنه عندما حلت البطانية على أربكة مصر وأعدوه إلى مصاف الدول
 العظمى بدأت أول محاولة لتزاح مع عرب الجنوب والبراق الجديدة البحرية منهم .
 فنشط بطليموس الثاني (٢٨٥ - ٢٦٠ ق . م) إلى فتح القنطرة بين النيل والبحر
 الأحمر وكانت سيزوسترس قد تقف قبته بنحو ثمانية عشرة فرساً . وجدت
 أساطيل البطانية التجارية إلى البحر الذي يوصل مصر والجزيرة العربية فاذى ذلك
 إلى اندحار زعامة حوض التجارة ثم طعت رومة فأنزلت مصر من البطانية حوالي
 منتصف القرن الأول قبل الميلاد وسقطت حضوهم في مزاحمة العرب في البحر وبذلك
 جهدها لتحرير مصر من الانكسار التجاري على اليمن . وقد كان الموضع اليوناني

(١) راجع القرآن ، ص ١١٠ - ١١٨ .

(٢) Bk. XVI, ch 4, § 4 .

منذ أيام سيبوس يشكون من انكسار من قذاحة الاسر التي كانت يخرصها تجار العرب التي تسلم التي اضطرت رومة الى ثمراتها قسداً إذ لم يكن لديها الا القليل من السلع التي يرغب فيها العرب على سبيل التقبيل . قول سيبوس :

« كانت بلاد العرب تحت « سفينة » لا يذوق فيها ثمرات يستعذبها أهل الشرق ويدهون في اقتنائها جبهات موانئهم . هكذا اعترف الشرق الى حرق هذه الطحولات امة اجد اعزتهم ارحمهم الى دار الله . حد أن كان استعذب قبلاً يمحصر في ورايه العبداء لأهلهم^(١) . . . ولكن غير العرب اخرى بكيفية العبداء فهو مصدر المؤن . ويتر القند وقبلى سرا وعرب الجزيرة من اموال امبراطوريتك منع مئة مليون سنماً [نقد روماني قديم] كل حول . هذا على اقل حساب . وبتك قوة مائة بذرهم على اموال متروكة و...^(٢) »

ولا يمكن الاحتمال فيه ترى راسين بنصيبهم من النعم التي كانوا يتلوه من حيرتهم في الشرق فخذوا الآن يحضون وداً الروم .

ونسى لاحد الروم او اليونان في الحقبة الأخيرة من عصر البطانية ، وانه كانت يعمل في اسطول الاحمال البحري ، ان هي اسرار الخطوط التجارية ويوقف على انقاضهم وسدلات ربح السحرة الدورية فيها فقد ادرجه الى الاسكندرية يحمل وبقى سفينة من السلع المستطاة العزيرة اسفل فيها القرقة والبحر من الهند وسواها من الامصار التي حسب الاول بيوت قبلاً انهم غربة المصدر . وجرى آخرون في أثر هياوس هذا الذي امسح مقدمه عند البطانية مقدم كوليوس لم فتحه من الابواب التجارية الجديدة فدعوا بني جسيهم على هدم مروج الاحتكار التي كانت تجار العرب قد رفعوا بناءه . ولكن لم يقو احد على الاستفدة من هذا الاكتشاف العظيم الذي اوضح السار عن سر السحرة الدورية واطير الخط المباشر الى الهند حتى العصر الذي استولت فيه رومة على مصر . وكان دخول سنن الرومان الشاحنة الى

(١) يشير الى كليون .

الأوقيانوس الهندي نذير الموت حيدة البحر ورجاء في بلدان الجزيرة الجنوبية . ولم
يقف التدهور الاقتصادي عند هذا الحد بل تزايد التدهور ميسي كما هو مألوف في
مثل تلك الأحوال . وأخذت دول الجزيرة يثراء وضمير وبلاد العراق الشرقية تسقط
واحدة واحدة فريسة لذيئاب الرومي .

١ - دولة حمير الثانية

وحوالي سنة ٣٠٠ ميلادية أصبح لقب السكي في جنوب بلاد العرب هو
ملك سبأ ودوا . . . وحضرموت وبنت « . . . ويؤخذ من ذلك ان حضرموت في
ذلك الوقت كانت قد فقدت استقلالها . ثم اصيف ان هذا لقب قسم آخر :
« وعربهم في الجبل وفي التهمة » . ويحوز نصير « بنت » (التهمة) الواردة
في اللقب اعني قصة شجر بني السوك بها اسماء الشقي على السواحل الجنوبية .
اذ التهمة فهي ساحل البحر الأحمر الى غربي صنعاء .

ثم غزا الأحباش البلاد العربية ثم حطل لدهم فيها (٣٤٠ - ٧٨ م) وما
لبثوا ان فرقوا واسترحمت حمير سبدها واستقرت منوكها انهم انضمت الى ما سبب
٥٢٥ م . وفي وقت اكسوم التي يرجع عهده الى منتصف القرن الرابع بعد ملك
الحقة يدعى « ملك اكسوم وحير وريدان وحيلة »^(١) وساح ونهمة « . وما هذه
بالول غيرة للأحباش على الجزيرة ولا هي آخر عهدهم بها فقد سبق لها في القرن
الثاني والثالث للبلاد ان تحبوا في بسط نفوذ وقتي على بعض اعداء الجنوب .

وابقت لما الرق اسماء تسعة من منوك حمير في هذه الحقبة ومنهم من ذكرتهم
الآداب الاسلامية لقب « نبع » السكي وهؤلاء هم اتبعية المعروفون . احدهم
يسمى شمر برعش وقد دوت احبيده الاساطير العربية وجعته يقطع الافطار حتى
سرقند وزعت أن اسم هذه البدة مشتق من اسمه . ومالك آخر هو ابو كرب
اسعد كمال (نحو ٣٨٥ - ٤٢٠ م) وقد حكى انه اكتسب بلاد فارس فخصها ثم

اعتنق اليهودية بعدئذ . وقد حدث ذكرى إني كرت اسمي في اشعار الحاسة العربية .
وانتازت هذه الحقبة الأخيرة من تاريخ حمير بدخول النصرانية واليهودية الى اليمن .

النصرانية واليهودية في اليمن

ولقد قامت ديانة الجنوب في جوهرها على أساس تأليه البارات القبلية
وتركزت على عبادة القمر - الاله سين - واسمه « ود » عند النعنين (بمعنى الحب
او المحب او الأب) ، وعند سب « ألقه » (الاله العطش الصحة) وفي ديانة فطان
هو « عد » . وكانت الزعماء على آغلب كالم وقد صوره عبده المذكري
وقدموه على « الشمس » التي اعتبره زوجة . وكان الاقنوم الثالث في مؤلفه الديني
« عثر » انبي (وهو فليس او الزهرة ويحالي الالهة الثمانية عشر ، وعشرت عند
الغيبنيين) . وانج هذا الروح السوي الحرام فكيف اخرى أخذوه آلهة . ويحتمل
ان الثلاث الالهة العربية السابقة المذكورة في القرآت هو اسم آخر لالهة الشمس هذه .
وكانت قد أخذت تدرب الى الجنوب مبدئ النصرانية على المذهب النوفري
من عهد قديم . وربما كانت الرسون السورين قد قصدوا اليمن في أوسمة مبهمة
لدين ، ولما من الانصاف . وكانت اول سرية نصرانية الى الجنوب تلك التي
وفدها الامبراطور قسطنطينوس في ٣٥٦ رأسه ليوفينس اديس الأروسي (على
مذهب آريوس الذي انكر لاهوت المسيح) . واهم البواعث الداعية الى هذه
الارسالية توضيح الحالة المسيحية بين الدول المتاخمة والناظرة بين الامبراطورية الرومانية
والامبراطورية الفارسية اذ نشطت كل منهم الى توسيد هيبتها في جنوبي الجزيرة . والفتح
ليوفينس في اث . بيعة في عدن وسبعين في أرض حمير . ان جرات التي جازها
النصرانية على المذهب النوفري فيقال ان حملها اليها هو رجل ذو ورع
قدمها من سورية اسمه فيسون . فعتنقت البلاد الدين الجديد في نحو ٥٠٠ م . ونقل
ابن هشام ^(١) والخطري ^(٢) حكاية هذا الزاهد وقد اسرته قفلة عربية فزلت به

(١) السيرة . لفر وسند . (عوفينس ١٨٤٨) ص ٢٠-٢٢

(٢) تاريخ الرسل وحوادثهم . لفردي عوفيه (بين ١٨٦٩-١٩٠١) الجزء الاول ص ٩١٩-٩٢٠

أربعة وثلاثون . عطف رجل من قديم وهي قبيلة غلب إلى عداوة الكعبة وأحر من
بني مالك فخرجت حتى إلى القليب فقتلوا فيه ودمه ثم رجع فقتلهم برصهم .
فصل ثلث أربعة فحلف مبرور أن يبيت لدى أبيه إلى العرب . الكعبة في
مكة . حتى يهدمه . ثم أمر أخاه فنجحت له حرب . وعرف سنة حمله على مكة
سنة التيل (٥٧٠ و ٥٧١ م) وهي سنة مؤلف النبي العربي لأن أربعة قبل فيها
عليه فحصل على مكة في تلك فحدثت حرب خضرية ولم يكن القوية مؤلفة
عليه . لأن أربعة في الحج في وقت الحسنى السبعين ^(١) في القرآن .
عطفه في وقت

العمار من مارب

وعطف في حرب حربه مع العرب سنة ٥٧١ م . ومعهم النبي في مكة . حربه الأكل
الاسلام . مع بني النضير سنة ^(٢) ٥٧١ م . ومعهم النبي في مكة .
ومعهم العرب سنة ^(٣) ٥٧١ م . ومعهم النبي في مكة . سنة ٥٧١ م .
معهم النبي في مكة . سنة ٥٧١ م . ومعهم النبي في مكة .
سنة ٥٧١ م . ومعهم النبي في مكة . سنة ٥٧١ م .
معهم النبي في مكة . سنة ٥٧١ م . ومعهم النبي في مكة .
سنة ٥٧١ م . ومعهم النبي في مكة . سنة ٥٧١ م .
معهم النبي في مكة . سنة ٥٧١ م . ومعهم النبي في مكة .
سنة ٥٧١ م . ومعهم النبي في مكة . سنة ٥٧١ م .

ومعهم النبي في مكة . سنة ٥٧١ م . ومعهم النبي في مكة .
سنة ٥٧١ م . ومعهم النبي في مكة . سنة ٥٧١ م .
معهم النبي في مكة . سنة ٥٧١ م . ومعهم النبي في مكة .
سنة ٥٧١ م . ومعهم النبي في مكة . سنة ٥٧١ م .
معهم النبي في مكة . سنة ٥٧١ م . ومعهم النبي في مكة .
سنة ٥٧١ م . ومعهم النبي في مكة . سنة ٥٧١ م .

ومعهم النبي في مكة . سنة ٥٧١ م . ومعهم النبي في مكة .
سنة ٥٧١ م . ومعهم النبي في مكة . سنة ٥٧١ م .

معهم النبي في مكة . سنة ٥٧١ م . ومعهم النبي في مكة .
سنة ٥٧١ م . ومعهم النبي في مكة . سنة ٥٧١ م .

معهم النبي في مكة . سنة ٥٧١ م . ومعهم النبي في مكة .
سنة ٥٧١ م . ومعهم النبي في مكة . سنة ٥٧١ م .

معهم النبي في مكة . سنة ٥٧١ م . ومعهم النبي في مكة .
سنة ٥٧١ م . ومعهم النبي في مكة . سنة ٥٧١ م .

معهم النبي في مكة . سنة ٥٧١ م . ومعهم النبي في مكة .
سنة ٥٧١ م . ومعهم النبي في مكة . سنة ٥٧١ م .

معهم النبي في مكة . سنة ٥٧١ م . ومعهم النبي في مكة .
سنة ٥٧١ م . ومعهم النبي في مكة . سنة ٥٧١ م .

معهم النبي في مكة . سنة ٥٧١ م . ومعهم النبي في مكة .
سنة ٥٧١ م . ومعهم النبي في مكة . سنة ٥٧١ م .

معهم النبي في مكة . سنة ٥٧١ م . ومعهم النبي في مكة .
سنة ٥٧١ م . ومعهم النبي في مكة . سنة ٥٧١ م .

معهم النبي في مكة . سنة ٥٧١ م . ومعهم النبي في مكة .
سنة ٥٧١ م . ومعهم النبي في مكة . سنة ٥٧١ م .

معهم النبي في مكة . سنة ٥٧١ م . ومعهم النبي في مكة .
سنة ٥٧١ م . ومعهم النبي في مكة . سنة ٥٧١ م .

الكثرة الكبرى التي اشر اليها القرآن (سورة م - ١٥٦) فيقرب وقوعه عند
سنة ٥٥٢٢ وقبل ٥٧٠ . ويحتمل ان أحد الفجرات المذكورة في مروج هي غابت
الى حوران في سوريا حيث الشو دومة صطبة الرومن في الدفاع عن نجوع .
ومروج هي حو احد الى ارض الجزيرة حيث كشف حصار عن عدد من رقة
الجنوب المرساة . وقد كانت غلب في ارض مصر المد حشدت تحت حراسة
دانة عيده الجدد^(١) . وقصلا من غلب ومروج الترابين في مروج سوريا . ويحتمل
ان كبرا من قدام التول الكبرى في مروج الترابين من مصر حوي من مروج
والمسلة . وفي الشام اليوم غلات اربع دسلف حلال في عهد هذه الدولة .
ويؤيد بحجة العرب المحدثين هذا تحت اربع من حوران سبل العرب والمحدثين
المد اربع تحت في مروج البحر والاحداث في ارض حوران حوي به والتفكير
والاحداث في مروج ارضه^(٢) . غلب لارده . والتقدم القوي . وهو الغلال
ومروج مروج . في مروج البحر لارده . مروج مروج البحر
شامية حوي اربع . وفي مروج مروج في مروج البحر . مروج مروج
مروج من مروج مروج من مروج مروج . مروج مروج مروج مروج .
ومروج مروج من مروج مروج . مروج مروج مروج مروج . مروج مروج
البحر لارده . مروج مروج مروج . مروج مروج مروج مروج . مروج مروج
سبل مروج مروج مروج مروج . مروج مروج مروج مروج . مروج مروج
البحر مروج مروج مروج . مروج مروج مروج مروج . مروج مروج
البحر مروج مروج مروج . مروج مروج مروج مروج . مروج مروج

١ - السوردي . كتاب المسند . تاريخ مروج . ١٩٩٢ . م ١٠٠ .
٢ - المسند . كتاب المسند . تاريخ مروج . ١٩٩٢ . م ١٠٠ .
٣ - السوردي . تاريخ مروج . ١٩٩٢ . م ١٠٠ .
٤ - السوردي . تاريخ مروج . ١٩٩٢ . م ١٠٠ .
٥ - السوردي . تاريخ مروج . ١٩٩٢ . م ١٠٠ .
٦ - السوردي . تاريخ مروج . ١٩٩٢ . م ١٠٠ .
٧ - السوردي . تاريخ مروج . ١٩٩٢ . م ١٠٠ .
٨ - السوردي . تاريخ مروج . ١٩٩٢ . م ١٠٠ .
٩ - السوردي . تاريخ مروج . ١٩٩٢ . م ١٠٠ .
١٠ - السوردي . تاريخ مروج . ١٩٩٢ . م ١٠٠ .

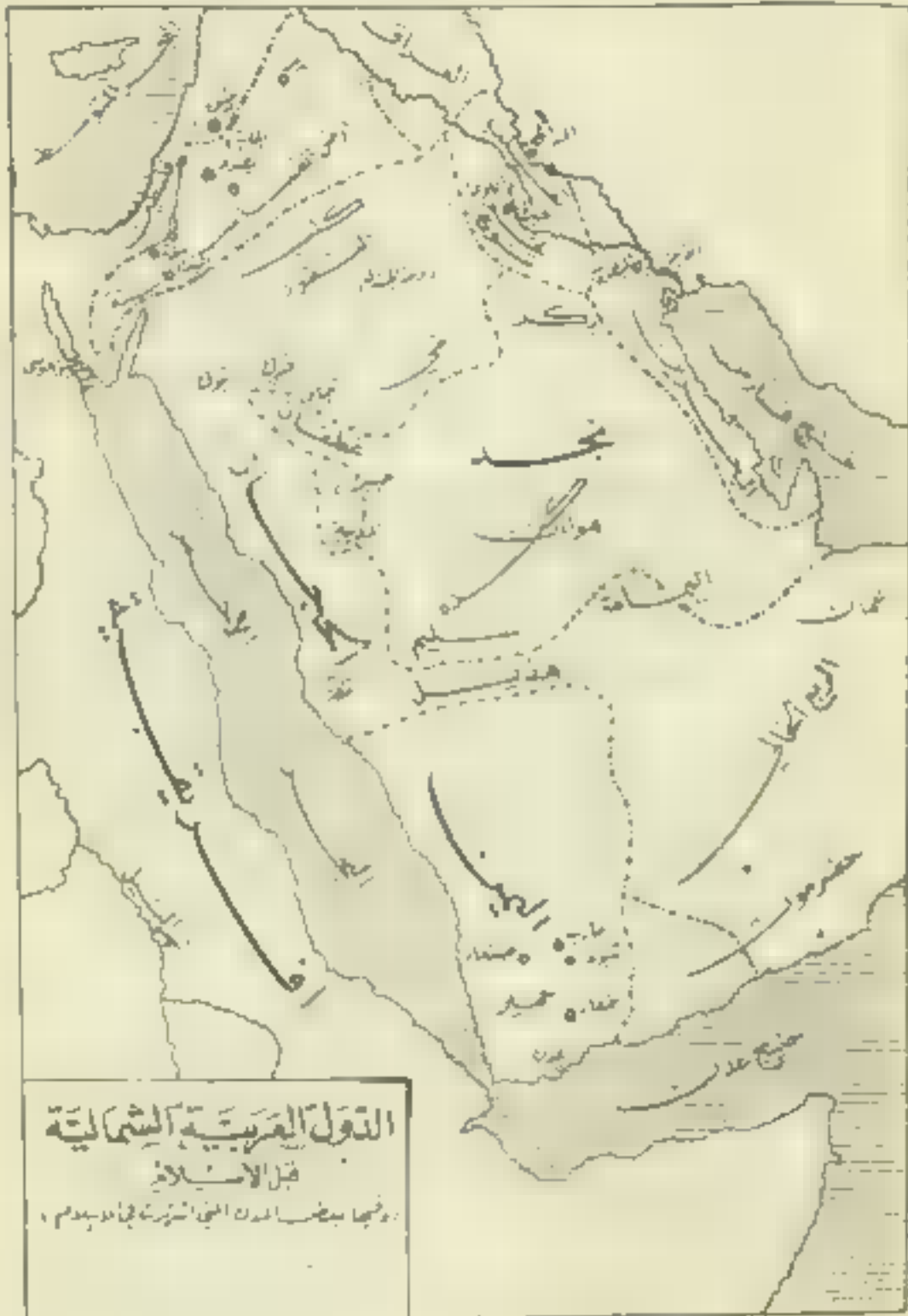
الفصل السادس

دولة الأنباط وغيرها من بولايات شمال الجزيرة وأواسطها

١ - المرحله

شأ في ديمور جاهدة عن دور جنوب صبح دور الالب ذهب في شهر حرارة
واواسطه . وكانت حين هذه الدور الالب القليلة كحسان دور الجنوب منه على
الحدود . هم يكن نحل من الاموال دور حرارة لا في شهر ولا في رجب ولا في ربيع
وكانت افده هذه الدور الالب شكة الاسماء .

[illegible][illegible]



العصور القديمة وجدوا صور الكتابة الآرامية عن حيراني في الشرق . وقد نشر
شيدورس^(١) التي كتب اسمه المعروف منهم "بحروف السريانية" . وقد استعمل
الأساطير الآرامية في عام والادب الأساطير التي يكتبون في رسم الآرامية
البقية والتميز الأعلام العربية والاعط العربية التي استعملوها من نقطة "عبر" لم
جميع عن ن لغة اصحاب هي حجة من هجت لمسة .

وقد تطور الخط السني على كل من الآرامية والاصح في القرن الثالث قبل
الخط السني في لغة عرب الشرق في لغة القائل لغة القديس حبيب . وقد جعل
هذا التطور من الخط السني القديس حبيب - من مبدع الشكل الحالي الخط
الكوفي الذي ازدهر على يد الكوفة والقديس سمير على يد القائل والتميز
الرجح الآرامية . والاصح السريانية والكوكبات . ومن لغة الآرامية العربية عهد
في الجزيرة في سري حوران ورجع اسمه في ٣٢٨ م . وقد ارجع في قريش
القبائل^(٢) بعد موت النبيين بحيرة . ومن بعد ذلك من كتابة الآرامية
من الآرامية السريانية والسريانية الآرامية^(٣) .

أصل الاصطلاح في سريانية

كانت لغة سريانية منذ القدم تسمى بالآرامية السريانية . وقد تسمى
بالخطوط على لغة مثل الكتابة الآرامية السريانية . وقد تسمى
الاصح عن هذه اللغة منذ صعد سوري في لغة سريانية حجازة . ومن بعد
تدهور . ومن بعد حجة كثيرة على سوري . والكتابة هي من خط السريانية
تسمى السريانية في حجاز . ورجع سريانية في ١٨٥٠ م . التي هي في
قش السريانية السريانية في حجاز . كان قديس . من في يونس السريانية

(١) Syriac, p. 10.

(٢) Syriac, p. 10.

(٣) Syriac, p. 10. ورجع سريانية في ١٨٥٠ م . التي هي في يونس السريانية

مع الزمن أما شكل الأعداد لا يورثه .

أما الرقعة المنكشوفة غيب في حجة ضد تركيبة حروف وراجع عهدنا إلى حو
١٠٠ سنة م أو عهد ^(١) وهو حوذي في ذلك العهد ضد من راقه الناحية التي
وحدث في الغالب من ثماني أحجار (ويجوز أن يكون خمسة راقه) ثم في حجة غيب
في حروف - لغة المأخوذ لغة الموقفة (والكلمات الموقوفة التي تسمى غيب في
لغة غيب ووجهية في لغة حمر) (من عهد قبل الحاضر في م (أ) أحجار
شكل الأعداد بصورة القرينة ^(٢) ولكن غيب غرضه تسمية لا حروف بل هو
لغة العدد إلا أن اختلاف حروف هو - هو موقوفة لا حروف موقوفة - مع إمكانية
الاحدية التي كانت معها - كما جاء ضد - هو غيب إمكانية حروف في حروف
أحد من موقوفة - هو ضد - ضد في ذلك - كما - حروف - كانت - هو -
إمكانية لا يورثه .

وبما كانت حروف حمر - حروف - حروف - حروف - حروف - حروف - حروف - حروف -
القامات هذه إمكانية حمرية ووجهية وسودقة - لا - حروف - حروف - حروف -
ميسوس ^(٣) - حروف - حروف - حروف - حروف - حروف - حروف - حروف - حروف -
في ذلك من قبل مستعمرة حمرية على حمر - حروف - حروف - حروف - حروف -
أحمر - حروف - حروف - حروف - حروف - حروف - حروف - حروف - حروف - حروف -
لاستبدال على حمر - حروف - حروف - حروف - حروف - حروف - حروف - حروف -
لغة الحروفين كثيرا باللغة حمرية ووجهية - حروف - حروف - حروف - حروف - حروف -
من حروف الحروفين حمرية عن مدية - حروف - حروف - حروف - حروف - حروف - حروف -
^(٤)

(١) F. A. Winitz, *A Study of the Talmudic and Talmudic Texts*, pp. 1-10.

(٢) F. A. Winitz, 1907, p. 10.

(٣) F. A. Winitz, *Les Archaïques et les Archaïques*, pp. 1-10.

(٤) F. A. Winitz and F. A. Winitz, *Les Archaïques et les Archaïques*, pp. 1-10.

Bl. VI, ch. 32.

(٥) F. A. Winitz, *Les Archaïques et les Archaïques*, pp. 1-10.

البراد

تألفت البراد ثمة منها ومحمد في غرب الأول الثاني وهي راحة في صيد
لرومن الذين جعلوا بها دوة منها حارب من متصديقه على نحو امير اسود
لترينين فاكستت بعد ولادة وبعث مدينة حصينة لا يمكن قهرها من حارب
الشرقي والغرب واحتوت وكانت قد رقت من حارب لغيره من موثق لامة
من السخور حيث كانت يستعملون لغيره لاما من لاسبق معراج وهو

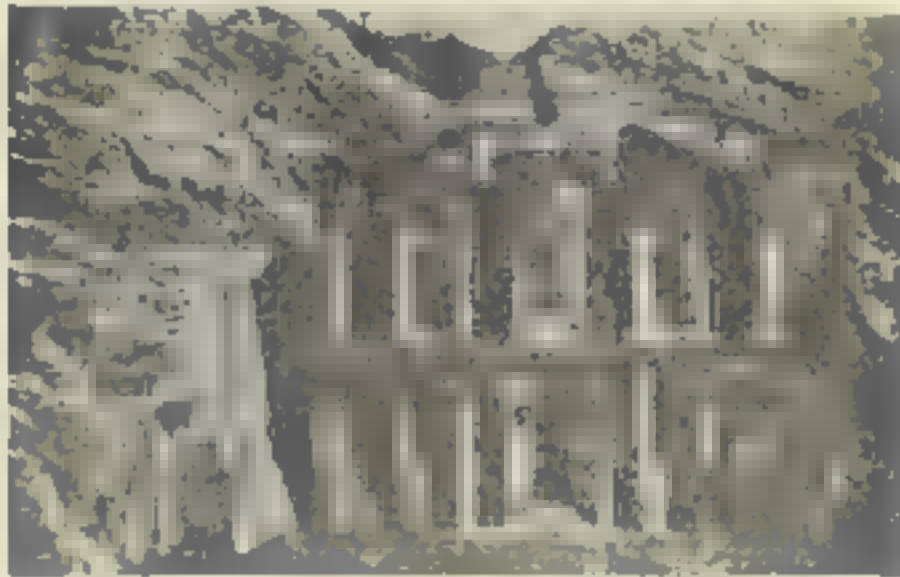


البراد

وكانت مع قدامى عادي حارب من هذا موضع من الارض ولوسط حارب
لاهم يجمع من هذا مع في كل غرب حارب لغيره من لاما في قوائمهم
لرحل ويستعملون مع حارب من في شجرة حربية وحدا في حارب
بحسبهم الأخيرة ، فكان لاسد : حلبة حربية في كل لاسد لغيره
التي كانت عمارة على اربعة ارجل حربية ورجل ، ولا تزال القلعة
الفخمة اراحة تحذب اليها العدد الكبير من السباح وهي تعتبر مورد هام من مورد
الدخل لحكومة شرق الارض اليوم .

وكن في القراء مضمون الذي يقصد الخراج هو انه كرامة عرب بيت المقدس في
حديثة . وكانوا يسمون فيه وسموه دوسري (دوساس) وسموه حجر اسود
سطل . وكان هذا المعبود المبدع على جماعة آتية . ما سلف الالهة بعدهم
وهي اللات التي اعتدوها هيوداس^(١) افورثت وراية حين . واصبح دوسري
او دوسري انة الكرامة من هذا . وقد حي . به الى ارض الاسباط في القبة
غنية فكتسب صفت دوسوس وياحوس في الغرب .

ويست في القديس لوي من التاريخ ميلادي عصورات اهم ان اهل الملاحة



الهيكل

من ارض القدس المسمى في هذا . وتكون خط القوس بين الشرق والغرب
الى نقطة حمية وتسمى من مركزها الوسط من ركنات سيدانه وقد على القراء .
كنائس من احد القري حربي هذا يستدلل ان الشرق تقع مع خط الخراج
في المصور الاسلامية . ومع خط اسكة حجرية خفية . وقد رأت هذه الاموال
على الالاس وثبت ان اقليم حديده ونقطة من مدايم جغرافي فذهبت توثيقه .

وبعد أن دمر تراجان مدينتهم سنة ١٠٥ م لجشعه وقصر نظره انضمت بلاد العرب
الصغرى الى ممتلكات الامبراطورية الرومانية وصارت تدعى - اراية ووفينكيا -
مقاطعة بلاد العرب . وانقطع منذ ذلك العهد تاريخ البقاء لهذه قرون ^(١) .

١٢ مملكة نمر

وليدت الخلل في آسية الغربية بعد استيلاء الفريسيين على بلاد ما بين النهرين
وفتحت خطوط تجارية جديدة . في القرن الاول لحيلااد بحيث مهدت السبل لقيام مدينة
في واحة باواسط بادية الشام لا يزال صيتها منتشرا الى الوقت الحاضر . تلك هي
مدينة ندمر (باليرا) التي اختير لاطلاها الخالية من افخم الآثار القديمة وان تكن
اقامها عصابة من قبل الدارسيين . وقد ثلث ندمر بين دوشين منطقتين دولة المرينيين
ودولة الرومان . فاضطرت الى ضمن الامن لنفسها نوعي اللوازم بين هاجن
الامنين والسبي للاضطلاع من حبيدها ^(٢) . وجبها مركزها الجغرافي وما فيها من المياه
الثقبة والمعدنية فائدة المحافظة على طرق الاموال المنقطة بين الشرق والغرب فضلا
عن انها كانت على طريق التجارة بين الجنوب والشمال فصبحت منفى لجميع
القوافل وبكثر في بقوسها القديمة ذكر عبدة « زعم القادة » و « زعم السوف »
باعتبار ان لشر اليه هو من زعم النواطين ^(٣) ونسأت هذه القاعدة الصحراوية
طوال القرن الثاني والثالث لحيلااد اعلى مراتب القوة والجاه بين مدائن الشرق .
وندمر (وهو اسم سامي) مدينة قديمة العمران فقد ذكرها نفلث بالاصر الاول
(نحو ١١٠٠ ق . م) في رقبو باسم « ندمر امويرو » ^(٤) . وقد تركت انقاضها اثرأ

١١ ان ارم نواع اعني الذي اكتشف حديثا على بعد ٢٠ ميلا من شرقي من بحيرة هورم المذكورة
في القرآن سورة ٦٩ : ٨٠ .

Pliny, Bk. V, ch. 21 (٨)

Cooke, pp. 271, 279 (٩)

Luckenbill, Vol. I, p. 287, 308 (١٠)

عميقاً في نفوس المصاعين العرب بحيث عزوا لها إلى الجن بامر من سليمان الحكيم .
ولم تعين الاخبار العربية اول عهد استعمار العرب لدمر فهو صحيح في القدم .
واول اشارة واضحة اليها ترجع الى يوم دخول مركوس انطونيوس سنة ٢٢ - ٢١ ق.م
ان يبور بكونها فالحقق . ولفد الرفق التي وجدت في تدمر ترجع لسنة ٩ ق.م
حين كانت قد اصبحت مركزاً تجارياً خطيراً بين دولتي الرومان والفرسيين .
والراجع ان تدمر دغمت ضمن التوسع الروماني في افدء عصور الامبراطورية لانا
تجد قرارات رسمية تحق «شكوس» «الكركية» «مادة سنة ١٧ - ١٦» . وكانت
خضوع تدمر ومنحها سلطان رومة على عهد امبروس (١١٧ - ١٣٨) . وقد
جاءها الامبراطور ادرسوس زائراً سنة ١٣٠ فحضر قبل «ادريوس» «البر» . ثم
سبميوس سيفيروس (١٩٣ - ٢١١) فجعل تدمر ومنحها سلطة قضائية في
امبراطوريته . وفي مطلع القرن الثالث صدرت تدمر مسيطرة رومانية ولكنها لم
تفقد الحكم الذاتي قط بل بقيت تدير شؤونها بنفسها . ولم يكن اعترافها بسلطان رومة
الا اعترافاً اسمياً . بيد ان اهمية تلك العهد انحدرت بتدخل لانسبة اساء رومانية .
وقد ادرك الرومان اهمية المدينة من الوجهة الحربية لان طريقهم بين دمشق والفرات
تربها .

ووصلت تدمر الى اوج عزها بين سنة ١٣٠ و ٢٧٠ والى هذه الحقبة يرجع
سواد النصب التذكارية فيها وما عليها من نقوش . وبلغت صلاتها التجارية شرقاً
حتى الصين . وباعتبار انها مدينة خلقتها خطوط القوافل ، فقد اصبحت الوارت
الحقيقي للبراء .

أزينة وذريرة

ولم يطلع نجم التدمريين في الحرب الا عندما استطاع رعيهم اذينة (٢٦٥ م)
(اذيناوس ، أزينة في العربية) ان يقضي شاور الاول من الشام بعد ان كانت

(١) تجد تصوراً تين بعض الرسوم على البضائع والاعمال اليونانية والتدمرية في كتاب Cooke, pp. 313-332

هذا الأخير قد أسر الامبراطور فاليريانوس واستولى على جانب كبير من سورية . وقد ظل اذينة في مطاردة شاور حتى اسوار المذائق (تيفون) عاصمته وسبق ليد تدمر أن اطلق النار على بلاد حسا في رواق عتيق انتبكت فيه الرومن وآل مسان الذين تبوأوا عرش القرنين (٢٢٦ -) . وكان يقاتل مع الرومن ففخته الشبيحة الرومانية سنة ٢٦٢ - لقب « دوكنس اوردنس » أي نائب الامبراطور على الشرق مكافاة له على بطونته في حمايتها . وما ظهر فضل جهاده في ربيع شاور اغدقت رومة عليه اسباب الاكرام والتبجيل حتى اعم عليه الامبراطور غالديوس بقب امبراطور فخري واقره فاندأ بجيوش رومة في الشرق . وذلك تمت له السيادة على آسيا الصغرى والقطر المصري بصورة اسمية فعلا عن استئذنه بالسلطة المجردة على ربيع الشام وشمال الجزيرة وريغا كانت بلاد ارمينية خاضعة له . وغدت تدمر ذات سيدة نافذة الأمر على بلدان آسيا الغربية . وما لك قد مضت سنة على تلك العظمة وذباك المجد حتى قتل اذينة وبكره بغيلة في حمص « حما » . ولعل رومة ارادت في ولاته فلوغرت الى بعضهم أن يريخها منه .

وآل الملك من سلمه الى زوريا (في الارامية ش زيبني وفي العربية الزبنا ، او زيب) زوجته الجميلة الطموحة فبعت سياسة زوجها واشرفت على شؤون الدولة وصبة على العرش ريجا ملح ابنها القاصر من ارشد وكان اسمه وهب اللات (اي عطية اللات وفي اليونانية انودورس) . واتخذت لنفسها لقب ملكة الشرق واتخذت رومة نفسها مدنة من الزمن . ثم عقدت عزمها ، وكان كهرم الرجال ، على توسيع ارجاء ملكها حتى ضمت مصر وقسا كبيرا من آسيا الصغرى وخضعت شوكة الرومن فذاجوا الى اسكيا (اخره) وطوحت بغيوشها الى خلكيدون تجاه بيزنطة محاولة احتلال تلك البقعة الحقة . وفتح جنودها البوائل الاسكندرية ، أهم مدن الامبراطورية بعد العاصمة ، فنودي بابنها القاصر ملكا على مصر . وضربت المسكوكات خالية من رسم رأس اوردليانوس الذي كان ينقش عليها . ويعود

معظم الفضل في انتصارها الرائعة الى ذكاء قائدها زباني وزبدا من ابناء تدمر .
 واخيراً اهتم اورليانوس الأمر فجرد جيشه وغلب زبدا في واقعة انطاكية وواقعة
 اخرى بجوار حصص . ثم دخل تدمر ظافراً في ربيع ٢٧٢ وقد فرت ملكتها
 العربية على ذلول سريعة هاربة ياتسة في مجمل الصحراء . ولكن لم تنج من أيدي
 الامبراطور فحملها اسيرة وامر ان تقل بداه باطون من ذهب ويسار بها امام مركبته
 عند دخول موكبها الظافر الى رومة . وتي اليه وهو في طريقه الى رومة خبر شوب
 الثورة في تدمر فباد اذراجه اليها وامر باسوارها هدماً وتخريباً وذلك معظم معالمها الى
 الاساس وقضى عليها . اما حلي هيكل الشمس البديع وذيخامه فقلها الى الهيكل
 الجديد الذي احده رومة واقامه لانه الشمس الشرقي تحيداً تذكري ذلك النصر المبين .
 اما زبونا فقد خلع الذهب حول همتها هالة من نور الاساطير وخلد اسمها مصداقاً الى
 اسماء الابطال في تقاليد الامة العربية امثال سيف ابن ذي يزن وعشرة وحلح
 الدين وبيبرس وكلمه حي في الأدب القومي العربي .

كانت مدينة تدمر مزيجاً غريباً من الحضرة البوذية والسورية والفرسية (الابرية)
 واهية تلك المدينة لا تقوم على ما فيها من مزايا العظمة فحسب ، بل هي مدينة
 الانباط التي تقدمتها تمثل ذرى الثقافة التي باستطاعة العرب من بني البداة ان
 يلفوها اذا ما تسعت لهم الهيئات . والقول ان التدمريين هم من العرب ثبته
 اسماؤهم العلمية وورود المساط العربية حجة في رقبه الارامية . وكانت اللغة التي
 يتكلمونها لغة من الميجات الارامية الغربية تبس بينها وبين لغة الانباط والارامية
 المصرية الا ان يسير . اما ديانتهم فقد انصفت عزوا النظم الشمسي الذي تركزت
 عليه ديانة عرب الشمال . وكان على رأس الآلهة عندهم شمس (شمس) . ويظهر
 في الرقيم النثرية التي خلفوها اسم « بعل شمين » (سيد السموات) واسم « مالا بعل
 عن عشرين معبوداً آخر في تدمر .

ومن ينعم النظر في اطلال تدمر الباقية يفقه سر تلك المدينة الزاهرة التي كانت

لأهل هذه العاصمة ، ويثبتون أن بناء المدينة جاء وقتاً تصاميم وضعها لها جماعة خذاق مهرة في هندسة البناء . وقد جعل فيها حجرة ضخمة من الترانيت من شلال النيل الأول تنصر من مسافة تزيد على ألف ميل . وكان يحف الشارع المدينة الرئيسي نحو ٧٥٠ عاموداً كورنثياً من الحجر الكسبي الأبيض الوردي ارتفاع كل منها نحو خمسة وخمسين قدماً . ولا تزال بعض تلك الأعمدة قائمة فيها . وكان أول الشارع



شارع العاصمة في نهر

العظيم بقرب قوس النصر اعلم الذي رفعوه إلى جانب هيكل ممودهم الأكبر شمس ، ومن ثمة يمتد مسافة ثلاثة أرباع النيل شمالاً . ولا يزال هيكل الشمس هذا لزوج أثر جلد تدمير القديم وكان منذ نصف سنوات مقر البيرة الخالية بأسرها . وهناك أبراج عالية كانت قبوراً وتظهر فيها آثار الخيط والعظمة وتعد فرقة بين آثار العصور القديمة . وأرى في تدمير اليوم آثاراً لأقنية عظيمة تحت الأرض وقايا أحواض لاختزال الماء في ظهير المدينة ثم ينزل على أن تحت الأرض ، التي تبدو اليوم جرداء مجلبة ، كانت بفضل هذه منشآت خصبة مساحة للزراعة .

التفوذ البيزنطي السياسي . وقد قصد الروم بذلك ان يحملوها حاجراً لرد هجمات
البدو . وثا كان من مصلحة الفلسفة السياسية اعتناق النصرانية وهي دين البيزنطيين
فقد اعتنقوها ولكن على المذهب النوفيزي . مذهب المذهب الطبيعة الواحدة .
وهو المذهب الوطني الغالب في البلاد السورية . ولم يكن فيه في مطلع عهدهم
عاصمة الا يحيم ينتقلون به من ارض الى ارض حتى استقرت بهم الحال فيما بعد في
حامية الجولان فقاموا له مركزاً في جلق^(١) استقروا به مدة من الزمن .

الردود السورية العربية في ايام مجدها

وقد بلغت ذروة عن اوجها خلال القرن السادس لبلاد وهو عصر ازدهار
دولة القسطنطينية قريش ومنظمتها في الحيرة . ويكاد يقتصر تاريخ العرب في هذا
القرن على ما في الحارث الثاني ابن جبلة ملك غسان (نحو ٥٢٩ - ٦٩) والندار
الثالث ابن ماء النيرة ملك الحيرة (النوف ٥٥١) وقد كانت الحارث هذا (وينقب
بالاعرج) اول رجل الاسرة الجفنية الذين قرعهم التاريخ بل هو اعظمهم على الاطلاق
وستطيع النحفي من سيرته اذا فند حواده ثم ذكره المصدر الاغريقية . والعلوم
من اموره انه فاز على خصمه اللد السدر الثالث ملك تغم فكافاه يوسنيانوس
امبراطور بيزنطة على ذلك وعينه (٥٢٩) على قتال العرب في سورية واسم عليه
سقب بأريسيوس - بطريق - وقب فلاركوس - رئيس قبيلة او شيخها - وهما
اعلى المراتب عند السدة القيصريه ، فلا يوقعه الا بنية الامبراطور منه . ولم تقم
العرب للقب الرومي وزناً بل عرفت اميرها ملكاً فحسب .

وقضى الحارث اكثر ايام ملكه بقتال في سبل بيزنطة ويذأب على خدمة
غريبها . وفي السنة التي اعمت عليه قب بيزنطة بالاقسب معونة على التذرع به
وبقومه ليزود عن حدودها ثم له الاشتراك معها في قمع ثورة السامريين . وبعد عشر
سنين انقض على التذرع بخاربه . وفي سنة ٥٥١ حارب القرمس انفسهم الى جانب

(١) راجع . Leone Caetani, *Annali dell' Islam* (Milan, 1910) Vol. II, p. 528.

الروم تحت قيادة بلسايس . وحوالي ٥٤٤ هـ عاد الأميران العربيان الى القتال فوق احد ابناء الخارث في يد النذر - الذي كان لا يزال على دينه الوثني - فقدمه ذبيحة للآلهة العربي ، التي كان يقبلها عند الاغريق لفروديت . ثم بعد مضي عشر سنوات فاز الخارث ابن جبلة في معركة حاسمة في ناحية قنسرين قتل فيها خصمه النذر فتمت له النعمة . واهل هذا اليوم الذي انتصر فيه الخارث هو « يوم حليمة » الشهير في اخبار العرب المنسوب الى حليمة بنت الخارث التي قامت تقضي الرجال على قتال الاعداء واقبت على مئة منهم . كان ابوه قد وجهه الى الحرب تطيب اجسامهم ونلبسهم الاكفان والمزروع^(١) .

وسافر الخارث الى القسطنطينية لزيارة بلاط يوستينافس الاول ٥٦٣ . فاشجبت بطانة القيصر بمراى ذلك الشيخ العربي وما عساه من ممحة البدانة . وقل ان يوستينوس ابن اخي القيصر الذي خلفه راعته سباه الأمير العربي وطلعت المريسة حتى اذا ما بلغ من العمر عتياً واصابه الخرف - فيما تقول القصة - كانت اهل خاصته بالبلاد اذا شؤوا الغلام من عرمدته يحفونه بخارث فالتين « صه ! هوذا الخارث جاء ليأخذك ! » فلا يكاد يسمع كلامهم حتى يأخذهم سورة من المزج فبكت . واقسم الخارث فرصة مكنه في القسطنطينية فعمل على تعيين يعقوب البردسي^(٢) وهو مطران الزه واحد انصار البدعة النوفيزية المعروفين باصحاب الطبيعة الواحدة اسقفاً على الكنيسة السورية المريية . وبلغ من غيرة هذا الاسقف وحميته في بث اصول دينه ان صارت الكنيسة النوفيزية بعدم عرف بكنيسة الياقية .

الخارث ابن الخارث

وخلف الخارث ابنه النذر . فما كاد يستتب له الأمر حتى هب ثائرة قابوس ابن هند ملك الحيرة الذي كان قد اغر على اراضي الفرسنة من قبل . فدحره في

(١) ابن قتيبة ، العارفة ، ص ٣١٤ - ٤١٥ وفيل يا القديس ج ١ ص ٨٤

(٢) بروغمان في الرواية هي لاس بردعة لانه كان يرتدي ملابس الحنة .

وقعة تنفي بها الشعراء قبيحا بعد وتعرف بمعرفة شين أبن . وهذا المنذر حذوا به
فأخذ بناصر البدعة المونوفيزية فاحتق عليه بمرحلة موقعا . وأبهرى القناسة الى شق
عسا الطاعة واعلان الثورة طيلة ثلاث سنوات فرغوا الروم على استرضاء الامير
البحراني . وتم الاتفاق ففقد المسيح بن بركة والحارث (نحو ٥٧٥) في الرصافة (١)
عند قبر القديس سرجيوس . سنة ٥٨٠ وصل المنذر مع ابنه الى القسطنطينية
فاحتق به طيباريوس الذي واعل مقامه فتم عليه . « القديس » الابهي عوضا عن
« الاكليل » الابهي الذي كان يتقلده . وفي تلك السنة اضر المنذر على الحيرة وباد
بالمر عاصمة اعدائه المخلصين . غير ان الفوز الذي سلكه جين الامير العربي
في هذه الموقعة لم ينجح رغبة الروم في ولائه قدموا يصقون به ما تصفوا بايه من
الحياة لمؤامره . حتى اذا حضر تمسجن العدى الكنائس في حواريين قرب القريتين
بين دمشق ودمر اقي القمل عليه وارسا محمورا الى القسطنطينية وعن منها الى
صقلية . اما ابيه وخمسة ابناء له من امرة على بركة وعث فد في اراميا
فان الروم قبضت عليه واحمله امير الى القسطنطينية .

زوال دولة عباس

وتحرت امواج الفوضى بلاد غسان عقب عصر المنذر وتبعون وفككت عرى
الوحدة في «دولة الشام فاحتلت كل قبيلة اميرا . واما ان طه كسرى ابروهر من
آل ساسان على الشام واستولى على بيت المقدس ودمشق (٦١٣ - ١٤) حتى ضاعت
بقية الأمل في انتعاش الاسيرة الخفية . ولما نزل اعداء هرقل الامارة السورية
العربية يوم زحف على الشام فاسترحمها (٦٢٩) ام لا . ويعتبر مؤرخو العرب جبلة
ابن الايهم آخر ملوك غسان . وقد شارك جبلة الروم في قتال العرب في وقعة
اليرموك . ونسبته ما لبث ان اسلم في ايام الخليفة عمر وقدم الى مكة حاجا بعد

(١) سميت رصافة لانه من عند تدوير بينا وبين رصافات عرق . ثم عاد الخليفة هشام ابن عبد الملك
رصافا فسميت رصافة هشام .

استئذان عمر ابن الخطاب ، فسر بذلك عمر والسفوف . وبينما هو يطوف بالبيت الحرام اذ وطي ازاره - كما يحكى - اعراي من بني قزاة فحنه ، فلطمه جبلة وهشم أهله . فرجع الاعراي امره الى الخليفة فبعث اليه عمر ان يرضي الاعراي والا اقدم منه . فلما خرج الليل خرج هو واصحابه فم يخر حتى دخل القسطنطينية ^(١)

ولا ريب ان القساسة ، وهم جيون البيزنطيين ، كانوا ارقى ثقافة من مناظرهم النخبين المقيمين على تخوم فارس . وقد نشأت في عهدهم وفي اوائل اخبة الرومانية مدينة خاصة بهم ازدهرت على طول الشقة الشرقية من سورية ، وهي خبيط من عاصر عربية وسورية واغريقية . وكان مهندسو الرومن في عصر القرون ابتداءية قد استغنوا سبوا الله التدفق من اعلى حوران وحدها في امور الزراعة . وبينه ارتفع هذه الجبل ٦٠٣٢ قدماً . وكان سقوط النظر فيها عظيماً . اما الفضاء الذي راء اليوم قهراً موحشاً فقد كان في زمن غسان عمراً بالقري والهدسك وفيها المنازل التي شيدت من الرخام الاسود والقصور واقواس البصر والخدمات العمومية والاقنية الارضية والسابع والبيع . ولا تزال الغرض قصودهم ظاهرة في بعضى وفي اعداء الشرق والجنوب من جبل حوران وهذه آثار لهذه ثلاث من بلدة وقربة حيث لا يرى اليوم الا القليل من القرى العدمية .

ووفد بعض شعراء الجاهلية الى امراء عيل فحسن هؤلاء وفادتهم وباعوا في اكرامهم منهم نبيد احدث اصحاب المعقات الصبيح من . وقد قاتل الى حبيب غسان في يوم حنيمة ، والناجمة الديلمي شاعر البلاط عند الشيرة فنه الى قلب عليه النعمان ابن المنذر ملك الحيرة فجاء الى القساسة فوجب به انفس الحارث وطيب مشوا في بلاطهم . ومن خلق بالقساسة شعر بتراب (المدينة) حسن ابن ثابت وزعم انه كان يمت اليهم بسب وقد ادى بلاطهم في حادثة سنة قبل ان يصبح شاعر النبي محمد ، واشد في شعره كما كانوا عليه من البدع والرخاء . ونسبت اليه رواية

(١) ابن عبد ربه ، مقدم ١٠٦ من ١٠٠٠

لا يوثق بصدقها^(١) تشرح ما اتفق به مجلس جملة من الفنى والبهجة والترف
وقد غنت فيه قبائل ومفتون من مكة والحجرة وبلاد الروم وجلس القوم للشرب
والطرب^(٢).

١. دور الفهم

كان العرب منذ افده الايمان يعدون الى تحوم الجزيرة الشرقية حتى اذا ما
وصلوا وادي القرات اقاموا في روعه . وفي اوائل القرن الثالث قبلاد بدت طلائع
حديثة منهم من قبائل نوح وترجع اسام الى اصل يمني ، فحدثت لها مساكن
في المنطقة الخصبة الواقعة الى الغرب من القرات . وليس غريباً ان يكون قدومهم
قد وافق فترة الاضطراب التي تسببت سقوط الدولة الارسية من أسرة القرين
وتأسيس الاميرة الساسية (٢٢٦) بقيادة ارد اشير بايكن (٢٢٦ - ٢٤١) .

وسكنت نوح لأول عهده اعيان ومضت الاعوام وذا الحيم يسمع قاعدة
راحة تعرف بالحيرة (من السراية حرة اي محم) على بعد نحو ثلاثة ايام جنوباً
من الكوفة وهي ليست بعيدة من بلاد القديمة . ثم أصبحت الحيرة عاصمة بلاد
العرب الفرسية .

واختزلت السواقي والقرى بين الحيرة فبدأت سقوط حقوق الخيول وحدائق
الخيول . وكان هؤلاء من تظليل والجودة حيث قال العرب في وصفهم « يوم وليلة
يلحيرة خير من دواء سنين » .

وكان سكنت الحيرة الاصليون يمدى من الناحية الكنبية السراية (البورية)
الشرقية (وسميت السطورية في م) . ويسميه مصنفو العرب العبد (اي
عبد عيسى) . وقال عن هذه ان محمد الكبي^(٣) (المتوفى ٨١٩ له ٨٢١)

١. انظر تاريخ الاصلاني ، لادبي . ، ولاقى ، ١١٨١ - ١١٨٢ ، ج ١٦ ، ص ١٤ .

٢. وفي احوال الخواري يوم ارجع اسماها من مدينته .

٣. تاريخ محمد بن ابراهيم - ج ١ ، ص ١٧٠ .

وهو من أجل التقات بأحوال عرب الجاهلية انه كان يذهب الى بيع الحيرة وفيها منكمهم وامودهم كلها يستخرج منها اخبار العرب وانسب قبائلهم التي تزلت العراق . وقد تنصر بعض التتوخيين قبا بعد واقموا في شمال سورية ^(١) .

وفي كتب الاخبار ان ملكا ابن فهم الاردي ^(٢) كان اول من ولي الامر في هذه الجالية العربية بالمراف . اما ابنه جذيمة الارش فكان عملا لارداشير ^(٣) ، ملك الفرس . وما يحكى ان جذيمة اراد الزواج بأزياه (واسمها نائلة) بنت عمرو ابن ظرب ابن حسان ابن اذينة وهي أخت زبيبة ^(٤) بعد ان قتل ابها . ولا ريب في ان هذه السيدة هي زوجة ملكة دمر . ويقال ان جذيمة اس امدرة سفت دولة ظم وضمت الابار والحيرة . على ان المؤسس الحقيقي لدولة ظم هو عمرو ابن عدي ابن نصر ابن ربيعة ابن ظم وهو ابن احمه جذيمة التي كانت قد تزوجت من مولى لجذيمة . وعمرو ابن عدي اول من استوطن الحيرة من مولى العرب فصبحت عاصمة ملكه .

واستتب الملكة لاسرة الفرسية المقيمة في أواخر القرن الثالث الميلادي فكان ذلك مفتتح التاريخ الجلي لتلك البلاد العربية . اما مولى ظم الذين اصعبت نساء اسماؤهم فيزيدون عن العشرين . ولكن اول ملك لهم عمورة واضحة عن شخصيته هو امرؤ القيس ^(٥) الاول (المتوفى ٣٢٨ -) ادي وحده المنة دوسو كنية على طريقته في المارة بالعصف (حوران) هي قدم كنية بالخط العربي الاول . وتشف احرف هذه الرقة عن اصعب المأخوذة عنه وهو احرف الكنية النبطية ، ولم على

١) اما التتوخيون الذين رحلوا الى شمال الحيرة بعد عائلوا الحيرة الفارسية ، وهم يرجعون انسابهم الى مولى ظم بالحيرة ، فابن Hall, *The Origins of the Druse People and Religion* (New York, 1928) , p. 21.

٢) ان قبلي ارد ونوح نوحان يكون معها قبيلة واحدة في شرق .

٣) دام اردشير صفر آخر ملوك ساسانيين ثم قتل واصبح سنة ٢٢٦ م مؤسس الاميرة الساسانية في بلاد فارس .

٤) اراجع الطبري التاريخ ج ١ ص ١٥٦-١٥٧ وقابل ابن خلدون الماروق ص ٣١٦-٣١٧

٥) هو غير امري ، فليس الشاعر الكندي .

طور الانتقال من الحروف النبطية الى الحروف العربية الشامية التي لا تزال مستعملة الى الآن وأخص ميزان هذا الانتقال نشوء طريقة تعليق الحروف بعضها ببعض . واليك مطلع الرقيم الذي نحن بصدده : « في نفس مر القيس مر ملك العرب كله ذو امر التاج » اي [هذا صريح امرى القيس ملك كل العرب صاحب التاج] (١) .

وكان من ذرية امرى القيس هذا النعمان الاول القتب بالاعور (نحو ٤٠٠ - ٤١٨) . وقد ذكرته اشعار العرب واعتبروه بكثير من المديح . قيل اسمه بنى قصر الخوريق (٢) بظاهر الحيرة منزلاً لبيهرام كور ابن زردجرد الاول (٣٩٩ - ٤٢٠) ملك الفرس . وكان زردجرد قد ارسل نكره هذا بهرام الى عرب الحيرة لينشأ بينهم ويتعد الصيد ويجمع نخوة الفراء . وبعد الخوريق من معجزات الفن وبدائعه . وقد نسب مؤرخو الاسلام بدءه الى مهندس رومي يسمى سنان كتب له ان يموت مئة شعاع معبودة في شتى الاساطير التي تعمل ولي الأمر يقتل الصانع ، وهي فكرة مبنية على أن التابة القوية الخالدة لا يمكن ان يبنى عليها احد غير بابيها . وفي الاساطير ان النعمان حسن يوماً في محله وكان الفصل ربيعاً يلقى على الطبيعة حنة من الخيال فتشرق في نأمة وابعد الجمال حونه ينطق الكائنات سحراً فتأخذته روعة من المهابة وتجت له حشرة حطام الدنيا وادركها زائلة لا محالة بما فيها قصره المتخف ، فترهد في الدب وعكف على اعمال البر والتفوق فأنقلب مائلاً مترهداً . هذه هي القصة ام الواقع من امر النعمان فهو انه ظل طوال حياته وثيقاً ورسولاً له نعصبه الاحياء الاستشر ببعض النصارى من رعيته وعرفه العرب عن زيارة القديس سمعان العمودي . الا ان تحسنه على النصرانية تلاشى في القسم الاخير من عمره . اما سمعان المذكور فقد كان عربياً تتوافد جموع البادية لمشاهدته وهو يتزهّد جالساً في اعلى عموده . ويعزون السر في عدول النعمان عن الثقة عليه الى ان سمعان غشه ظفر له في حن . وقد اقترن ذكره الخوريق في

(١) Dussaud, *Les Arabes en Syrie*, pp. 34-5 .

(٢) لفظة فارسية معناها حصن متين .

اشعار العرب يذكر السدير وهو قصر في وسط الجزيرة التي بين الحيرة وبين الشام^(١)
وينسب قصر السدير الى النعمان ايضاً . وما السدير وسواه من حيرات اللخمين اليوم
الا اسماء حفظها الناس عن اسلافهم محبوة لم يكتب الله الا الخوارق .

الحيرة في ذروة زهرها

وقد ازدهرت الحيرة في ايام السدير الاول (نحو ٤١٨ - ٤٦٢) وهو ابن النعمان
وخليفته ، وكانت مازية في شؤون ذلك العصر . ولعلت مهنة السدير درجة لمكانته
من حمل كهنة الشمس على تزيج عوام الذي كان والده السدير يرعاه ويشرف على
تربيته كما استلما القول فدفعوا لاشريه غير ان حين يسعي مدح آخر قوي كانت
يطلب العرش . وخرج السدير سنة ٤٢١ نحية سيم ملك مسلمان قتل البيروطين .
وجلس على عرش الحيرة في النصف الاول من القرن السادس السدير الثالث
(نحو ٥٠٥ - ٥٤٠ م) . وهو المعروف بابن ماء السدير . وما السدير لقب امه مازية
او مازية . وكانت عهده اسطع عهود الدولة الخشبية بالرغم من البلايا والنح التي
تناوبته في مطلع ملكه وآخره . ولم ينقض على تسلمه اولاية الا زمن قصير حتى
حمل الحارث ابن عمرو ملك حكنة على واهي القرات الجنوبية وضافت الحيرة
فزعاً بذلك العدو الطامع الذي ارغم السدير على الجلاء عن عاصمته . الا انه عاد
اليها من بعد وذلك قبل استواء او شروان على العرش (٥٣١) بما يقارب الحولين .
واقبل السدير على محاربة اووه في سورية فقهره ووقف به واستنبح القارة نحو القارة
على مدائنهم الى حدود ايطاكية فعمد الارض الممر الى السدير لسط الخسنة الى
محاربه فكان الحارث ابن جبلة عامل يوسفياوس خصم كفواً له . والسدير هذا هو
الذي اسر احد ابناء الحارث فقدمه ذبيحة لمري . ويقال انه قدم اربع مئة راهبة
نصرانية ذبيحة لتلك الالهة ضحياً . ثم قسب له ظهير النجس فقتل في يوم حليلة

(١) ياقوت ، معاني ، ج ٣ ص ٢٧٠

سنة ٥٥٤ كما أسلف . وفي كتب الأغاني ^(١) قصة متعة جاء فيها ان المنذر ابن ماء السهم أهدى رجلا من فغضه في بعض النطق فمر بان يحفر لكل واحد حفرة يظهر الحفرة ثم يعملان في تبيتين ويدفن في الحفرتين . فلما أصبح سأل عنها فخير بهما كونا فقدم على ما فعل وأمر ببناء القريتين عليه وجعل نفسه يومين في السنة يجلس فيهما عند القريتين يحسن أحدهما يوم نعيمه والآخر يوم يؤسه . فقول من يطلع عليه يوم نعيمه يحضيه مئة من الأبل وأول من يطلع عليه يوم يؤسه يقر به فيذبح وورش دمه الغريتين . ثم ان عبيد ابن الارمن كان اول من انصرف عليه في يوم يؤسه وهو من الشعراء المحبين فلا ينج من الموت . ومثل الامر بالمنذر وهو على هذا العهد حتى مر به رجل من بني لسه حفنة ابن عفران في يوم يؤسه . فاطلته المنذر بكلمة شريك ابن عمرو على ان يعود مد سنة . وما ان الأوقات جلس المنذر ينظر حفنة فبطأ عليه فمر بشريك ليفته . فلم يشعر الا براكب قد طلع عليه فقاموه فاذا هو حفنة قد اقبل متكئا متحفيا معه . دنته . فلما رآه المنذر عجب من وفائها وكرمها فاطلتهما واطل تلك السنة .

وخلفه انه عمرو ابن هند (٥٥٤ - ٦٩ م) فكان فخورا عاليا وجعل احبيرة موانل الادباء والشعراء فاما بحضرة اعظم الشعراء المعاصرين مثل طرفة ابن العبد والدارث ابن حذرة وعمرو ابن كلثوم (وهم من اصحاب العطفات السبع) . ولقد سجع عمرو على منوال سواه من ملوك غلم وحفنة الذين ادركوا ان الشعراء من معاصريهم هم زعماء الرأي الماء بين العرب يدبرون دفة الدعية كيف شئوا . فلم ال جهدا في اكرامهم وحرهم بنفسه كما فعل سواه من الملوك طعنا في اجتذاب العرب اليه . الا ان عمرا دث مقتولا والسب في قتله فيما يروى ان ابن كلثوم . احد امراء الشعر الذين اموا بلاطه . غضب يوم دخلت امه الى انة التهلل على الملكة فلحقها من النهاية ما لم تطقه نفسه فوثب الى سيف معلق في الرواق وضرب به راس

(١) ج ١٩ ، ص ٨٦٦ وقابل ابن قتيبة ، المعارف ، ص ٢١٩ في الاسفهان . تاريخ ، ص ١١١ حيث جعل الامان الثالث ابو قابوس جليل لعمري .

الملك . وكان الاخطل شاعر الامويين متحدثاً من قبيلة نخلب التي انتسب اليها عمرو
ابن كلثوم فهاجر بعدياً قتلاً :

أني كليب أنت عمي هذا قتلا الملوك وفككا الاغلالا^(١)

قصة الاسرة المالكة

كانت هند ام عمرو اميرة بصرية غصية . وقال بعضهم انها ست الخارث ابن
عمرو ابن حجر آكل الفراء السكندري . وبنت في الحيرة ديراً يعرف بدير هند بقي
الى القرن الثاني الهجري^(٢) . وقد اورد ياقوت^(٣) الكتبة التي كانت على
واجهة الدير جاء فيها « ست هند ابنة هند ... امة السبع وام عبده [عمرو]
وبنت عبده » .

وفي اهل الحيرة آشد عدد من المصري بنيت ذلك كثرة الاشارات الى اساقفة
الحيرة . واقدام من وصلنا خبره منها اسقف عاش نحو سنة ٥١٠ .

وسقطت الاسرة الممخية على عهد النعمان^(٤) الثالث المنقلب بابي قديس (نحو
٥٨٠ - ٦٠٣) وهو ابن النضر الرابع . وقد نشأ النعمان في حجر عائلة بصرية ذات
حسب ونسب أحد اشرافها عدي ابن زيد الذي أصبح شاعراً كبيراً من بعد .
فكان والد عدي بنعميد شؤون الأمير في صمره وبعد اغواء الطريق الى قلب عدي
هوئى هند ابنة النعمان ولها من العمر احدى عشرة سنة . وقد رآها مرة في البصرة
واحبها وما لبث ان تزوجها^(٥) . وبعدئذ احسب عدي منصباً سامياً عند حمير

(١) ديوان الاخطل ، نشر صالحاني (بيروت ، ١٩٩١) ص ١٤ .

(٢) طبري ، تاريخ ، ج ٢ ص ١٩٨٢ ، ١٩٠٣ .

(٣) ياقوت ، ج ١ ص ٧٠٩ .

(٤) وذكره خالد - على ما في الاساطير - في زهر شقائق النعمان ، وبالحال ان النعمان انحصر زواجه علم
يعرفه الا في حديثه الشخصية . ولكن هذه اسطورة قدم عنها من النعمان لاه ادونيس (سوريا) بقرب
زهرة من شقائق النعمان حين خرج لاصيد وحاجة خنزير بري مسالمة في حبه وقتله . ولا يزال الاله
ادونيس يعرف بهذا المقد الى يومنا الحاضر .

(٥) الانبائي ، ج ٢ ص ٣٢٢ و ٣٢٣ .

أبرويز فاذا به ترجمانه وكتابه بالعربية ، فلم ينس عدي صديقه الأمير النعمان
بل أشار على أبرويز ملك القيس أن يولي عرش الجزيرة فأجابه كسرى إلى ما
طلب إلا أن النعمان لم يبر به ولم يكافئه خيراً بل ما زال يحمل على عدي حتى
حبسه ثم أمر بقتله ، ولكن لم يطل أمر النعمان حتى كاد له زيد ابن عدي الذي
كان قد وصل إلى أبرويز وحل محل أبيه وأراد أن ينقذه من النعمان فوشاه إلى أبرويز
فقداه تحت أرجل القيلة فوطئه حتى مات ^(١) . وكان النعمان من مدوحي الشاعر
الشهير النافذ الذي قال إن يطرد هذا من الجزيرة بشمة كاذبة ، فأنقذ شأ النعمان
إذا في بيت نصري ، وأخذ النصرانية ديناً وأصبح ذلك النصري الوحيد من ملوك
نظم ، ولم يدخل أحد من الأسرة النخعية في حظيرة هذا الدين من قبل ما قضت
به مصاحفهم اليسية من مراعاة القيس عبدة الأوثان ، إلا أن النعمان انخرط في
ملك الكعبة السورية الشرقية (السطورية ^(٢)) ونقل معبودتها ، وهي أقل
كنائس النصرانية كراهية عند القيس .

لم نصل الندية العربية في الجزيرة وهي مواجئة عيسى إلى الدرجة العالية التي
وصلت إليها النديان العربية في العراق ، ونهر وبلاد غسان تحت تأثير الندية السورية
البيزنطية ، وكانت العرب الجزيرة طجة من المال العربي يرصدون بها في معاملاتهم
العربية ولكنهم استعملوا السريانية في مكابهم ، فذهب إذا شئت الأباطر
والقديسون الذين كانوا يشكفون العرب ويكتبون بالآرامية . وقد القى نصارى من
سكان جنوب العراق دور النعمان للعرب الوثنيين بموسم القراءة والكتابة والدين .
ومن الجزيرة سارت إلى الجزيرة نفسها مؤثرات الحضارة ، ويقول البعض إن الكعبة

١ - ابن قتيبة ، التاريخ ، ٣١٥ .

٢ - راجع السطورية الرأسمي ، مقال ، اتحاد ضمني السيد شريح في شخص واحد ونهروا إلى أنه ذو شخصين
متباينين تماماً تجمعهما روابط اللغة الوثيقة ، وتسمى السطورية ، ص ١١٥ . انظر أيضاً السطورية
٣١٥ - ٣١٦ .

السورية في أخيرة يرجع اليها الفصل في ادخل النعمانية الى نجران . وفي الاخبار التي حفظها ابن رسته ^(١) ان قريشاً قد اخذت السككينة من الخيرة واخذت الزندقة ^(٢) من الخيرة ايضاً . وينطرح لنا من ذلك ان مؤثرات الثقافة الفارسية سررت الى الجزيرة ايضاً بواسطة السككة الخفية .

وضاعت صورة نجم بعد القرن وما كنت انا ان فيضة من بني طي . (٦٠٢) - (١١) كان الى جده « منهم » عربي يتصرف على مذهب الحكومة . ولوقع ان ملوك فارس القوا على الامة العربية ودلوا من قبائل حكاهم قريشاً بضعهم رعاة العرب . وعلى هذا النوال استمر الحال حتى سنة ٦٣٣ . حين استلمت الخيرة ^(٣) للجيش الاسلامي الذي كان قومه حنة ابن الحارث .

٥ . كندة

وكما كان الفارسية عملاً لميزانيين والمخيمون عملاً لفارس ، كذلك كان موك كندة في اواسط الجزيرة عملاً بعبدة اليمن المتحريين . ولم يعرف الجزيرة حكماً سواهم نودى احدهم بقب ميث . فقد جرى العرب عدة على اطلاق هذا القاب على الملوك الاجانب .

ومع ان كندة هي من عرب الجنوب . وكانت تقيم قسماً الاسلام في الارض الواقعة الى غربي حضرموت ، فان لا نجد لها ذكراً في الرقة العربية الجنوبية الاولى واول ذكر لها في التاريخ المتأخر . في القرن الرابع الميلادي . اما ما يورد اسرها للمناكة فهو حجر وبقب بآكل المرار ^(٤) . وقد روت الاحبار انه رضيع حسن

(١) الاعلام النبوية . نصر دي عوي . الجزء ١ ، ١٨٩٢ ، ص ١٩٢ و ٢١٧ وقابل ابن قتيبة الخاروف .

ص ٢٧٣ - ٢٧٤

(٢) زندقة في العربية مأخوذة من زنديك فارسية - مجوسي عند سار .

(٣) لا يرى اليوم حيث كانت اخيرة سوى ضلع ثلاث مخصصة .

(٤) المرار عشب يعرف ايضا بالمرير اذا اكلته الابل فلمت معافرها فبعت اسنانها ولذلك قيل لحجر آكل المرار لكثير كان به .

ابن تيم الجيري وإن هذا الأخير عينه حاكماً على بعض القبائل التي قهرها (٢٨٠ م) تبع في لواء الجزيرة (٢٩) وخلفه في هذه الرئاسة ابنه عمرو . وكان له ابن هو الخثر أصبح من بعد اند ملوك كندة سنة وإقداماً . فتوكل بعد موت ملك القرس ، فبذل ، بندق يسيرة إلى ابن تيم نفسه مسكاً على عرش الخيرة (نحو ٥٢٩ وظل على حدة إلى قيام اندر الثالث من امره . وفك هذا بالخثر سنة ٥٢٩ وعث بإفراد الأسيرة لذلك وفى ميه خمسين سنة وكانت غيرة قضية على كندة ونال الخثر الفاء في الأسير . وهي مدينة على الفرات بعد أربعين ميلاً إلى الشمال الغربي من بغداد .

وقام الخلاف بين ابن الخثر وكان كل منهم بترء قبيلة فدى هذا الخلاف إلى الخلال وحدة كندة وتلاشى الدولة القوية . أما السقون من أبناء كندة فرجموا إلى منازلهم بخضر موت . وبهم انقضت بعد دولة شطت إلى مدطرة الخيرة فكانت هي وغسان الدولتين اللتين نازعت خيرة البقاء . ويكون من الثلاثة محوثة دولة كانت تطاحن وتنافس على الرئاسة بين عرب الشام . ما الشاعر عمرو القيس ، أحد أصحاب العقبات ، فينسب إلى الأسيرة الكندية لسكينة . وقد حاول استرجاع جسد من ميراثه الصانع فذهبت محاولاته أدراج الرياح . والشعره مليئة بالطقس والخضرة لابي نغم . ثم انه قصد قبر عمرو بن عثمان في القسطنطينية أملاً أن يظهر بعطفه وغونه وهو معروف بعدائه للخيرة . ولما عودته - على ما رويته الأخير - مات مسوماً (نحو ٥٥٠) عند انكرا (انقره) . وقيل أن يوسنيانوس وجه إلى امرئ القيس بخلة قد نضح فيها اسم قيس فقتل بقطع جده فقتل (٣٠)

ولما تبع في صدر الاسلام عدد من أبناء كندة فيهم الذي الكذاب المعروف باسم المنقح الذي ظهر في خراسان والزعيم الخضرى الاشعث ابن قيس الذي اشتهر في

(١) الأصفهاني ، تاريخ ، ص ١٤٠ ، ابن قتيبة ، تاريخ ، ص ٣٠٤

(٢) البغوي ، تاريخ ، ص ١٨٨٣ ، ص ١٠٠ ، ص ٢٥١

فخوج الشام والعراق ومن ثريته من خدم الامويين فتولى رفيع المناصب في الدولة .
اما الفيلسوف الذائع الصيت يعقوب ابن اسحاق الكندي فليس من سكانه بل
من موالها .

ولا ننحصر اهمية كنفه فيما اتى به ابناءؤها من الاعمال وما حازوه من محمد
وسودد بل بما لها من المغزى العائد الى كونها تمثل اول محاولة قام بها عرب الجزيرة
الوسطى لجمع شمل القبائل تحت زعامة واحدة مركزية ينولها سيد واحد . فكادت
محاولتها من هذه الناحية سابقة افد منها اهل الخيزار والنبي محمد .

الفصل السابع

أعجاز عشيّة ظهور الإسلام

- يقع تاريخ العرب حسب تقسيمه العمومي في ادوار رتبية ثلاثة :
- ١ . دور سبأ وحبر ويصلي في أول القرن السادس قبل الميلاد .
 - ٢ . دور الجاهلية وهو وإن شمل عصور التاريخ بأسره من « خلق آدم » إلى الرسالة المحمدية فإنه ياتى الأخير يقول القرن السابق لظهور الدعوة الإسلامية .
 - ٣ . دور الإسلام ويمتد إلى الوقت الحاضر .

العصر الجاهلي

ذهب أكثر الباحثين إلى القول بأن الجاهلية^(١) هي « عصر الجهل والعمجية » بيد أن الحقيقة خلاف ذلك . فجاهلية في المعنى الصحيح هي ذلك العصر الذي لم يكن لبلاد العرب فيه أنفوس وأزع ، ولا نبي مهيبة ولا كتاب منزل . فمن الخطأ أن تصف بالجهل والعمجية هيئة الدعوة التي أتت من الشرق إلى عرب الجنوب من ثقافة وحضارة قصمت في مبدآن التعمير والانشغال شوطاً بعيداً وذلك قبل الإسلام بقرون متطاولة . وقد وردت عظة لاهوتية عدة مرات في القرآن (سورة آل عمران : ١٥٨ ، المائدة : ٥٥ ، الأحزاب : ٢٣ ، الحجرات : ٢٦) .

وما كان النبي محمد شديد الرغبة في أن يرفع من عقول شعبه الآراء الدينية لعصر ما قبل الإسلام ، وخاصة الشرك والوثنية ، فإنه لم يلقه الشديد تمهيداً للتوحيد أعلن أن الدين الجديد يتبعو كل ما كان قديماً . فحسب المفسرون ذلك إيعازاً نحو

(١) راجع بحثي في « جاهلية أحمد بن محمد » (المجلد ١ ، الصفحة ١٩٧٨) من ١-٤٨٤

كل ما نعتد اليهم عن العصور الماضية من آراء وافكار . ولكن انى لهم ذلك ؟ ان
للفكر حياة مستمرة لا يستطيع الانسان ان يثبتها ثباتاً . وليس في مقدور شخص
واحد منها كان قوياً ان ينقض الماضي بكلمة واحدة .

يختلف السواد الأعظم من سكان شمالي الجزيرة بما في ذلك نجد والحجاز عن
عرب الجنوب في اهم اهل بداهة . وتاريخ البدو في غلبه سجل الغارات والناوشات
المروفة بأيام العرب . وكان يكثر في هذه الأيام القز و النهب ولكن لم يفتك فيها
كثير من الدماء . ولما عرف الصحراوي الحجاز واتخذ ثقافة فديعة ، فلم يهاجموا
في شيء من المدينة التي اقامها جيرانهم . وقد اظهروا الأباط والتدمريون والفاسنة
واللخميون . وكان الأباط ، وإلى حد أكبر اهل ندم ، قد استطاعوا بعبقة النبل
الآرامي . وكان الفاسنة واللخميون الذين نزحوا من الجنوب قد استعمروا ارضاً
غمرتهم فيها الحصار السورية البيزنطية والحصار السورية الفارسية . إذاً عداستنا
للجاهلية سنحصر في الموضع الواقع التي خضعت خلالها قبائل البدو السارية في القرن
السابق للهجرة وتبع بحري الثقافة الآشورية التي تسربت الى موطن الحصار في
الحجاز عشية ظهور الاسلام .

ليس للباحث في ظلمات الجاهلية الاور قليل من الحقائق المتبينة بهتدي به .
والصادر التي نلجأ اليها في دراسة هذه الحقبة التي لم يترك الحرب الشال فيها لغة
مكتوبة مفصولة على الروايات والاساطير والامثال ووقوف ذلك على الاشعار . ولم
يدون من هذه الآثار شيء قبل القرن الثاني او الثالث من العهد الهجري . أي بعد
انقضاء ما بين مئتين وأربع مئة سنة على الحوادث التي عرخت لذكرها . غير ان
هذه المصنوعات قيمة وشدة لا يضمن فيها استطاع عبقة التقاليد والاساطير لانت
ما نعتقده امة صواباً وان كان خطأه في نفوس اهلها التأثير نفسه الذي ينتج عن
الاعتقاد بما هو حقاً صواب . ولم تنشأ عند عرب الشال طريقة للكتابة الا في العهد
القريب من عصر محمد . ولم يعثر النقبون على شيء من آثار الجاهلية (باستثناء

نقش امرى القيس في البصرة ٣٢٨ م وهو في لغة عربية نموذجية (الا على نقش
 زائد في الجنوب الشرقي من حلب (٥١٢ م) ونقش حران في اللخا (٥٦٨ م) .
 وتقدم القول بان لفظة « العرب » تتضمن معناها الواسع سكان الجزيرة على
 الاطلاق ، اما معناها الخاص فمقصود على عرب الشمال الذين لم يظهروا في الشؤون
 الدولية حتى عصور الاسلام . وكذلك « اللغة العربية » فهي تدل معناها الواسع
 على لغة سب و لغة الخنجر العربية . ولكن عندما أصبحت لغة الحضارة لغة الاسلام
 وخلفت فحيت الجنوب في اليمن غدت اللغة العربية المعصية ملا نراع . وعلى ذلك
 فاننا سنخصص فيما سنبين من تحت لفظة « العرب » اهل الشمال ، وباللغة العربية
 لغة القرآن .

الاسم العرب

كانت ايام العرب منوشة قلبية مش في العال بين القبائل بسب النزاع على
 المناصب او المراعي او المياه . وكانت خوفهم من غزو والتهب واضير اهل البطولة
 الفردية والبروسية التي كان يمدحهم بها . القائل بالخصومة وما يصحب ذلك من
 قاذع الضمء الذي كان يخرم به الشعراء . ليس حل الفرق الشعرية . ومما يكن
 في ساحة البدوي من الاستعداد والبل لقتل هو لم يكن انما في الموت . ففترات
 الوغى التي حاصرت اهل الجحفة لم يكن تجري ادماء فيها غزارة كما اوجعت الاخبار .
 غير ان هذه الايام كانت في الوقت نفسه منفسا شخصيا في البلاد احياء من شر
 ازدهاء السك . وكان هؤلاء السك عموم في حالة من احدم شبه بالجمعة .
 وكان حب اقتل فيه دائما متعللا مبررا . وبفضل هذه الايام اصبح الشار من
 اقوى الاظمة المدنية الاجتماعية في حية ايام .

ويؤخذ مما وصفت من الاخبار ان ايام العرب هذه كانت تشبه بما وقع فيها
 من حوادث . ففي اول الامر يستخدم النزاع بين بضعة رجال على اثر خلاف على

الحدود أو اهانة لحقت أحد الفريقين ، فما تنبث خصومة الافراد حتى تستحيل الى نزاع عام بين الجماعتين وتنشأ من الحرب مراراً بين المتنازعين الى ان يخذلها توسط قبيلة محايدة فيوضع السلم في نصابه . وتسمية ائتلاف يدفع من كانوا اقل قتل دية الممدد الزائد على قتلاهم من الفريق الآخر . ان ذكرى النزاع فلا تنوت بآثارها المصاع بل تبقى بسلة الاصل في مخيلة القوم على مر الاليم والاحيال .

كذلك كان يوم بخت ^(١) الذي اشبكت فيه الأوس والخزرج من قبائل المدينة وهما مرابطتان بالواحد القريش ، ووقعت مصيركة الدامية فيبل هجرة النبي وصحبه الى يثرب سنين قليلة . ان يوم النجر الذي عرف بذلك الاسم لوقوعه في الاشهر الحرم فافقد جرث وقلمه بين فريش وخطاهم من بني كنانة في جاب والموازن في الجاب الآخر . واستمرت هذه الحرب ومحمد نقي وزعكي انه شديد بعض وقائمه الاربع ^(٢) .

حرب البرس

ومن اقدم الحروب البدوية واشهرها حرب البسوس بين قبيلتي بكر وخزيم المرابطتين بصلبة القرابة ، وقد حدثت في اواخر القرن الخامس الميلادي في الشمال الشرقي من الجزيرة . وكانت قبيلتان بدويتان بضميرانية ونحسان ان واللا جدما الاعلى . وكان مصدر ائتلاف بينهما ان كعباً سيد بني نضب جرح باقنة لبسوس عمة جيس ابن مرة سيد بكر ^(٣) فدارت رحى الحرب اربعين سنة . كما يقول الرواة ^(٤) . وراحت سوق القعداء والفرزدق والفرات بين الفريقين يستنزها احوال الشراء الخفية الى ان وصعت الحرب اوزارها حوالي سنة ٥٢٥ . وبسطة النذر الثالث ، ملك الحيرة : فمقد اصبح بين القوميين بعد ندد القوي وكلال السواعد

(١) الاغانى ج ٢ ص ١٦٢

(٢) اس هشام ، السيرة ، ص ١١٧-١١٩ وعنه علي باقوت ، ط ١ ج ٣ ص ٢٧٩

(٣) لا يزال اسم هذه عشيرة عدياً في ٤ دور بكر .

(٤) الاغانى ج ٢ ص ١٢٠-١٢٢ : ابونكاه ، الخامسة ، ص ١٢٠-١٢٣ . بقدر ج ٣ ص ١٥

أما أبطال ذلك المعترك الشهير فلا تزال أسماؤهم معروفة عند الخاضعين والعام من أبناء الشرق العربي . فمن بني تغلب أشهر كليب ابن ربيعة وأخوه البطال الشاعر المهلهل (المتوفى نحو ٥٣١ م) . ومن بني بكر قه جندب ابن مرة . والمهلهل المذكور يعرف عند العامة بالوزير طلال سيرة بني هلال الساقة .

وقد تركت حرب البسوس أثراً في الآداب العربية لا تحويه إلايام بما حاكه الشعراء من القصد والاعاني في وصفها . وبدأ أشبه من البسوس ه اميخ من الأملال المنقرة . والحق ان أقدم شعراء العربية من النصف الثاني للهجرة الأدبية كانوا من معاصري ذلك الحرب الفروس . فلا عجب اذا كانت قد وثقوا بهذا الأثر العميق فيها نظموا ونغموا به .

يوم داحس

ويوم داحس والغبراء قدير لا ينقص عن قدر الأيام الساقة بل هو أوسع الصعود المذوبة من احمر الذهبية . وقد دارت رحى هذه الحرب بين قبيلة عيس والخبز ذبيان في اواسط الجزيرة . وكان لقبيلتين فيما يرمع الرواة جدياً واحد قبيلتي هو عطف . اما سب شوب القصة بينهما فهو ان ذبيان أسدت الى بني عيس في الله سباق بين حواد قيس سيد عيس اسمه داحس وفارس حذيفة سيد ذبيان اسمها الغبراء . وذلك انه لما لاح القوم داحس اعظمه قبل وصونه آخر الشوط رجل من ذبيان قبيلة الغبراء . ومطالب قيس حذيفة بالزمن فآسى وادعى السبق للغبراء . فدار عطف عيس وانزلت نيران الحرب بين الفريقين في الشطر الذي من القرن السادس بعد سلم البسوس زمن يسير وضمت نظير في فترات الى ايام الاسلام فتخطت العسرات من سية الاولى (١) ثم عقد السلم بين القبيلتين بتدخل الوسطاء . واشتهر في هذه الحرب غنتر (عنقرة) ابن تدار العسبي (نحو ٤٢٥ - ٩١٥ م) شاعراً ومجرباً (٢) . واعتقرة مكة في القروية عند العرب مكانة أخيل عند

الأغريق . وانتجت هذه الحرب شاعراً آخر مشهوراً هو زهير ابن أبي سلمى
وقصيدته البديعة ما تفصيله عنقرة من منزلة بين المنكبات .

وتظهر هذه الحروب القلبية شجرات الروح العربية في الجاهلية من عصبية وحية
سبغت بعنفية البدوي قارة إلى العفوية وهبطت به نارة أخرى إلى الرذيلة . وانكشفت
فهي بواطن الخلق العربي فإذا صاحبه مطبوع على الشعور الفردي ، عيب ، صعب
المراس . تسوخ له الفتنه وسكره في القتال دوماً عن فيلته سواء أكانت محقة
أم محطلة . فهو يمد إلى صدوة القتال الأخرى قريبة كانت أم بعيدة . إلا أنه
نسبى الاعتدال إلى الظلم ولا يثقل بالأوامر العسكرية بل يظلم به تلك النوع من
الحرب قائم على المناوشات والفرات المفاجئة ويستنكر عدوية العدو في معارك فاصلة .

لقد التمال العربية رائحتها الكبير

وقال أن عند بين لهم الأرض شدة كالعرب في شدة إعجابهم بالأدب وارتدادهم
بالكلام الأبيض الذي يلقى في محاسن الخطابة . ولهم شغف وهم كبيرات يثقل
اللفة سواء رأوها مكتوبة أم سمعوه رداً لهم . حتى تمتعت اللغة العربية تمام
تتمتع به لغة أخرى من الاستيلاء على عقول الناس والسيطرة على أفئدتهم . وما
أكثر الغلس اليوم في بغداد ودمشق والقاهرة وسواها من العواصم العربية يوم
الخطيب فيها متكماً في القوم فيحرك نفوسهم ويستفز همهم بحيث يرتفع بهم إلى
أعلى درجات الانفعال والذعر وينفي عليهم أياد من الشعر يهزمهم هزماً أو يسممهم
من الفخر ما يثير كوامن انجذابهم ويغيب البصيرة عن أن هذا الأدب يرد أحياناً
في لغة مسقة معقدة يفهمون بعضها ويخلق عليهم البعض الآخر . والمكلام عند العرب
رنة يحوها الانشاق وتبدعها موسيقى اللفظ فتأتي به بسموه السحر الخلال .

والعرب وهم ساميون أفحاح لم يبدعوا أو ينشئوا فناً عظيمًا خدعهم من الفنون
المنروفة ، لكنهم عبروا عما تكنه صدورهم من الغريزة الفنية بصورة واحدة :
المكلام . فثبت فخر الأغريق بما عندهم من تماثيل الفن ومنشآت هندسة البناء ،

فالعربي يرى قصيدته أفضل مما يعبر عن خوالج نفسه الداخلية ، والعبراني يحسب
 زبوره المدح ما ينصح عن عقيدته . وفي أمثال العرب « جمال المرء في فصاحة
 لسانه » . وقد قالت العرب أيضاً إن الحكمة وقعت على ثلاث : عقل الأفرنج
 وابدي أهل الصين ولسان العرب ^(١) . وكانت مرآة الأسان الكامل الأصلية في
 الجهدية تشمل القصيدة أي القدرة على الكلام والأدب فيه بئر وشعر وأرمية والقروية .
 وقد قدمت اللغة العربية بطبيعتها لغة لأحبب الكلام وانفتحت وروعته والنكتة
 وحواسن النظم . ثم قرأ غزالي في كتاب عربي مدعى فجميع ما في اللغة من بيان
 رائع وما في العقيدة العربية من دكا ، الخفية والصلوات البكولوجية التي ذكرنا .
 ولما كان شعر القرآن أقوى مدحة تستلزم في الدعوة عن صحة كتابهم
 ودينهم . ولا ريب أن انتصار الإسلام كان إلى حد ما انتصار لغة أو بالأحرى
 انتصار كتب .

ولأنه بحيلة العربي وسوعه في أساليب الكلام وأصول القصيدة وتوحيده الأيق
 الجهدية ومن من القول المرأى يعود إليه السب في نوع العرب تلك القصة
 الشائعة من أن القرآن التيوبومجيا (طبعاً لا يعني غير مقالة التيوبومجيا الحدث) . ولم
 يكن لأدبته في هذا الموضع في اليوم الأخرى ولم يزل لغة غلبت لغة وروعة لغزونها
 وبين الخطابة والكلام فحمت حفظ المذوات المكتوبة والأفكار بقراءة القرآن .
 وقد فلت هذه المذوات الثلاثة في معنى شدة حماسة الخطابة ومنتت إلى الأجيال
 فيه حيث يقع هذه الخطابة إلى خير القول الخيلة .

عصر البلور والقروية

تعددت اليد عن عصر البلورة والقروية في الأدب العربي (وهو يشمل
 عصر الجهدية من حوالي ٥٢٥ إلى ٦٢٢) . بسطة أمثال والسطير وأهم من ذلك
 طائفة كبيرة من الشعر . وقد جمعت هذه الآثار وتوتت في إيه الإسلام المتأخرة .

١٥١١ : الخطب ، مجموعة رسائل ، (القاهرة ١٩٦٤) من ١-٣ : الخطب ١ من ١٢٥

ولم يكن للعرب في هذا العصر من علوم التقدم شيء يذكر خلا من الأصول في
الدهر وعلم الجوى (المثلوجيا) والطب . أما الأمثال فهي تعبر بصورة دقيقة عن
عقلية القوم وخبرتهم في شؤون الحياة وهي غنية بالحق وجوامع الكلام واللغة العربية
حافلة بها . وكان لقوم الحكماء الذي نسب اليه طائفة كبيرة من حكم الأقدمين
واقوالهم حبساً أو عبرة . وقد غفلت الأخبار أسماء عدد من حكماء الجاهلية
وحكامها منهم أكثر ابن مينا وحاجب ابن ذرارة وهند بنت النضر . وفي « مجمع
الأمثال » لميداني ^(١) (توفي ١١٢٤ هـ) وفي « أمثال العرب » للفضل الفاي ^(٢)
(توفي ٧٨٦ هـ) نوبة من ذلك الأدب الجاهلي الحكمي .

ولم يكن لغزل الجاهلي في الأدب الجاهلي لأن طريقة الكتابة لذلك الخين
لم تكن قد نشأت أو ابرقت بعد . ولكن قد اعمدت بعض الشرائع الغريبة
واكثرها من نوع الروايات والامثال الشعبية التي فطنت في العصر الاسلامي
وادعى مؤلفوها انها انصبت لهم عن الأجداد السلف . ومعظم هذه الحكايات يتعلق
بالناسب والمعارك القسبية وهي أهم العرب التي تقدم ذكرها . وكان عدد الآداب
من العرب كرمالهم من عهد التبريز يغفلون التبريز في سياق الخواص التي
يسردون فلم يصعب على محيلاهم ان يوصل ما اقطع او تملأ ما فيه واقع مما
يدعون . فذا اخذوا بالآداب يترجمونها لوصفها في نظم الأجداد الى آداب غير
منظمة او على الأقل يسطرونها بسماعيل وإبراهيم . وفي « كتب الأغاني » لأبي الفرج
الاصمغاني (او الاصمغاني المتوفى ٩٦٧ هـ) وهو شبه موسوعة طريفة ، مادة غزيرة
مفيدة في موضوع الآداب . وكذلك وجدت اليد ايضا لمؤلف النثر من السجع
النسب الى كهن الجاهلية .

١. طبع في القاهرة سنة ١٢٢٤ في مئذني : (راجع بهذا G. Freytag, Arabum Proverbia (Bonn, 1828-31) .

٢. طبع في قسطنطينية سنة ١٢٠٠ في مئذني : ولما كانت كتب النثر من مادة نثرية نحو ١٩٢٠ هـ
اسم كتابها « نثر الجاهلي » .

الشعر

لم يتخوف العربي في العصر الجاهلي إلا في ميدان القريض . وفي هذا الميدان تأت مواهب الرقيقة فوزها العظيم . وحب البدوي للشعر كان الفاهرة الوحيدة في حياته الثقافية .

والأدب العربي شأن معظم الآداب الأخرى برز إلى الوجود بانفجار شعري . غير أنه اختلف عن الآداب الأخرى في أن الشعر الذي ظهر فيه يكاد يكون تام السمو منذ أول ظهوره . ويبدو أن هذه القطع الشعرية التي تحدثت اليها نطقت قبل الهجرة بما يقرب من ثلثة وأثلاثين حولاً وذلك في أثناء حرب البسوس . إلا أن هذه القصائد الأولى سداً واسع متعارفة تمت عن زمن شواء طويل قطعت فيه صنعة الأداء أشواط التطور والتحسين الأولى حتى تمت قوى اللغة فيها وبرزت في حلة راقية . وللمعراء الذين بقوا حوالي منتصف القرن السادس آثار لم يستطع أحد بعدهم نفس الحود منها . حتى أن شعراء العربية من المتقدمين والمتأخرين إلى يومنا الحاضر يعتبرون تلك القصائد القديمة أمثلة عينا من الجودة والبراعة لا يمكن الاتيان مثلها . وقد حفظ الرواة هذه القصائد الأولى في صدورهم وندقوها بطريقة السماع والتقليد إلى أن انتهى الأمر بها أن دوت في خلال القرن الثاني والثالث الهجري . ولقد أظهر البحث العلمي الحديث أن هذه القصائد قد مرت بتطورات تفتح وهذه وعدلت فيها بحيث أصبحت تتفق مع روح الإسلام ^(١) .

ويمكن أن يعتبر الشعر المسجع الذي ابتكره الكهنة والعرافون خطوة أولى في سبيل ابتداء الفن الشعري . وفي القرآن شذوذج لهذا الأسلوب ولعل الخطوة الثانية في هذا السبيل هي الخداء أي الشد حداة العيس . ولا يستبعد ما افترضه تقليد العرب من أن أصل الشعر هو محوثة حدي العيس الأشد على وقع خطى ناقته . والواقع أن نقطة حدي تودي معنى سائق . ومن هنا اعتقاد العرب أن الأبل شعر

(١) راجع طه حسين . الأدب الجاهلي . (القاهرة : ١٩٤٧) .

برنة الموسيقى وتترجم التوقيع الرقيق الخشب .
وقد نشأ الرجز وتقطيعه مستعملين مكررة ست مرات من النثر السجع وهو أقدم
بمحور الشعر وأبسط . وقد قيل بهذا المعنى أن « الرجز بكر الشعر السجع أبوه
والخداة أمه » .

القصيدة

كان الشعر في عصر الخطوة الواسطة الوحيدة للتعبير الأدبي عن الأفكار . وكانت
القصيدة تعتبر الخزانة الأصل والأوحى في الفن الشعري ويحكى أن السهول (السوفي
حوالي ٥٣٦) وهو غزل لعب في حرب السوس كان من نظم القاصد
الطوال . ومن المحتمل أن القصيدة أحدثت ترمي نسبة إلى العرب وخاصة بسبب
الوقوع بين قبلي قنق وكندة . ومن رحل القصيد امرؤ القيس (السوفي نحو
٥٥٠) وهو قصيدتي الأصل من الجيوب وينسب إلى كندة . ومع أنه من أقدم
الشعر فإنه يعد أمير الشعر في غير الأكتيين . أما عمرو بن كلثوم (السوفي نحو
٦٠٠) فقد كان حسباً من أربعة في أرض النمل . ولما يسترعي الناهض من امر
هؤلاء ، أنه على نذرت فجنه كانت القصيد التي يفسده ذات السوب أدبي واحد
ومصنع أدبية مشددة .

وقد ظهرت القصيدة في الأدب العربي فجأة كظهور الشعر هوميروس . إلا
أن القصيدة العربية غوق الألياذة والأدبا في حيدده وانقل صانعها . فظهر على
صفحات التاريخ ألا وهي خمسة لأحكام وسناسة من مطلع لا تمداه ووصف
للدار واستعانة بغروب من النحل والاستمرات ومواضيع مأخوذة لا تغير . وهذه
أمور تدل على أن القصيدة مرت بدور من التطور .

وتشبهت قصائد الجاهلية في أنها تبدأ بالوقوف على الخلل واستيفاد التعجب
ثم تعرض لوصف أطلال الدار حيث أقامت بحيرة الناصر وحيث اتسع النحل لكثير
من مشاهد الغرام بيني وبين الحب . وبعد أبيات من هذا الفن الغزلي الذي يسمى

النسب ، وهو بشارة فاتحة . بقي الشعر على ذكر الرحلة التي قطعها على راقته وما عدا .
 فيها من أهوال الليل وكيف كان يضرب في ظنون البوادي تبعاً لثقلته الخشونة .
 وبينما الشعر يحول إذا به يسر معه لجانب الجبل فبطارد الطي والماء وقد بعث
 مشهداً فيه حقة شرب أو لعب ميسر . ثم انقلب ليعود والرياح سراباً قدداً
 بالشعر يذكر فيروسيته والقدامة وقدمه وكبره محمود وعزلة به وداني فبيته ومجاريه .
 وأقول المصانيد متوسط بين خمسة وأربعين سنة وذكر الشعر في حدود عروبه من
 قديم . وقد يكون ذلك الموضع محصوراً إما في الأندلس قديمة ما يرى أن
 يتقدم أو وصف قتال أو هجاء ، غصص أو مبرج عظيم يخطب وقصه . وإن كانت
 البنية لا يتصور قصدها شيء من السحب ولا الخزع البصير بالأسر والهجرات ولا
 يتعقب فيها صوت الشمس والخيال أصبحت الخبوة فيه سيفة زعم بقدر الشعر
 الأساية . أما العقل فلا يدور به مواضيع التفكير التي لعل . وإن جميع هذه
 تظهر بادية في قصائد العصر الذهبي الذي سعت فيه . وفصله غنية بالقدرة
 التي تعرج به بحبوكة متينة الزحف إلا أنها خيرة في الأفكار الشكوة الطيبة وعية
 فهي قليلة الغناء من حيث أنها أدب عام مشترك بتذوقه الناس في كل صنف . ومن
 هذا عقد هذه الأشعار الجاهلية فيمنه حين ترجع إلى علة أحية لأن العصر النحوي
 فيه قوي وأنها فيها هو المصداق لا المنطوق والمكثرة الزائدة والقيمة والافق
 محدود والنظرة القيسية حقة . فإذا نعى الشعر حول الترة فقد هو يعني فانه
 الخاصة وإذا وصف فرد أو قلة فمن خيه وإنه . ومن هذه الناحية فاشعر
 العربي بما في الأغنية الجديدة القروية من الشعر أوسعي عند الأغريق (ابتدأ) .
 والعرب لم يحسنوا قط شعر البطوة في وصف الملاحم (إيت) ولا هم انتجوا
 ما يعتد به من « الدرامة » الزفيرة القدر . ومنها يمكن من امر فالأثار الشعرية
 التي أوجدها العصر الذهبي للأدب العربي في القرن السابق للإسلام ثم عن مثانة
 وجمال في السبك عظيمين .

المطقات

وتحتل المطقات السبع النقام الأول بين قصائد الجاهلية كلها ولا تزال لها الخطوة الكبرى في كل العالم العربي ويعتبرها الأدباء ابداع ما اخرجت صناعة الشعر . وقد ورد في الاساطير ان كلا من هذه المطقات استجيدت ونالت قصب السبق في سوق عكاظ السنوية وابها راقت الناس فكثبت بناء الذهب وعلقت على استار الكعبة ^(١) فذلك يقال مذهب فلان اذا كانت اجود شعره . وبغهم من الاخير ان نشأة المطقات مقرونة بسوق عكاظ التي اقيمت بين نخلة والضايف في الحجاز سنة لمؤخرى فجاءت كناية عن مجمع أدبي امتته فحول الصحراء فبازى بالشعر ما للفوز . ولم يكن للشاعر من محد اعلى من الفوز في هذه السوق . واذا فموى عكاظ في حاحلية التاريخ العربي كانت اشبه شيء « بكاديمية افريقية » في بلاد العرب . وتقد باهى الفائز فيها مباهاة البطل اعلى من انظار الاغريق في العابهم الاولمبية . وليس بين ناني جائزة يومئذ اليوم من يريد مغرم عن فخر احد او تلك الفائزين في عكاظ الجاهلية .

وكانت سوق عكاظ - فيما روي - تقام في الاشهر الحرم التي كانت اقل محظوراً فيها . والتقويم السنوي في عهود الجاهلية عند العرب قري مثل التقويم الاسلامي الذي تلاءم . وكانت اشهر السنة الثلاثة الاولى ، اى فصل الربيع - ذو القعدة وذو الحجة ومحرم - توافق فترة السلم . ونوفرت الفرص في هذه السوق لبيع الحاصلات والسلع الخفية فانفتحت ابواب التجارة على مصاريحها وجرى التبادل والمقايضة . وجلس القوم للمسر والشرب يرتفقون الببذ وغيره من اشروبات . ومن السهل ان تتخيل ابناء الصحراء يتوافدون الى هذه المطقات السنوية زرافات ووحداً فيتناوبون الحانات ويطلقون شهواتهم لاعتبا فيجدون في نشوة الشراب نسياً وطرباً ويحذون في انهاء القيان متعاً تسلب اليهم حتى يخل لهم انه قد اتيج لهم

(١) البيهقي ، الزهر ، القاهرة ١٢٨٢٠ ، ج ٢ ، ص ٢٥٠ .

من الرخاء والترف أوسع ما في الأمكان .

وقد ذهب الرواة الى ان أول قصيدة كانت اعجاب الحكمين في عكاظ هي معلقة امرئ القيس (المتوفى نحو ٥٥٠ م) الا ان العطفات لم تجمع حتى أواخر العصر الأموي حين قام حماد الراوية في منتصف القرن الثامن الميلادي وهو من المرتزقين برواية الشعر فجمع المقتطفات السبع المذهب من بين الكثير من اخوانها ووضعها في مجموعة واحدة . وقد ترجعت المجموعة الى معظم اللغات الأوروبية .

وقد وصل اليها من الشعر الجاهلي فضلاً عن العطفات السبع مجموعة أخرى سميت « المقتضيات »^(١) نسبة الى جامعها المفضل الذي (اتوفى حوالي ٧٨٦ م) ونشمل على نحو ١٢٨ قصيدة لشعراء اقل شأن من اصحاب المقتطفات . اضيف الى ذلك عدة دواوين منها ديوان السفة وديوان عقبة وديوان الاعشى وكلها انجزت الى العصر الجاهلي ، ومطابقة واحدة المدد من المقتضيات والمختارات تحدها في « ديوان الحاسة » الذي جمعه ابن قدامة (اتوفى نحو ٨٥٠ م) . وفي كتاب الاغاني للاصفهاني (المتوفى ٩٦٧ م) . وكان قصائد الجاهلية باقية من الأزهر الأرجة القيت اليه من فوق جدار عظيم المرتفع لا يدرى الزمان حيله من آيات ومشاهد . الا ان هذه الباقية تكفي للدلالة على وجود روضة زاهية .

الشاعر الجاهلي

والشاعر كما نزل هذه الكلمة في العربية هو في الاصل رحيل وصف معرفة ما ستر عن العامة وذلك بواسطة شعور خفي يوحيه اليه شيطان خاص . اذا فالشاعر من اخلاف قوى غير مرئية تؤثر في هذه الامور وشقائه . وفي امكانه ان ينزل المبالى على خصمه . ولذا كان لمهجد منبذة قديمة في الشعر العربي .

ثم تطور مقام الشاعر وعمره وحسن تقويمه بوظائف متنوعة ففي ايام القتال كان للسانه

(١) المقتضيات التي انزلت بحمدت شربل . كمبردولين ، ١٩٢٦ : ١١ .

جدة الحدث في الحقبة التي تلاها لاسلامه. وحقق في الشعر دون العرب ^(١) فيه مرآة صادقة لا خبير اب لمبية وانظفه وملاحجه وانظر غنيتها وحول تفكيره. والشعر العربي الى ذلك مقدس ستوجب به طبيعة خلق القومي وميزان تزن به اهواء العرب ومبرراته السكوفوجية.

ما يكشف الشعر الخالص من سموات الطبيعة البدوي

يكشف هذا الشعر جاهلي ^(٢) عن ملل لاغنى غلبة العربي التي تبرز عنها نقطة المروءة. وعروءة شاعر تكون معه في الشجاعة والكرم. فاشجاعة نفس منددة بقوة به. يصل من عروءات ومقدار لآله في ذات عن غيبته وسه في معمة لاغناء. والوهو نفس بولاء لحرمة سيد الطبيعة ونسبه وبعده في معاصرة الامم والشعر. والشعر الكرم في السوي حين يري متعادله لغير رفته وقبيلهم معه. مصنف ابو لاهم. بقر. وان كان.

ونذكر منه الثاني (النبوي ٦١٥ هـ) حتى الى اليوم وقد تحدث في شخصيته الشاعرية لعل نظيره المروءة. وقد يروى انه كانت له قربة عصاة ينادى لا يزل عن الاثني. وانمو. من امة جمعه في ان به يدعو غلام قمره عند من الارض وشعر ابن في حياه واسعة مديني فاجر خط لآله من به وهو لا يعرفه ثم سلطه عن اسماءه ففسوه له عروق فبه لان كهم. وقد ساءه اودى. فعل قول «موقوفك بعد الدهر طوق الحمة» واحبوه ثم صنع فطيرده والقد ^(٣).

اما عشرة ابن شداد الحلي (٥٢٥ - ٦١٥ هـ) ويظهر انه انشأ الى النصرانية - فقد اتي ذكره بعد ماهر شوشن كمنشوة والتمرومية عند العرب. وقد اعلنت من حياه مظاهر العزس والشاعر والحرب والحب وسلطت باوضح صورة من

١ - النبوي. ذكره. ج ٢ ص ٢٢٥

٢ - الشعر العربي. جبهة الشعر عرب مصر. ١٣٣٠ هـ.

٣ - ابن فية. الشعر والشعر. شعر في عوبه (١٩٠٢ - ١٩٠٤) ص ١٢٤

صور شمائل الرجوة التي اطلب بها العرب . وقد أصبح بنحوته وفنائه وغرامه بصلة
(التي خلد اسمها في مذهبته المشهورة) جزءاً من التراث الادبي في العالم العربي .
وكانت امه واسمها زينة امه سوداء فكان احد أغربة العرب (اني غرابها اسود
لونه) وهم ثلاثة هو وخطف ابن عمير الشريفي من بني السيم والمليفت ابن عميرا
السعدي . وقد ولد عبداً ومع ذلك فقد اعتقه ابيه حين اغرث بعض اجداد القبائل على
عيس فضايقتها وابي عنقرة ان يشترك في القتل فقل له ابيه : « صخر يا عنقرة »
فجاب عنقرة : « المبدل لا يحسن الكرامة نحن احلنا والقصير » فصاح ابيه :
« كبر وأنت حر » (١)

وقد خرجوا الى بلاد نجران وهو من فرسان الذهبية والشهر بمنزلة الغول
وطوله بم - مرثاة فقد في خانه (٢) وهي مدينة بالانوصف التي كان الدوا بجاهون
بها من المحونة والمجاه والولاء والغبية تعدوا والحب لاند الخلد . ومن ايها :
غيث مرثاة غمر حيث يغمرني واذا بسطور حيث ألي (٣)

وروي عن الشافعي وهو صاحب كتاب نجران انه وقع في يد قبيلة معدية فاقسم
حينئذ ان يغتنم منه منها ومعد ان قل نسبة وتسعين تمكوا منه ومما يروى فقال
عنه ابو عمير معدوني ان من اجد احد من القبيلة المعدية فوقي رأسه برصه
فخرج في عظم من رأسه فقتل عليه فقتل . وكان ذلك ليحيى هو تيمم القبة (٤)
ولا يملك الشعراء القدماء خدمة غريبة السوء في الامة العربية وهي اهم
نوصو بيده القصد والقطعت في شرب القوم من مله في - ثم قد ان الجزيرة
ان تحلي الحدود القوية بين قحان وتوسيع في السرى وحمل الحرق والسج بين
العرب وسواهم من لاعلم ويدين حقوا فكرة جديدة سادت الشعوب بالوطنية

(١) الاعاليح ٨ ص ١٤٩ - ١٥٠ من قتيبة ، شعراء ص ١٣٠

(٢) شعراء ص ٣ ص ٣١٠ حيث ذكر - شعري عن انه شاعر

(٣) ابو تمام ، الخليفة ص ٣٠٠ - ٣٠١

(٤) الاعاليح ٢١ ص ١٤١ - ١٤٢ - ١٤٣

ذكر ابن هشام ^(١) والطبري ^(٢) نخلة طويلة في نجران كانت العرب يعبدونها ويعلقون عندها الأبواب وحلي النساء. وأنواع السلاح. لها ذات أنواع ^(٣) وقد دعي ذلك لأنهم كانوا يعلقون عليها عتباتهم (فكان السكيون من قريش يزورونها كل سنة ولعلها شجرة العزى في نخعة ^(٤) . وكانت الملات مختلفات تمثل على شكل حجر مربع ^(٥) وذو الشرى في الجبل على شكل صخرة كبيرة مرصعة الجوانب لا تنبت خضانتها وتبلغ أربعة أقدام علواً ولديهم أسماء. وكان لكل من هذه الأصنام وقف خاص به من أرض الترامني يسمى الخن .

الخن

وقد قيل البدوي الصخر. هذه الأصنام ذات طين وحليتها هذه الخن والعصا. ولا تختلف هذه الأصنام عن الأكمة في طبيعتها بل في كنهه خلافها لأن الأكمة على العمود شعل على الأسن وأرجوه أما الخن فله صفة وأما هذه الأصنام إلا أنها وهي من الصخرات المنحطه هي هي صفة وأما هذه الأصنام إلا أنها هي مختلفة حتى مع به قد كنه . فليس . بل هو من الصخرات المنحطه بل هي بات لينة لينة ورس ورس في فرع فطينه يقول في الخن من الخن من الخن وهي صفة الخن من الخن من الخن . وهي قول :

فمن الصخرات المنحطه عيب	لا في الصخرات من الخن
من عيناها في رأس فحيح	كأن في الصخرات من الخن
وبقي من الخن من الخن	ومن من الخن من الخن

١ - حاشية ص ٢٤

٢ - حاشية ص ٢٤

٣ - حاشية ص ٢٤

٤ - حاشية ص ٢٤

٥ - حاشية ص ٢٤

٦ - حاشية ص ٢٤

الأنباط نجير^(١) ، وإلى هذا اليوم سمع من شعراء العربية نسبة الآلام وأنحن
 بـ « الدنيا » و « الدهر » و « الزمان » .

وقد افترقت صلة الأرحام أن يكون دم المرأة أهم من دم الرجل في حلقت
 القرابة بين الناس فذلك عند الشعوب السامية على الاختلاف . وكانت السيادة في
 الأسرة تأتي الأمر في يد الأمهات لا الآباء ، لأن ذلالة العربية سبقت الآلهة زمان
 ووقته فسر .

الكعبة في مكة

وكان في مكة في يوم كعبة ربي القليل (من الآلهة تعوي البحر)
 (يروح) معبود على سوق الناس وأولادهم فداه سبعة فصح وكانت العرب كل انتقلت
 في الحيرة في أمر يجد إلى الكعبة (كلمة عربية الأصل) وهو صاحب الفداح كى
 يستغني لم يعل كبر الآلهة من طريق الفداح فحرب بها عند هذا من طريق فدمه
 على شيء كان له ومن نصف فداء ولا شيء له . وفي من هذا^(٢) أن العرب
 لم تكن خرج من مكة إلى مكة في بعض موزع من أمه مؤلف من أهل مكة
 وبها يومئذ لم يبق ربه يمشون لآلهة فداها شيء فأجروا « هذه الآلهة بعده
 فاستطروا فداها واستطروا فداها . وفي من فداها فداها فداها فداها
 فداها به مكة فداها ولم تكن مكة فداها . وفي من فداها فداها فداها
 الحقيقة التي لم تكن فداها فداها فداها فداها فداها فداها فداها فداها^(٣)

وكانت كلمة مكة فداها فداها فداها فداها فداها فداها فداها فداها
 كل عام من كل شعوب مكة . وفي مكة شكل لبط العسة مذبحها
 لا يمكن أن يفتق أول العهد . وفي وسطها فداها فداها فداها فداها فداها فداها فداها فداها

(١) Lelchurska, *Epithamion*, vol. 61, 1909, 11. وفي Cooke, pp. 217, 218.
 (٢) Green, 1915, p. 84.

(٣) - نسبة اسم مكة ومطابق .

١٣ - مكة من مكة فداها فداها فداها فداها فداها فداها فداها فداها فداها

البركاني الأسود يعبدونه . وابتداء الذي كان قديما حين يحيى الاسلام انما هو من
بناء اوليد ابن الخيرة الذي تهدمت الكعبة في ايامه فاعد شاهدا من حطامه سقن
للغربيق كانت قدمة الى الحبة وسطعت الامواج وفذفت فطحت على شاطئ البحر
الاحمر^(١) . وتخيظ بالكعبة ارض الحرم المقدسة وقد نوى شؤوبا رجل ذوو مذنب
منها سدانة البيت أي نوى مذبحه . وكان يقصد حديد الكعبة مرة في السنة .
وقدمون لها المذبح والقرابين .



نموذج الكعبة

وفي العهد الاسلامي ان الكعبة لم يبق رافعة لمذبح سموي كما كان المذبحون
تهدمت البركان واعد شاهدا من حطامه سقن للغربيق^(٢) . وضعت سدانة
في البيت ساقا سمعيل حتى ملأه في حرمه وهي خرقة من حذاه ثوبان ذهبوا
اليها عذوة الاقدم ثم وليهم فربس فعدت لأمره فبني الاسرة لاشعبيه القبيصة .
وحسب التقليد ان سمعيل قد قدم في حرمه في حرمه من حطامه لاسود

(١) لا يرى في التاريخ مكانه . ويرى في بعض النسخ . (٢) لا يرى في التاريخ مكانه . ويرى في بعض النسخ .

الذي لا يزال محفوظاً في الزاوية الجنوبية الشرقية من وادي السراجل أول من تلقى
مراسم الحج .

الله

وكان تقدم على الميودات التي حوتها الكتبة أو ذلك الله (الله) على أنه
لا يكن الوحيد عنده بل معه شيء عن تحريم معنى الإلهية أو حصصها في واحد
من آلهة الكتبة المتعددة . واسم «الله» عرقي في تقدم اعتقد المنتشرق فيرمبورغ
أنه «آله» في رقيم معيني قديم^(١) . وفي موسى عند ورد الاسم هكذا «هلاه»
وذلك قبل بزوغ الإسلام حجة قرون^(٢) .

وقد ورد اسم في رقيم مصري يرجع إلى القرن السادس الميلادي^(٣) عزت
عليه بقعة جامعة برستون إلى سورية . وكان اسم والد محمد هو عبد الله . وهو اسم
مركب من عدد في حده أو عدد . ومنه وهو الاسم الذي مرض له . وذلك
على طريقة الله عدد من مكة في الخفية . ما في القرآن من آيات تشير بذلك
في سورة قمر ، الآية ٣١ ، ٣٢ : ولأحد . الآية ١٣٧ ، ١٣٨ : موسى . الآية
٢٣ . فهو الحق الخبير بما كانت به مصيبة دعوه بحسين . الذين . وبسوء
الاستنتاج من ذلك أن الله كان لعبود تقبل تقرباً قبل الإسلام .

وأجبت طريقة مكة هو شأن ذات الخرافة فيها بارتقاء من هو جواد غير ذي
أربع ردىء الهواء ونفسهم أصبح العجز أعظم مركب حتى في فعل الجازيرة .
ومن ختمهم «الله» و«الله»^(٤) وهو اسم طائفة يرجعت إلى أصل

(١) X 1892, pp. 137-138.

(٢) X 1892, pp. 141-142.

(٣) L'anno dell'anno, del 1892, pp. 141-142.

(٤) 1920, pp. 197-204.

١ : سنة ١٩٢٠ .

٢ : عبد الله هو الخبير بما كانت به مصيبة دعوه بحسين .

طوطي . اما فكرة الآخرة ولا نجد في أدب الجاهلي اشارة واضحة اليها .
والعبارة القليلة القليلة التي نصلح من التفكير بالآخرة جاءت على أثر
التعايم النصرانية . والخلاف العربي قائم على فسحة هذه الخلية فكان إذاً دالاً
في سماء الخبة التي نخدمه وما كبر من الفكر كثير لأمور الآخرة . وفي هذين
البيتين نشأ قديم من الفلسفة العربية في الخبة :

أناؤف ما أطوف ثم يروى ذوو لأمور مف والمصير
الى آخر السنين أحواف . وعلاهن صفح مقبم^{١١}

وإن كل "ذو لأمور" على ما ذكره حديثاً في حيدر بنون الصانع ووجدته في
الأشهر الخيرة الأربعة فأمم . وذكروا طابعاً لا يمكن التوبة التي كانت تروى من
أفكارهم ووجه واهموا من التوبة التي من سوق بكعبة . وفي الصانع .
وكذا فتمون الأهل والأعداء والنج في مكة وعند عصف لأعداء التي كانت غير
الهدى . أو مذابح . وكان الخرج من . مشهور في العدي من الحضرة من
القرائن الدنية عند "الذوي" . وكانت لأشهر . من دارحة تضمن ما أصبح في
التقويم الإسلامي الشهر الحادي عشر والثاني عشر والثالث من كل عام (ذو القعدة وذو الحجة
والخريف) . يصف "أبنا شهر" آخر في منتصف السنة وهو رجب . وكذا فمن الإسلام
بمرايات الأشهر الثلاثة الأولى لخريف . ما به من الشهر الأخير فلهذا على السجادة
وأما قطر الخبز بخصائص عربية . وفيه في لغة مركزية وسهولة الوصول إليه
وقيامه على طريق القوي . القوة بين الشرق والغرب . وفتحت فيه أبواب وسعة
الحركة الدينية والتجارية . ونفصل هذه شئت سوق عمكا والسكبة .

مدى الحجاز التمثيل : الطائف

الخجور بلاد في الجزيرة أعجز بن مرثد حد وبن سهول المنخفضة الواقعة

على الساحل المسمى بـهبة . وإلى فيه من مدبرة العسكر لا يلائم ولا يلائم
ومكة والمدبرة .

وقد اختلف في اكناف الخدود . من اكناف حوضه آلاف قدم وهي
طيلة افواه وقبل في حوضها التي اقلعة من راس حوضها . وكانت ولا تزال مقصد
للسفراء مكة . وقد زارها رحالة عديد من اهل الشرق في سنة ١٨١٢ م .



مكة من جهة المدبرة

من جهة وشرب عن الشراخ عند مدبرة بطنية التي غلب في طريقه اليها وقد
انه لم يزل من عند مدبرة من ١٢٠ . وكانت حوضها التي اقلع والافطاح
وموز والين والعب وابتوت . ومن راس حوضها ١٢٠ . والشبوت وروند . فطر
الذي كانت بيد اهل مكة لم يزل يمشون اليه من طيب . وقد ادخلت الكرمه الى

John L. Burckhardt , *Travels in Arabia* , London, 1829 Vol. I, p. 122 . (١)

(٢) ابن بطوطة ، محمد بن عبد الله بن عبد الوهاب ، تاريخ ابن بطوطة ، ج ١ ، ص ٣٠٥ .

الطائف كما نقل صاحب الأغاني^(١) على يد امرأة يهودية وقد اهدت بعض قضبان النكره لبعض الزعماء هناك . اما آخر^(٢) الطائف فقد كانت برغم كثرة الطلب عليه أقل ثمنًا من النوع الاجنبي الذي كانوا يستقدمونه من الشام والعراق ويشرونه في الشعر العربي . والطائف اقرب بلدان الجزيرة مطابقة للموضع الذي جاء به الوحي في سورة محمد الآية ١٦ : ١٧ من ذكر الجنة التي وعد بها الصوف .

وكان اهل الطائف من قبيلة تقيف وهي تمتاز باقتل والمقدرة فاجبت في صدر الاسلام الخيرة وزباد وهما القائلان المعتكبان في جيش مدوية وكان منها المجاج ابن يوسف عامل عبد الملك على العراق المعروف ببطنه ومحمد بن القاسم الذي عامل في قلب آسية الوسطى ورفع لواء الاسلام فوق روعها .

مكة

واسم مكة^(٣) الذي اوردته طليموس^(٤) صيغة مكور . مشتق من الاسم السبئي مكوراء ومعناه مائس او حرم . ويستند من هذا الاسم ان مكة كانت في اول عهده مقدس ديني اذ فهي مركز للعبادة يرجع عهده الى . نسق محمداً بالزمان متطاولة . وهي واقعة في تهامة الخليج الجنوبي على بعد خمسة واربعين ميلاً من البحر الاحمر وذلك في واد قهر صخري وحده القرآن بانه « واد غير ذي زرع » (سورة ابراهيم الآية ٥٠) . ويسكن ميزان الحرارة في مكة درجة لا تحتل . وتقدر ارضا الرحلة العربي الطنجي ابن بطوطة^(٥) فراد الطواف بالكمبة حافي القدمين فوصل الطواف وازد استلام الحجر الاسود فحطه فلب الحجره وشاء الرجوع بعد قليل الحجر فم وضعه الا بعد جهد عظيم ورجع وهو لا يحلف حتى بلغ الطواف .

١ ج ١ ص ١٥

٢ نسخة من نسخة من آرميه وكثير ضلوع نسخة جيد على خر سيطرة من لعب والبر

٣ اصل الآري ، اخبار مكة .

Geographm, ed. Nöldeke, Bk. VI, ch. 7, p. 32 (٤)

٥ ج ١ ص ٢٨١

وقد وقعت مكة في وسط طريق القوافل ما بين مأرب وغزة وهي طريق تجارة الطيوب في عصور دول الجنوب فكانت محطة للاتين من جنوب الجزيرة وللمتجدين من شمالها . وكانت الأسواق تنصب فيها للبيع والشراء فمهر أهلها في شؤون التجارة وما يتعلق بها من مرافق ووظائف . وجعلوا مدينتهم مكة مركزاً عمران وغزة . وفي غزوة بدر (١٦ آذار سنة ٦٢٤ م) كانت قافلة للمكينة راجعة من غزوة فيها ألف بعير ومعها من المال خمسون ألف دينار على ما رواه الواقدي ^(١) . ولما عاد المسلمون بعد غزوة بدر بالأسرى الذين وقصوا في يد النبي من المسلمين اقتد بهم مكة بأربعة آلاف درهم للرجل إلى ألف إلا من كان معدماً فقد من عليه محمد بحريته . وكان تجار مكة يرحلون في تجارتهم للدينار ديناراً . فأصبحت مكة جمهورية صغيرة تجارية ^(٢) يرأسها الموسرون من أكابر قريش ومقدميها الذين ألفت لهم موارد التجارة ومناصب البيت الحرام جاهاً ووسائل للتزلف على أوسع نطاق . وراجت نخلة مكة فقامت قريش تؤمل مركزها في البلد الحرام فانت رحلت الشتاء والصيف ، رحلة الشتاء إلى اليمن ورحلة الصيف إلى الشام ، فارتفعت مكانة مكة في الجزيرة واعتبرت العاصمة المقرب بها وسمت منزلة سوق عكاظ فأصبح ملتقى الخطباء وقطب الدائرة الفكرية في الجزيرة ، وهو امر لا يحق له مثيل في ثقافة اليمن القديمة أو في مجالس الأدب وحلقائه الزاهرة في بلاط الخيرة والفلسفة . وكان قسماً مؤسس محمد قريش فابتنى في الشطر الأخير من القرن السادس دار الندوة ليجمع فيها كبار أهل مكة تحت امرته ليتشاوروا في مهام بلدتهم . وما إن أخذ نجم الأسرة يتألق حتى ظهر فيها كبير آخر هو عبد المطلب - جد النبي - الذي يروى أنه كان حامي حوض مكة حين وجه امرأة جيشه لهذه البيت الحرام وامتنان مكة وقريش في عام الفيل .

(١) كتاب الفاري ، نشر في كركر (مكلا) ١٩٥٥ - ٦٠ م ١٩٨

(٢) الد في سورة الزميين الآية ٢٤ ، الشعراء ٢٢

العربية

تقع يثرب (ي ث رب في قحوش سباً ويثرباً في جغرافية بطليموس^(١)) على بعد نحو ٣٠٠ ميل من مكة وقد حبتها الطبيعة بمزايا لم تعرفها مكة من طيب الهواء وجودة التربة. ولم تكن يثرب على طريق القوافل التي تحمل الطيوب بين اليمن والشام فحسب بل كانت واحة حقيقية ذات تربة صالحة لزراعة النخيل وهو كثير فيها وقد أصبحت المدينة من أهم المراكز الزراعية على أيدي يهودها بني النضير وبني قريظة. وإذا اعتبره الاسم العربية التي نسي بها يهود يثرب والألفاظ الأرامية التي كانوا يستعملونها في حيازة الزراعة فإن حكمهم أنهم كانوا بالأكثر من القبائل العربية والأرامية التي شهدت^(٢). مع أنه كانت نواة هذه الجماعة السريانية صرفة هجرت فلسطين في القرن الأول لميلاد على أثر الفتح الروماني. وأهل هؤلاء اليهود الملقين بالأرامية هم الذين استبدلوا « يثرب » اسمها القديم باسم جديد « المدينة » وهو آرامي. أما الاعتقاد بأنها سميت المدينة لضرورة مدينة الرسول فهو رأي متأخر. وإذا استثنينا الجالية اليهودية فهناك بين القبائل العربية كانت الأوس والخزرج وهما من اليمن أصلاً.

المؤثرات الثقافية في الحجاز : ١ - سبا

إن بلاد الحجاز لم تسلم لهم أيام الجاهلية في مجرى الحوادث العربية ولكنها في الواقع لم تكن مجهزة ثم الجهل وقد بدأ انزعافاً عند الإسلام منذ السنة الثامنة للهجرة حين جهز المسلمون عشرة آلاف رجل إلى مكة فتحت المدينة محمد في إن بفتح أم القرى من غير إراقة دماء. فدخلها ثم عفا عن خصومه جميعاً وظهر الكعبة من الأضواء ودخل أهل مكة في الإسلام. إذ ذلك نزلت الآية : « يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا ... »^(٣) . إلا

(١) Sk. VI, ch. 7, § 31, ووردت أيضاً قربها

(٢) ليفوي الرابع ج ٢ ص ٤٩ حيث أورد المؤلف أسماء قبائل العربية التي تحددوا منها.

(٣) التوبة : ٢٨

انك هذا النبي جاء في باب تحريم مكة على الوثنيين والمشركين وطردهم منها .
ونقل عن النبي انه قال : « يا ايها الناس ان الله حرم مكة يوم خلق السموات
والارض لا يخل لأمرى يؤمن بالله واليوم الآخر ان يفلت فيها دماً ... »^(١)
الا ان التولمين ساروا في التفسير شوطاً بعيداً فحرموا على اهل التهمة دخول مكة
والمدينة واستباحوا دم غير المسلمين ومنها^(٢) . ومن الزمان انه في القرن الاول
بعد وفاة النبي كان يغيم في سقط رأسه عدد لا يستهان به من النصارى واليهود
يعترفون اعطى بالموسيقى ويعملون التجارة .

وفي العهد الذي ولد فيه محمد كانت جزيرة العرب قد فقدت مدينتها القديمة
الموحدة التي ازدهرت حفة من الدهر في زاوية الجزيرة الجنوبية الغربية وكانت
ابناء تلك المدينة قد تشتتوا في سائر انحاء البلاد وفي الكه والعراق ، فلجأوا لم
برث محضات الثقافة الجنوبية التي سبقته لأنه بعيد عنها من حيث الزمان والسكان .
والادب الاسلامي لم يحفظ من بقايا تلك العصور اية شيئاً يؤخذ به ذلك لان
الاسلام يسبق ما قبله .

والعقبة لم يكن طبعاً ان تمر مدينة الجنوب العربية دون ان تترك بعض
الآثار في اقطابها الشمالية وهذه نقوش حجر تشير الى ذلك . فهذه رقم (٥٤٢ -
٣ م) لارضة تعرض لانهار سد مارب كئيف عنه لتشرق غلازل ونشره قذا في
مطامه هذه السمكت : « بقوة وسمة ورحمة الرحمن وسبحه وروح قدسه »^(٣) .
والقطة « رحمن » في الاحمال تدعي اهتمام البحث لأنها أصبحت فيما بعد الرحمان
في لغة قريش وهذه النقطة شأن واضح في القرآن كتحمد أسماء الله الحسنى العامة
في جميع النصفات العربية واخصها كتب الفقه وعلم الكلام والشرع . وهي
كثيرة المروء في سورة مريم . والنقطة الواردة في الرقم المذكور وان دلت على

(١) قال الجاهلي : معجم : ١ بولاق (١٢٩٦) غز : ٣١ : غزني : معجم : ١٠ .

(٢) قال البيضاوي : انوار النريل : ١ ص ٣٨٣ : والخطري : معجم : ١٠ ص ٦٤ .

(٣) E. Glaser, Mitteilungen der Vorderasiatischen Gesellschaft (Berlin, 1897), pp. 390, 401; Corpus inscriptionum Semiticarum, Pars IV, 1. i, pp. 15-19.

الاله الحي عند انصارى فنظاهر انها مأخوذة من اسم احد المبودات القديمة في الجنوب . وما يذكر في هذه المناسبة ان الاسود العربي الذي قام فتكهن في اليمن في بدء الاسلام كان يسمي منه « رحمان اليمن » كما تسمى ميله من قبل « رحمان البهامة »^(١) . اما لفظة « الرحيم » فواردة ايضا اسم لاله (رح -) في رقم سبأ وحير^(٢) . ولقد شوهدت في رقم جنوبي آخر لفظة « شرك » بمعنى عبادة آلهة متعددة والشرك هو ما حمل عليه محمد منذ بدءه وشروعه بتبليغ رسالة التوحيد . والشرك في الاصل ان يعبد اله من الآلهة عظيم الشأن بشرك معه آلهة صغرى . وفي الرقم خمسة لفظة « كثر »^(٣) وهي الكلمة التي استعملت في لغة الضاد للتعبير عن معنى الشك والامداد .

٢ . الحبشة

ولقد كانت تحمل ساحل الجنوب الغربي من البحر الاحمر قومه من الساميين تسربوا اليه كما رأينا - من ساحل الجزيرة انقبايل مساوا فيها بعد بالاحباش . ونشأت بين هؤلاء الاحباش واقربائهم في الجزيرة وبين انكبيين صلات تجارية ما لبثت ان توثقت عراها فاندمجوا في تلك الكتلة التجارية الواسعة النطاق التي تولت زعامتها سبأ وحير وتم لهم مجتهدون احشكار خطوط الطوب القديمة التي كان يمر اهم فروعها بالحجاز . وقد استطاع الاحباش ان يوطدوا حكمهم في ارجاء اليمن مدة خمسين سنة قبل ولادة النبي . وفي عام مولده رأيتهم وقوفاً على ابواب مكة يتهددون كتبها بالخراب . وسكة اذ ذاك مقام جالية حبشية لحملها نصرانية يدعى افرادها « الاحابيش » . وكان بلال^(٤) ذو الصوت الرايح الذي رقاء النبي الى

(١) البلاذري . خوج ، ص ١١٠ .

Dussaud and Macler, *Voyage archéologique*, p. 96; Dussaud, *Arabes*, pp. 152-3 (٢)

J. H. Mordtmann and D. H. Müller, *Wiener Zeitschrift für die Kunde des Morgenlandes*, vol. X (1896), pp. 285-292 (٣)

(٤) ولا يزال قبره معروفاً في دمشق .

وخليفة مؤمن عبداً زنجياً من الأحباش . وإذا تأملت الآيات القرآنية التي نزلت في وصف البحر وعواصفه ^(١) هذه الآيات التي تتميز بصفاتها ووضوح صورها أدركت أنها صدى لهذا النشاط والاتصال البحري بين الحجاز وبلاد الحبشة . ولما أعلن الرسول رسالته وقامت قريش تضطهد وتسرف في إيذاء المسلمين أشار عليهم أن يذهبوا إلى بلاد الحبشة ^(٢) « فأت بها ملكاً لا يقدر عنده أحد وهي أرض صدق » ^(٣) .

٣ . فارس

وفي القرن السابق لحجى الإسلام كانت فارس الزردشتية لنزع الحبشة السيادة على اليمن . فتمسرت فنون الحرب الفارسية إلى العرب من الجنوب وكذلك من الشمال عن طريق بلاد العرب الفارسية وعاصمتها الحيرة . وفي الحديث أن سلمان الفارسي كان اعرف بالسائب العرب من غيره فأشار على النبي بحفر الخندق حول المدينة وتحصين ديارها ^(٤) وسارع المسلمون إلى تنفيذ نصيحته فحفر الخندق وعمل فيه النبي بيديه .

تحكم الفرس في شؤون الحيرة فاستقلت منها مؤثرات ثقافتهم ومؤثرات الثقافة الآرامية النسطورية إلى الجزيرة في المصور السقة للنبي . وكما أصبح النساطرة يهتدون

(١) « الفلك والخرقة » « جبريل » « ربيع طيبة » « مرجوانها » « ربيع عاصف وعاصف اللوح من كل مكان » « من موقه سحاب سفات بمها موق من » (سورة الفلق : ١٤) سورة يونس : ١٣-١٤ سورة التور : ٤٠ .

(٢) وفي الحيرة كميات حبشية الأصل مثل زهران وحواريون وجيه (واسمها قلاً عبراني) ومائسة وعمراب وملاك (عبراني) وسير ومصطف وشيسان . وهي تدل على ما كان بلاد الحبشة النصارية من أثر في الحجاز الإسلامي . ولقد أقر السيوطي في الألفان : ص ١٠٤ (١١-١٣) الألفان الأعجمية الواردة في القرآن . وفي رسالة : « زوكلي » طبع في يوهين سنة ١٩٢٤ دراسة : ١٠٨ كميات قرآنية أصلها أعجمي .

(٣) قابل ابن سعد ج ١ ص ١٣٦ .

(٤) ومن الألفان الفارسية في اللغة حربية فرد (سيف) وفرغوس (سورة الكهف : ١٠٧) والنؤمن : ١١ (وسجل أبي حجر (سورة الفيل : ٤) ورويح عا عفة (سورة المؤمنين : ١-٢) ارجان : ٢٠٠ (الفرقان : ٥٥) وزحليل (سورة الأناس : ١٢) ج .

حلقة الاتصال بين الثقافة اقلية وبين الثقافة الاسلامية الفتية هكذا نشطوا في هذا العصر الى نقل افكار بني الشمال من آرامية وفارسية وهلمنية الى قلب بلاد العرب الوثنية . ولعل تنصر تغلب القاطنة ربوع الشمال الشرقية وجيرانها من بني بكر ابن وائل كان من اثر هذا الاتصال .

١٠٠٠ ارض غسان

وكا كان لسلطنة الحيرة اثر على العرب القبيين في نخوة غارس كذلك كان للمؤلفين بين القائلين بطبيعة المسيح الواحدة ، وهم يقيمون في ارض غسان ، اثر ظاهر على عرب الحجاز . ونسب هؤلاء المسيحيين في القرون الاربعه التي سبقت الاسلام . وهم شعب سوري ، أن يسموا العالم العربي على اتصال لا سورية فحسب بل بيزنطة ايضاً . ولا يندر وجود ابناء عمية كداود وسيمان وعيسى بن اسحق العرب في الجاهلية . ومع ذلك فحسب الا يبالغ في اهمية هذه المؤثرات الشمالية او تقدر فوق ما نستحق لان كنا السكيثيين المؤوفيزية والمنطوية لما تكن هم الحيوية ما يكفل اعقادهم الدينية انتشاراً وشيوعاً . وليست الصويفات التي جمعها الأب لويس شيخو^(١) كافية لانبات ان النصرانية كانت موطدة في شمال الجزيرة . ولكنها تمكس صورة صافية لما كان عليه شعراء الجاهلية من الآراء المسيحية الشائعة والتأثير النصرانية . والاشارة لنامي اخر من النصارى والاذنية والاضواع والاضنوج والتواقيس التي يضرب بها اذا جاء موعد الصلاة يستدوكة كثيراً في الشعر الجاهلي . والمأثوف هو ورود وصف الخاسك المسيحي بنزوي الى صومعته في عزلة القفر^(٢) يرى القامة سراجيه من بعيد او تشبه نور ، بضوء مصباح اراهب كقول امرئ القيس^(٣) :

بضيء منه او مصباح اراهب
أما السليط فالتدليل القتل

(١) النصرانية وآدابها - برهان - (بيروت ١٩١٢ و ١٩١٩ و ١٩٢٣) وشعراء النصرانية . مجلدان ، (بيروت ، ١٩٩٠) .

(٢) انظر معلقته في الروزني لبيت ٥٠ و ٧١ وقيل سورة الفاتحة : ٨٥ والنور : ٣٥ ولعل امرئ القيس نصراني ، انظر مقالاً ل محمد صالح سميت في المقتطفات ٧٨ سنة ١٩٣١ ص ٨١-٨٠

ولا شك في ان رؤية الشهيد المتكشف دائماً على زهده في خلونه تركت أثراً عميقاً في التاجر العربي الشغل بين مراكز القوافل في ربوع الشمال اذكت عاطفته الشعرية وخياله الواسع .

ونذكر من شعراء الجاهلية عدداً ابن زيد (نحو ٦٠٤) الذي عاش في الحيرة وساهم بحظ وافر في بلاط المهديين . وقيل ابن ساعدة (استوفى نحو ٦٠٠) الذي سمي خطأ « أسقف نجران » وهو مشهور بفصاحته وحكمه وعنفه ابن شداد (٥٢٥ - ٦١٥) الذي أصبح اسمه في الأدب العربي مرادفاً للشعر والدروسية . هؤلاء واسلافهم من شعراء الجاهلية يقال انه كانوا يعزى . ونسبت الى اللغة العربية اذ ذاك طائفة من الألفاظ الآرامية منها كلمة ويمة ودية ومموية وقيس ومدة ^(١) . ولم تنحصر هذه الألفاظ في ميدان الفكر والدين بل حوزته الى ميادين الاقتصاد والاجتماع وسواهما من نواحي المدنية اذفة كمفظة لاطور وجر وفدان . وكانت العرب وقد مضى شاعرهم في ان ما تكسب المرء الخمد والمخار هو رمي النبال ومطاب الزمان لا الزراعة والحراثة . لم يحضوا بالمفردات الزراعية . ولمفظة قنديل في الاصل لانية - كندلا - انتقلت الى الاعريفية ثم الآرامية فالعربية . وتمفظة كسرة اللامية صيرت في السريانية - فطرا - وفي الآرامية الغربية قصرا ومنها قصر في اللغة العربية وهذه هي المفظة التي اعادتها لغتنا الى اوروبا في صورة كاسرو الايطالية والكارزار الاسبانية .

• • • البربر

لم يكن التوحيد الذي تأثرت به بلاد العرب من النوع النصراني فقط بل كانت هناك مستعمرات يهودية زاهرة في المدينة وفي واحات كثيرة من اعمال الحجاز الشمالي . وبواسطة هذه المراكز وسواها تطرقت الى مفردات اللغة العربية الفاظ عبرانية مثل جبريل وسورة وجبار . وفي « طبقات الشعراء » ^(٢) . تأليف

(١) راجع شيفو . السريانية ، ج ٢ من ١٥٧ - ٢٢٦

(٢) نشره (لين) ١٩٩٦ من ٢٠ - ٢٤

محمد ابن سلام الجمعي (المتوفى ٨٤٥ هـ) باب خاص باليهود من شعراء المدينة وإرباضها ، وجاء في « الأغاني » عرض لعدد من شعراء بلاد العرب واليهود . ولكن لم يختلف احد منهم ديواناً الا السموأل (صموئيل ^(١)) ابن عدياء صاحب الأبلق الفرد قرب نيباء ، زعموا انه يهودي معاصر لأمري ، القيس ، على ان شعره لا يمتاز بشيء يخرج عن مستوى الشعر الذي صاغه سواه من شعراء الجاهلية . هذا ما حدا باليحيى حقا الى الترية في يهوديته . وقد ذهبوا الى ان اليهودية أصبحت في ربيع اليمن دين الحكومة لئان حكاه نواس . ومهما يكن امر تلك الدولة التي قامت في الجنوب فلم يتحقق لها أثرت في حضارة الشمال الى حد يؤبه له .

والخلاصة التي نلتم به هذا البحث ان الحضارة في القرن السابق لرسالة محمد كان محاطاً بتأثرات ثقافية - فكرية ودينية وسادية - مستمدة من مصادر بيزنطية وسورية (آرامية) وفارسية وحشية . وقد انجح له واسطة علاقته بالفرسنة والنخيين واليمنيين ان يأخذ ما أخذ من هذه الثقافات الخارجية . ولكن ذلك لا يعني ان الحضارة تأثر بتدنية الشمال ، التي فقت ما عنده مربية . نقرأ عميقاً قرب جوهر ثقافته الخاصة . ومع ان النعراية كانت قد علفت اصوف بنجران واليهودية باليمن والحجاز ، فلم يتم لها شيء من تهيئة على العقيدة العربية في الشمال . على ان وثنية الجزيرة البالية كانت تضيقت وتدت الى حيث اصاعت مكانتها ولم يبق لها قاعدية في احياء نفوس الامة الخاملة وايقظتها فخرج عليها فئة اعتنقوا لزعة توحيدية غامضة . هؤلاء هم الخنفاء ^(٢) ومنهم أمية ابن أبي الصلت (المتوفى ٥٦٢) وكانت تربطه بالرسول قرابة عن طريق امه . ومنهم ورقة ابن نوفل ابن عم خديجة ولو أن بعض المصادر حملت ورقة بصراية ، اما من ناحية النظم السياسية فان الحياة القومية المنظمة التي شئت قديماً بين عرب الجنوب كانت اذ ذاك متهدمة متضخمة . وقد نهأت الأسباب وددت السعة لظهور زعيم عربي وقومي عظيم .

(١) ديوان السموأل ، طبعة ثانية . شرشيجو . بيروت - ١٩٢٠

(٢) مفردا حنيف وهي مستطرفة من الأرامية عن طريق لبطية .

القسم الثاني

ظهور الإسلام ودولة الخلافة



الفصل الثامن محمد رسول الله

في السنة الحادية والسبعين بعد الهجرة أو ما يقربها ولد في قبيلة قريش بمكة صبي دعيته أمه باسم قد يضل مجهولا ، وبعد أن شب أطلق عليه قومه لقب « الأمين »^(١) عزيمه ، **إد في القرآن فاسمه محمد (سورة آل عمران ، الآية ١٣٨ ؛ الاحزاب ، الآية ٥٠ ؛ التفتح ، الآية ٢٩ ؛ محمد ، الآية ٢)** وأحر (مرة واحدة في سورة الصف ، الآية ٦) . وقد كثر تداول هذا الاسم محمد حتى أن عدد المذكور الذين يعرفون به يفوق عدد كل من نسي باسم آخر . وكان عبد الله وأحمد محمد قد توفي قبل ولادة الطفل فدان مع السيدة من عمره حتى ماتت أمه آمنة أمه . فبعد أمه جده عبد المطلب إلى أن ارتكبه الوفاة فانت كتمالة الغلام إلى عمه أبي طالب .

مريم

معه

عبد الله

عبد الله

عبد المطلب

عبد شمس

أبوه

أبو طالب

علي

عبد الله

محمد

الخال

(١) ابن هشام ص ١٦٥ ؛ يعقوبي ج ٢ ص ١٨ ؛ السموذني ج ٢ ص ١٢٤

ولما بلغ محمد الثانية عشرة من عمره فيما يروى رافق عمه ابا طالب في رحلة الى الشام زعموا أنه قابل في اثنتيها راهباً مسيحياً يعرف بالراهب نجيرا .

ومع أنه ليس بين انبياء العالم من ولد في ضوء التاريخ إلا محمداً فإن شأنه محاطة بالغموض فليس لدينا عن سعيه في طلب التزويج ومحاولة التلويح آمانه وإدراك الغرض الذي كان يرمي اليه وما قاساه من الشقة والألم في سبيل تحقيقه سوى قليل من الاخبار الموثوقة . وكان اول من كتب عن حياة النبي هو ابن اسحاق المتوفى في بغداد سنة ١٥٠/٧٦٧ وقد وصلت اليه هذه السيرة التي كتبها ابن اسحاق من رواية ابن هشام المتوفى في مصر نحو ٢١٨/٨٣٤ . ومهما يكن من أمر فانه ليس لدينا غير المصدر العربي لدرس حياة النبي ولتبحث في تاريخ فجر الاسلام . وهناك مؤرخ يربط اسمه ليوفس^(١) زها في مطلع القرن التاسع الميلادي وكان اول مؤرخ يربط ذكر شيئا عن محمد ونسبه كمن متحاشيا عليه فيه حكاية الترفيع وسبهم الزعم . والاول إشارة الى محمد في اللغة السريانية هي تلك التي وردت في مؤلف يرجع الى القرن السابع^(٢) .

ولم يبدأ الفصل الواضح من حياة محمد حتى تزوج وهو في الخامسة والعشرين من خديجة وهي تدهر الأربعين فوجد فيها خير النسا . وانضم الله^(٣) به لها من جاء ومقام وسعة مال . وكانت خديجة بنت حويلد قرشية من بني اسد وقد تزوجت مرتين من بني مخزوم واصبحت من اروع اهل مكة غنى . وكانت تستخدم رجلا من قریش في مالها منهم محمد . ولم ينسك محمد في الزواج من غيرها وهي في قيد الحياة .

وحسبك الطائفة والمدعة في حياة محمد في هذه السنين من عمره التي كساه الله فيها الحاجة الى متاع الدنيا . وفي سورة النحل الآيات ٦ - ٩ إشارة الى ما اعطاه

^(١) Chronographia, p. 331.

^(٢) A. Mingana, Sources syriennes, vol. i, Bars-Penkaye (Leipzig, 1908) p. 146.

^(٣) (Text) p. 173 (Tr.).

^(٤) سورة النحل : ٦ - ٩

الله من مال وراحة بال فتوفرت له السبل لكي يترك نفسه لسجيتها من التكبر والتأمل . واعتاد محمد أن يذهب إلى غير بأعلى جبل حراء ^(١) - على فرسخين من شمال مكة - معتمداً في التأمل والاستلهام . وفيها هو قائم يوماً في هذا القار ^(٢) . سمع صوتاً يصره قائلاً : « اقرأ باسم ربك الذي خلق » الخ . (سورة الطلق) فكان هذا أول الوحي وبدء الرسالة (وعرفت ليلة ذلك اليوم من بعد ليلة القدر ^(٣) وعينت في أمه ليلة السابع والعشرين من رمضان ١٠٦٠ هـ) .

ومرت به فترة من الزمن ثم سمع صوتاً يناديه للمرة الثانية فرجع محمد وقلبه يضطرب خوفاً حتى دخل على خديجة وهو يقول « زملوني » فزملته وهو يرند كأن به الحى فبرئت « يا أيها الندثر قد فأنذر » الخ ^(٤) (سورة الندثر) وكانت السموات التي سمعها التي تختلف عليه وتشكل ومنها ما ينأتي أحياناً مثل « صلصلة الاجراس » ^(٥) إلى أن جاءت الصور الدنية فذا الصوت واحد واضح وإذا بتحمد يتحقق أن هذا الصوت هو صوت جبريل .

دعي محمد إلى نادية رسالة الله كما دعي أنبياء الله السابقون . وتتلخص دعوته في أن الله واحد فرد على عظيم وهو مبدع الكون وخالق المخلوقات وإن الآخرة خير من الأولى وإن كل امرئ يوم القيامة مجزي بما عملته إن حيراً فخير وإن شراً فشر وإن الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم جنات النعيم .

إلا أن قوم محمد اعترضوا عنه . وكانوا إذا جلسوا وجرى ذكره على لسانهم لم ينر أكثر من ابتسامات المرء والاستغفاف . واضحي محمد نذيراً (سورة الملك . الآية ٢٦ : الذاريات ٥٠ ، ٥١) بقي في أفئدتهم الخشية ويردد الآيات في وصف يوم الدين ، يوم تجزي كل نفس بما كسبت ، ولا يجزي والد عن ولده ولا مولود

(١) انظر ابراهيم رفعت ، مائة الحرمين (القاهرة ١٩٢٥) ج ١ ص ٥٦ - ٦٠ .

(٢) البخاري ، صحيح ج ١ ص ٣ .

(٣) سورة القدر ١ .

(٤) سورة الندثر ١ : الخ .

(٥) البخاري ج ١ ص ٣ .

هو جازع والد شيتا . وجاءت الآيات في وصف جهنم النار وتصور آلام المذنبين فيها وسعادة الصالحين في فردوس النعيم .

وايكن القوم أمعنوا في ضلالهم واسرفوا في الاساءة اليه الا زوجته خديجة ، وكانت قد تأثرت بتعاليم ابن عمها ورقة ابن نوفل وهو خفيف ^(١) فكانت اول امرأة اسلمت ثم تلاها علي ابن ابي طالب ابن عم الرسول وابو بكر فهذا اول من اسلم من الرجال . اما ابو سفيان زعيم بني امية وهم اشرف قريش فقل على خصومته للنبي . وسئل بنو امية فيما لو تبيع هذا الرجل ان يؤمن بهم اهل مكة ويصرفهم عن عبادتهم فمذا يؤول اليه نخوة قريش ؟ ومذا يكون مقدم معبوداتهم الكعبة ومكة مذبة الحج واليه تشد الرحل من اهل الجزيرة ؟

ازداد الاسلام انتشارا بين العبد والمستضعفين حتى صارت قريش ذرة محمد واصحابه ورأت ان الاستخفاف به لا يحل في قوت على سلاح الله فعلا من ذلك فانصرفت الى الاذى والسعي الى صرف المسلمين عن دينهم بامذاب والتضييع ، ففتح محمد لأبياته انت يذهبوا الى ارض الحنة فحرقوا في هجرين . كانوا في الاولى احدى عشرة اسرة مكية ثم لحقت بهم في سنة ٦١٥ ثلاث وثلاثون اسرة اخرى وفي مقدمتها اسرة عثمان ابن عفان . ووجد المسلمون في جوار النجاشي الصراخ انت ودعة . وجلت قريش لخردهم اليها وعهد ان سلم النجاشي عن امرهم قل : « ان هذا والذي جاء به موسى يخرج من مشكاة واحدة . فوالله لا اسلمهم الى ابدي الاضطهاد » ^(٢) وحده محمد الاضطهاد وخسران المصيرين الموقت بلا خوف ولا وجل واستمر يعلم الناس ويعظمهم ويسعى الى جذبهم الى الاسلام عن سبيل العقل والاقناع ليتركوا عبادة الآفة ويقيموا الايمان به واحد حتى هو الله . وكانت الآيات تنزل عليه وهم ان يرى قومه كتب كاذبي بابدي اليهود والنصارى .

وما لبث الأمر بعمر ابن الخطاب وهو من اشد قريش وقعة في المسلمين ، حتى

(١) قال ابن هشام من ١٢٩ + ١٢٣

(٢) المصدر نفسه من ٢١٦ - ٢٢٢ وقال ابن سعد ج ١ ق ١ من ١٣٦ - ١٣٩

قصد الى محمد فأعلن اسلامه فوجد الاسلام فيه منعة وقبض لعمر أن يلعب دوراً هاماً في تأسيس الدولة الإسلامية الفتية كما سترى بعد . وقبل الهجرة بثلاث سنوات توفيت خديجة زوجة الرسول وتوفي ابو طالب عمه الذي كانت على شتمه من قبول الاسلام خير ملاذ لمحمد من خصومه . وفي هذه الفترة كان الاسراء^(١) والمعراج . وكان محمد ليلة الاسراء في بيت ابنة عمه هند ابنة ابي طالب وكنيتها ام هاني . فما صلى الصبح قال : « يا ام هاني ، لقد حصلت معكم العشاء الآخرة ثم جئت بيت المقدس فصليت فيه » . هذا هو الاسراء . ثم حنته دابة عجبية هي البراق فما وجه المرأة واجنحة النسر وذهب الطاووس الى السماء السابعة . هذا هو المعراج . وكانت المحطة في هذه الرحلة صخرة يعقوب في بيت المقدس ومن هنا أصبحت مدينة القدس المقدسة عند اليهود والنصارى جميعاً حرماً عند المسلمين ايضاً .

واعتبرت وما زالت تعتبر الحرم الثالث بعد مكة والمدينة في نظر العالم الاسلامي . واخذت كتب السيرة والتفسير الاسراء والمعراج ووقفت عندهما طويلاً ليرة تطلب في هذه الحادثة معجزة رائعة واخرى تنصرف الى تصويرها والاستغراق في وصف ما رواه محمد في اسراءه^(٢) . وما زالت حقائق التصوف في ايران وتركيا تقيم طقوس الاسراء وزناً كبيراً . ويعتقد علماء السني^(٣) ان الاسراء والمعراج مصدر « الرواية الالهية » التي وضعها الله لاجلنا ذاتي . وقد يدل على ان ذكرى الاسراء لا تزال حية وذات اثر في الاسلام تلك الاضطرابات الخطيرة التي وقعت في آب من سنة ١٩٢٩ في فلسطين بشأن حائط المبكى في بيت المقدس وهو الذي يعتبره المسلمون الصخرة التي ربط اليها محمد البراق^(٤) قبل هجرته الى السماء .

(١) سورة الاسراء : ١-١٠ البشاري ج ٢ ص ١٥٦ ، ١٥٣٠ القوي ، ص ١٨٩ (١٣١٨) ج ٢ ص ١٦٩-١٧٢ الخطيب ، مشكاة المصابيح ، (سات يفرير ١٨٩٨) ج ٢ ص ١٦٥-١٦٦ (٢) هيكلي ص ١٥٧-١٥٨

(٣) Miguel Asín , *Islam and the Divine Comedy*, tr. H. Sunderland (London, 1926) (٤) من يرى عند الحاجة ويرى بوضوح ان لغة براق مستلزمة من اليهودية : ابره : حسان ، وكلمة Histoire de Religion, (Paris, 1899) vol. iv. ويطلق الاسم اليوم على حائط المبكى .

وفي سنة ٦٢٠ ميلادية قدم سوق عكاظ غر من يثرب معظمهم من بني الخزرج
فعرض عليهم محمد الاسلام فطابت نفوسهم بما سمعوا . ولم يطل بمحمد الانتظار حتى
بدت له في الافق تبشير الفوز آتية من ناحية يثرب . ففي سنة ٦٢٢ وفد منها اليه
وفد من خة وسبعين شخصاً بينهم امرأتان فيأيموه واحتكموا اليه في الخلاف
القائـم بين الأوس والخزرج ودعوه الى اتخاذ يثرب (المدينة) سكناً . ولجوار
اليهود والعرب في يثرب أمر أبعد من هذا النزاع على الزعامة . فاليهود يحسبون
انفسهم شعب الله المختار ويتربصون بظهور المسيح . فشأ عن اتصالهم بالعرب في يثرب
ان الأوس والخزرج اصبحوا اكثر استعداداً من غيرهم من وثني العرب لاستماع
الحديث في الشؤون الروحية وثوق زعيم ديني . واشتدت اساءة قريش لمحمد فخرج
الى الطائف يطلب النصرة والتمتع باهلها من قومه ويرجو اسلامها ولكنه عاد خائباً .
فأمر بعد رجوعه مشين من اصحابه ان يلحقوا باخوانهم الانصار بـيثرب وهي مـقط
رأس امه على ان يبارحوا مكة متزفين حتى لا يشردوا نائرة قريش عليهم . اما
الرسول فشنخـص الى يثرب فوصلها في ٢٥ ايلول سنة ٦٢٢ . فلم تكن الهجرة اذن
فراراً فجائياً بل خطة مدبرة استغرقت سنتين . واصبحت السنة الهجرية التي هاجر
فيها الرسول الى يثرب (ابتداء من ١٦ تموز) اول العهد الاسلامي ^(١) وذلك امر
اقـره الخليفة عمر بعد وقوع الهجرة بسبع عشرة سنة .

وجاءت الهجرة فاتحة دور جديد من ادوار حياة النبي فهي آخر الحقبة المكية
واول الحقبة المدنية . هجر محمد بلده التي نشأ فيها مهاناً حرجواً وقدم يثرب زعيماً
مكرماً وهنا أخذ يصرف عنايته الى الوصول بـيثرب الى وحدة سياسية نظامية وأخذ
يلتفت الى امور السياسة وما تقتضيه من توحيد صفوف المسلمين .

اتهم الانصار (وهو الاسم الذي عرف به اذ ذاك مسلمو المدينة) فرصة الاشهر
الحرم وهم بحاجة الى ان يملوا المهاجرين بين ظهرانهم فاعترضوا قافلة تجارية لقريش

كانت عائلة من رحلتها إلى الشام في الصيف وبهذا وجهوا ضربتهم إلى اعظم نقطة حيوية في حياة مكة العاصمة التجارية وهددوا خط التجارة الساحلي بين مكة والشام . وكان ابو سفيان نفسه يرأس قافلة قريش فتصل به خروج محمد لاعتراضها فغاف عافية الامر فارسل رجلاً مسرعاً إلى مكة يستنفر قريشاً . فاطلق قوم من محكة لينصروا ملهم واخوانهم . والتقى الجيشان في بدر وهي على بعد عشرين ميلاً إلى الجنوب الغربي من المدينة وكان ذلك في رمضان من سنة ٦٢٤ . وبفضل النبي وقيادته التي توحى الحاسة والشجاعة استطاع ثلاث سنة من المسلمين ان يطلبوا الفأ من اهل مكة . وغزوة بدر هذه وإن لم تكن بنفسها إلا وقعة حربية بسيطة ^(١) فإم قد غدت مقدمة لانتشار سلطان النبي الزمني وبأداة لوحدة الجزيرة . وهي اول انتصارات الاسلام الحاسمة . وجاء الوحي « وقد نصرَكَ اللهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتَ أَهْلُهَا فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُشْكُرُونَ » - (سورة آل عمران . الآية ١٦٩) « واعصوا أَمْرًا غَضُمَ مِنْهُ » فان لله حقه والرسول وللهي القرمس واليتامى والاكين وابن السبيل « الخ . (سورة الانفال . الآية ٤٤ - ٣) . وقد اعتبر هذا النصر معجزة ومضيداً من الله لهذا الدين الجديد ^(٢) . وظلت روح النظام والانس والازدراء الثوت التي تجلت في هذه المعركة الاولى في الاسلام ملازمة له في معاركه الكبرى ابان عصر الفتوحات . ولم يصبر قريش على غار بدر بل جمعت جموعاً برئاسة ابى سفيان وبازلت المسلمين (٦٢٥) في أحد ^(٣) ودلرت الدائرة على المسلمين واصابت الحجارة التي قذفتها قريش النبي فوق راسه وشج وجهه . الا ان فوز قريش لم يدم فها لبثت الاسلام ان استرجع قواه ونحوه من دور الدوخ الى دور الهجوم . ولم يبق شيء يحول دون

(١) انظر المواقعة (التومس ١٠٧ - ١٠٨) اكثر من ثمة « كتاب المغازي » ص ١١ - ٢٥ . انظر واقعة بدر وطاهما .

(٢) القرآن ٣ : ١٦٩ : ٥٠ - ٥٩ : ٣ .

(٣) اجل صغير في ظاهري المدينة .

انتشاره. وامتداده . وقد كان الاسلام الى ذلك الوقت عبدة عن دين في دولة ، اما في المدينة بعد بدر فقد أصبح اكثر من دين دولة ، انه أصبح الدولة نفسها . ومن هناك منذ ذلك الوقت خرج الى العالم قوة حربية سياسية .

واقبلت سنة ٦٢٧ فإذا الأحزاب وهي تتألف من السكينة واعوانهم من البدو ومرزقة الاحباش قد عسكرت بمقرعة من السنين تريد اقتحام مواطنهم وخرجت الوثنية لحرب الله . فعمل محمد بنصيحة سعد بن القناري ^(١) . وكان هذا فيما يقال قد اشار عليه بغير خندق ^(٢) حول المدينة . وايقنت قريش ومن معها انها مقبلة امام يارب وحندق طويلاً دون ان تستطيع اقتحامها واسقط في يد شراف البدو التي لم تكن تتوقع نوعاً كهذا من الدفاع المحيول واعتبرت الاحتماء وراء الخندق حيناً لا عهد للحرب به . فسحب الأحزاب وعدوا انداحهم من بعد حصار شهر . وكانت قتل الطرفين لا تعدى العشرين غصاً . وعاد محمد بعد رحيل الأحزاب فعمل على اليهود يريد الاختصاص منهم فعدوهم للأحزاب يوم كانوا على ابواب المدينة ومؤازرتهم في القتال بالسيفين . فعرض عليهم ان يسلموا فقاموا على دماهم واموالهم وابنائهم فابى بنو قريظة وهم في مقدمة قبائل اليهود فحكم الرسول بقتلهم فصرحت اعتناق ست مئة مقاتل منهم واحلوا القبول عن مساكنهم . واقسم المهاجرون اموالهم واحلوا ما لهم من جذور النخيل ^(٣) . وكانت بنو قريظة اول خصوم الاسلام الذين خيروا بين الاسلام او الموت . وكان النبي في السنة الثالثة قد امر بني النضير ^(٤) وهم قبيلة من يهود المدينة ايضاً بالخلاء . اما يهود حبيز فخرجهم من واحتبسوا الغنصية في الشمال من المدينة سنة ٦٢٩ (٥٧) .

وفي هذا العهد الذي تم تنظيم الاسلام وحدة عربية قومية . وقطع النبي الجديد

١ | Josef Horowitz, *Der Islam*, vol. III (1922), pp. 178-83.

٢ | اعطى خندق لبرية مأخوذة من كمدك لبيغوية الفارسية من طريق الأكرامية .

٣ | سورة الأحزاب : ٢٦-٢٧

٤ | البلاذري ص ١٧-١٨ . الواقدي ص ٣٠٣-٣٠٤

ملكه باليهودية والبشرانية . وأعين يوم الجمعة للصلاة الجامعة واعتيمس بالأذانت عن
النفخ باليقوق وقزع الأجراس وجعل رمضان شهراً للصوم وحولت القبلة من بيت
المقدس الى مكة وأقر الحج الى الكعبة ولم الحجر الأسود فيها وهما من فروع
الدين المزعبة في الجاهلية .

وفي سنة ٦٢٨ سار محمد بصحبة ألف واربعة مئة من المؤمنين الى مكة مسقط
رأسه فجرت بينه وبين قريش معارضة انتهت بتوقيع صلح الحديبية الذي وضع
المسلمين على قدم المساواة مع المشركين ^(١) . وقد انتهى هذا الصلح بالتفعل ما كان
بين محمد وبين قومه قريش من حرب . وكان بين الدين دخلوا في الاسلام اذذاك
حمزة ابن المولى وعمر بن الخطاب الذي قدرهما في بعد ان يرفعوا لواء الاسلام عالياً
ويجعلوا سبغه ظاهراً الى شتى البلدان . وتم فتح مكة بعد انقضاء ستين على صلح
الحديبية (في اواخر كانون الثاني سنة ٦٣٠ هـ) فدخل محمد الكعبة وامر باصنامها
فحطمت وطهر البيت الحرام منه وكان عددها على ما قيل يبلغ ثلاث مئة وستين .
وجعل محمد يشير الى هذه الاصنام بقصيب في يده وهو يقول : « وقل جاء الحق
وزهد الباطل ان الباطل كان زهوقاً » ^(٢) . وامكنه الله من قريش التي كانت
تأتمر عليه . الا ان محمداً قد فهم ^(٣) . وقد شهد في التاريخ القديم مثالا للعفو
عند القدوة مدلل هذا المثال .

والراجح ان محمداً في هذه سنة ^(٤) في السجدة الحرام في الكعبة وما يحيط
بها من ارض حرام لا يجوز مشركين ان يقيموا . وبرزت الآية ٢٨ من سورة
التوبة : « يا ايها الذين آمنوا لا تشركوا من عند الله بغير ما حرم الله الحرام بعد
ما جاء من عند الله وان خلفتم عتبة قوم غيبكم الله عن فضله ان شاء الله عليه حكى »

(١) البخاري ص ٦٣٠

(٢) البخاري ص ٦٠ وكتاب سورة الاسراء ص ١٣

(٣) الواقدي ص ١٦٦

(٤) ابن سعد ج ٢ قسم ١ ص ١٠٠ وكتاب البخاري ج ١ ص ٣٨٤

فأشجع القسرون منها طريقاً لقول في أن الله قد حرّم على غير المسلمين الاقتراب منها .
والظاهر أن المراد من هذه الآية هو منع عبدة الأوثان من الحج إلى الكعبة في
موسم الحج . على أن قول القسرين لا يزال مرجعاً إلى يومنا هذا ^(١) . ولا يريد
عدد النصارى الأوربيين الذين افلخوا في الوصول إلى الحرمين الشريفين ونجوا
بأنفسهم على الخطة عشر رجلاً أوهم لودفيكو دي فارتما من اهالي بولونية ^(٢) . في
سنة ١٥٠٣ وآخرهم اللدن رتر الانكليزي ^(٣) . أما أكثرهم فضلاً على العلم فهو
بلا ريب السر رنمرد برتن ^(٤) (١٨٥٣) .

واقام محمد في السنة التاسعة للهجرة حامية في تيولك على حدود غسان . وقد لم يلق
كيداً صالح صاحب آيلة (القبة) وهو نصراني كما انه صالح قبائل اليهود النقيصين
في واحات أذراع ومقنا والجرباء ^(٥) إلى الجنوب . واقام محمد عند الحدود بتحدى
من شاء أن ينازله أو يقاومه . فاقبل النصارى بمحاطوته فاططوه الجزية فكثب لهم
رسول الله كتب أمن واحاطهم بكل صنوف الرعاية . وكانت الجزية تشل الخراج
والضريبة فاصبحت هذه الجزية ساقطاً لها شأن جيد في تطورات السياسة الاسلامية
من بعد .

ونسى السنة التاسعة (٦٣٠ - ٣١) سنة الوفود . لأن الوفود كانت فيها ترد
تتري إلى المدينة لتنضم إلى الدين الجديد وتضمن الطاعة للنبي الامير . ودخلت كثير

(١) محمد لبيب البغدادي ، الرحلة المغاربية ، (القاهرة ، ١٩٢٩) ص ١٧ و ١٨ : « ترى الآن أهل
الحرمين انفسهم يأتون في مرافقة الأجاب الذين يفتون في بلادهم ولا يفتون جنة ونعيم وسماء جوداً ومحنة
الملايكة أحد من الأجاب بالرة وان فعل فاهو الامور خطيئة له حنة من أهل البلاد . »
(٢) انصم لودفيكو إلى جامعة الميلاج في دمشق وهو حنكري يري محاذيك مصر ، ووقف رحلته إلى الحجاز
في كتاب بالاطالية (سنة ١٥١٠) نقل إلى سواح من لغات اوروبا وبعض اقراء بعض الاوربيين النالغ في
اقتدار الغرب آخذ والفائل ان جسم محمد بعد وفاته من سنة في قضاء فوق مكة . انظر *The Travels of*
Endowien de Varthema in Egypt, Syria, Arabia Deserta and Arabia Felix, tr. J. W.
Jones (Hakluyt Society, vol. xxxii, London, 1893), pp. 25 seq.

(٣) Butler, *The Holy cities of Arabia*, 2 vols (London, 1928) (٤)
Burton, *Personal Narrative of a Pilgrimage to el Medinah and Meccah*, 3 vols. (٤)

(٥) البلاغري ص ٥٩ ومايلي .

من القبائل في الدين الجديد اذعاناً لتقتضيت الظروف ان لم يكن عن عقيدة وإيمان . ولم يكن الاسلام يطالب المنصورين فيه الا بالشهادة الشفوية وتأدية الزكاة . ويستدل على كثرة الداخلين في الاسلام من البدو بقول يعزى الى عمر : « البدو مائة الاسلام » . وكانت القبائل والانحاء التي لم ترسل ممثلها قبلاً تسرع الآن في ارسال وفودها من اقاصي عمان وحضرموت واليمن وبينهم ممثلو طي . وعمدان وكثيرة على قول الروايات . واقبل عدد من القبائل التي لم تكن قد اذعن لرجل واحد من قبل تقدم الطاعة لمحمد ونظن له الاسلام .

وفي السنة العاشرة للهجرة دخل محمد غلاماً على رأس موكب الحج السنوي الى مكة عاصمة الديانة الجديدة . وكانت هذه آخر مرة يخرج فيها النبي فميت « حجة الوداع »^(١) . وسد ثلاثة اشهر مرض النبي عجة فمات وهو يشكو من صداع شديد وذلك في الثامن من حزيران سنة ٦٣٢ .

وفي الدور المدني ازلت سور القرآن الطويلة وهي على العموم غزيرة المائدة وقد ورد الكثير منها في اسلوب جدي او شريحي . ويلاحظ في هذه السور تنظيم امور الصوم والزكاة والصلاة وقوانين اجتماعية وسياسية وترتيب مسائل الزواج والطلاق ومعاملة الصيد واسرى الحرب والاعلاء . وقد اوصى القرآن خيراً وبرا بالعبد والقيم والمكئين وابن السبيل واليتامى . قوله يجد الله الرسول بيتاً مدمماً فأواه ؟ « فاما اليتيم فلا تقهر واما السائل فلا تنهر »^(٢) .

ولم ينس محمد وهو في ذروة انجاء قومه وخول ذكره بل بقي زاهداً في الطعام واللباس يسكن بيتاً من الطين كما كثير المنازل الخفية في الجزيرة وفي الشام اليوم ، بضع غرف حول بهو يند الداخل اليها منه . وكثيراً ما كان يرى يصلح ملابسه بيديه ويترك اهل مكة في حياتهم العامة . وكان عند محمد اول ما اشد

(١) الراغبى ص ٣٩ .

(٢) سورة البقرة : ١٧٧ ، ١٧٨ ، سورة النور : ٢٠ ، سورة النور : ٦٠ ، سورة النور : ٢٣ .

سورة النور : ٩ . ولابل . (Robert Roberts, The Social Laws of the Quran (London, 1925) .

المرض به سبعة دنانير تصدق بها جميعاً على فقراء المسلمين . وتعد تزوج النبي من نحو اثنتي عشرة امرأة منهن من تزوج منها لدافع الخب ومنهن من كان زواجه منها لغرض سياسي أو اجتماعي . وولدت له خديجة عدداً من البنين والبنات فمات البنون ولم يعيش معه من البنات إلا فاطمة زوج علي . وحزن موت ابنته في نفسه ولكنه تمرى حين ولد له من مارية القبطية ولد اسمه إبراهيم . ولم يعيش إبراهيم طويلاً فمرض ومات وحزن النبي عليه حزناً مبروراً . وترك أعمال محمد اليومية وسلوكه في الأمور الخطيرة والدقيقة أهدأ الأثر في النفوس بحيث أصبحت قدوة يقتدي بها الملايين إلى يومنا الحاضر . ولم يحدث أن انتخب شخص واحد عند أي طائفة من طوائف الجنس البشري أمثال الكمال للاستبانت فقدت أفعاله بمشبه الدقة كما حدث محمد .^(١)

ومن هذا المجتمع الذي في المدينة نشأت فيما بعد دولة الإسلام وبني الدين أس اجتماعياً كما كان المهاجرين والأنصار . وهذه أول محاولة في تاريخ الجزيرة لتطهير الجماعة العربية نظماً غير مأخوذ من قبل فوّه على أسس الدين لا أساس الدم كما كان في الماضي ومرتبطة بالله الواحد الفرد مثال الوحدة السياسية . وكان الرسول ماداه على قيد الحياة هو المنفذ لأوامر الله والمرجع الأخير في شؤون الأمة المدينة . وعلى هذا كان محمد علاوة على مذهبه الروحي يدرس السئلة الزمنية بمسها التي يمكن أن يمارسها رئيس الدولة ومن هنا أصبح جميع أفراد الجماعة الإسلامية تقطع النظر عن زعمهم القبيلة وولائهم القديم أحوالاً في المدينة واعطاء في أخوة واحدة يجمعهم حب الله وانخضوع يسونه . وهذه كلمات الرسول في خطبته الجامعة في حجة الوداع : « ايها الناس اسمعوا قولي واعتقلوه ! نعمن ان كل مسلم أخ لمسلم وان المسلمين اخوة فلا يعمل لأمر من أخيه الا ما اعطاه عن طيب نفس منه » .^(٢)

وهكذا فقد قضى الاسلام دفعة واحدة على قرابة الدم وهي الوثق صلة تربط بين

(١) D. G. Hogarth, Arabia (Oxford, 1922), p. 52 (١)

(٢) ابن هشام ص ٩٦٩ وقيل الواقدي ص ٤٠٣

القبائل واستعاض عنها بقرابة جديدة هي قرابة الايمان بحيث نشأ شبه جامعة اسلامية
 لبلاد العرب . ولم يكن لهذا المجتمع الجديد كهوت او زعامة دينية ذات رتب او
 بلاط مركزي للدين كالمجلس البائري في النصارى . وكان المسجد في هذا المجتمع
 قيمة خاصة فهو بمثابة دار الندوة وساحة التدريب العسكري كما انه كان مكان التقرب
 والعبادة . وكان الامام في الصلاة هو ايضا الامير الاكبر جيش المؤمنين الذين كانت
 تجمع بينهم روابط قوية متآزرين كدفع عن انفسهم متحدين ضد العالم اجمعين . اما
 العرب الذين طلبوا على ونبتهم فهم اخراج الجماعة الروحية في نظر الامة . ومحا
 الاسلام ما قبله فأنقر واليسر - وهم من بعد الله اعز . كان يتوق اليه العرب
 - حرمهم في آفة واحدة ^(١) . وسد الفناء وهو ايضا ما تستطيع نفس العربي .
 وبسبب الاختلاف بين العهد الجاهلي والعهد الاسلامي في كليات نسبا لرواة الى
 جعفر ابن أبي طالب قتل كاهن الجدي . واهل هذا المهاجرين وساقم في
 جميع قتل جعفر :

ثم انك قد قويت اهل حنفية بعد الامانة وما كل ائمة ^(٢) ونائي
 الفواحي ونفع الارحام وسي الجوار وما كل القوي من الضعيف فكذلك في ذلك
 حتى مثل الله اليك رسولا من عرف به وصدقته وامانه وعظمته فدعا الى الله
 ليوحدوه ومبده وأجمع ما كان بعد عن وآباء من دونه الخيرة والاولاد . وأمرنا
 بصدق الحديث واداء الامانة وصلة الرحم وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء
 ونهانا عن الفواحي وقول الزور واكل مال اليتيم وقذف المحصنات وأمرنا أن نعبد
 الله لا نشارك به شيئا وأمرنا بالصلاة والزكاة والحج ^(٣) ... فصدقناه وأما به
 واجتنبوا ^(٤) ...

١١ سورة النعمة : ٥٠

١٢ لسان سورة الفرقة : ١٦٨

١٣ التوامن ان فريضة حواء محمد حتى انقل الرسول الى مكة في حجة اعجرة الى الحبشة بزمان طويل

سورة الفرقة : ١٧٩ ، ١٨٣

١٤ ابن هشام ص ٢٩٩

ومن المدينة امتدت اصول الحكم الاسلامي الى كل نواحي الجزيرة وانتشرت
من بعد في معظم اقطار آسية الغربية وافريقية الشمالية . وكانت الجامعة المدنية اذاً
مثالاً مصغراً لما وصلت اليه الدول الاسلامية بعدئذ من اتساع الرقعة وترامي الامتصار .
ولقد استطاع محمد في سبعة عمره وهو غير طويل ان يهيء الوسائل لشؤون أمة
فتية لم تكن قد نهضت من قبل تتألف من قبائل تأتي الاتحاد في بلاد كانت
حتى ذلك الوقت « نعيماً جغرافياً » قليلة الشأن ، وأن يؤسس ديناً دحر النصرانية
واليهودية في الشرق الادنى وحل محلها وهو لا يزال دين جوي - كبير من الجنس
البشري . واستطاع فوق ذلك ان يضع حجر الاساس لامبراطورية ما لبثت ان
حوت بين اطرافها المثرية اهل مقاطعات العالم انشدن في ذلك العصر . وكانت
محمد امياً ^(١) ومع ذلك قد اقول على يديه كتاب لا يزال ثمن سكان العالم
يعبونه آية العلم والحكمة والدين .

(١) ان لفظة « امي » في القرآن (آل عمران : ١٦) تطلق في رأي اهل السنة على من لا يقرأ أو يكتب
إلا أن الطبري - تفسير : ج ٣ ص ١٤٣ يقول ان الاميين هم الذين لا يكتبون من مشركي العرب .
والنقادة من العلماء يرون ان لفظة امي في القرآن (سورة الاحزاب : ١٥٦ : آل عمران : ٦٨ - ١٩ : الجمعة : ٤)
تريز الى غير اهل الكتاب ويجب ان تحصر بمعنى الذي لا يقرأ الاسفار المقدسة بما عند اليهود والنصارى .

الفصل التاسع

القرآن كتاب الله

في السنة التي تلت وفاة النبي عهد أبو بكر، فيما تذهب إليه الضاليد الإسلامية، إلى زيد بن ثابت كاتب النبي أن يجمع أجزاء القرآن المنبثقة من المخطوطات المختلفة. ويقال إن عمر هو الذي أشار بذلك على أبي بكر لما لاحظ أن القتل قد استحر في القرآن (حفظ القرآن) في حروب الردة وخشي على القرآن من الغناء. وقد تم جمع المصحف الكريم من قطع المسب (جمع عيب وهو جريدة النخل) والواجب للخط (هجارة بين رفاق) ومن صدور الرجال^(١) فجاءت هذه القطعات وعورض بعضها ببعض ثم انت الت النص القرآني. وفي خلافة عثمان (٦٤٤-٥٦) راجت قراءات شتى في التداول من مخطوطات القرآن المكتوبة بالخط الكوفي فاشدب الخليفة في سنة ٦٥١ لجنة للمراجعة رئيسها زيد بن ثابت نفسه أيضاً. وصككت نسخة إلى بكر إذ ذاك في حيازة حفصة بنت عمر - إحدى زوجات النبي - فحفظت وعول عليها فصارت أساساً لمصحف عثمان هذا. ثم حفظت المخطوطة الأصلية من صورة المصحف الجديد في المدينة^(٢) بعد أن كتب ثلاث نسخ منها. ثم ما إلى جيوش الإسلام المراقبة في دمشق والبصرة والكوفة وأمر بكل نسخ القرآن الأخرى أن تباد.

أما في رأي المحدث فإن المصحف الذي كتبه زيد بن ثابت لأبي بكر

(١) الخطيب، مشكاة، ج ١، ص ٢٤٣.

(٢) يقال إن ولاية الأمر انتزعت لعمومهم نسخة هدية إلى الامبراطور وإبراهيم الثاني. انظر معاهدة فرساي.

المصنف الخامس، كتاب الثاني، مادة ٢٥٦.

الصدوق كان مصححاً خاصاً لا رسمياً . وإن عثمان وجد بضعة مصاحف في الجزيرة
وسورية والعراق بليت فيها قراءات مختلفة . فأخذ مصحف المدينة وجعل كتابته
مصحفاً رسمياً وأمر بإحراق ما عداها من صحف ومصاحف . وأخيراً ثبت النص
القرآني على يد الوزير ابن مقلة وابن عيسى في سنة ٩٣٣/٣٢٢ بمساعدة العلامة
ابن مجاهد الذي أجاز قراءات سعد كانت قد نشأت غلو مصحف عثمان من النقط
والشكل . وقد اتفق دارسو القرآن من شدة الط الخديث على صحة الرواية في
نسخه المتدولة اليوم وإن هذه النسخ تكاد أن تكون مطابقة للأصل الذي اقروا زيد
وإن نص القرآن المعروف اليوم هو كما نزل على نبي محمد ^(١) .

والقرآن عند المسلمين كلمة الله التي أملاه جبريل على محمد من كتب مكنون في لوح
مخروط في السماء السابعة (سورة الزحرف الآية ٣ ، الواقعة : ٩٧٦ ، البروج : ٢١١-٢١٢) ^(٢) .
وإن معنى السور فقط هو الذي أوحى به من الله إلى كل كلمة وكل حرف .
ومن هنا "قرآن" بعد أن نسوي قرأه سطحاً حراً . نظام القول والفكر .
فالسور السكية وهي نحو تسعين راحة مهد الخلد في حيد الذي وتنفذ باباً فمضرة
حادة حربية ذات أسود . بري معينة تأتي السورة والصور السكية حول
وحداية الله ومنه وواحداً الأسن لاثية وما ينظره من ثواب وعقب .
إن السور السكية فرع وتتمرون (نحو السور السكية) وقد انزلت في الدور
التي انتصر فيه النبي . وهي طوية منصفة غنية بأفدة الشريعة . فيها وردت
العقائد والسنن لأنظمة الصلاة والصوم والحج والامر بالمعروف والنهي عن المنكر
والمحرمات والميسر واحكام انتظم لها والحرب وتطبيق على شؤون الزكاة والجهد ،
ونسوان مزية وجدانية تعلق بقتل والتحرر والسرقة ولربا والزواج والطلاق والزنى
والنكاح وتحرير العبيد . ومعظم هذا التشرع ورد في سورة البقرة وسورة النساء

Arthur Jeffery, *Miscellanea for the History of the Text of the Koran* (London, 1937), pp. 1-10; Hartwig Hirschfeld, *New Researches into the Composition and Exegesis of the Koran* (London, 1902), pp. 178 seq.

١/راجع تيساوي ، ص ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٢ ، ١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٨٥ ، ١٨٦ ، ١٨٧ ، ١٨٨ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ، ١٩١ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ، ١٩٥ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ، ١٩٨ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٢٨١ ، ٢٨٢ ، ٢٨٣ ، ٢٨٤ ، ٢٨٥ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٢٩٣ ، ٢٩٤ ، ٢٩٥ ، ٢٩٦ ، ٢٩٧ ، ٢٩٨ ، ٢٩٩ ، ٣٠٠ ، ٣٠١ ، ٣٠٢ ، ٣٠٣ ، ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧ ، ٣٠٨ ، ٣٠٩ ، ٣١٠ ، ٣١١ ، ٣١٢ ، ٣١٣ ، ٣١٤ ، ٣١٥ ، ٣١٦ ، ٣١٧ ، ٣١٨ ، ٣١٩ ، ٣٢٠ ، ٣٢١ ، ٣٢٢ ، ٣٢٣ ، ٣٢٤ ، ٣٢٥ ، ٣٢٦ ، ٣٢٧ ، ٣٢٨ ، ٣٢٩ ، ٣٣٠ ، ٣٣١ ، ٣٣٢ ، ٣٣٣ ، ٣٣٤ ، ٣٣٥ ، ٣٣٦ ، ٣٣٧ ، ٣٣٨ ، ٣٣٩ ، ٣٤٠ ، ٣٤١ ، ٣٤٢ ، ٣٤٣ ، ٣٤٤ ، ٣٤٥ ، ٣٤٦ ، ٣٤٧ ، ٣٤٨ ، ٣٤٩ ، ٣٥٠ ، ٣٥١ ، ٣٥٢ ، ٣٥٣ ، ٣٥٤ ، ٣٥٥ ، ٣٥٦ ، ٣٥٧ ، ٣٥٨ ، ٣٥٩ ، ٣٦٠ ، ٣٦١ ، ٣٦٢ ، ٣٦٣ ، ٣٦٤ ، ٣٦٥ ، ٣٦٦ ، ٣٦٧ ، ٣٦٨ ، ٣٦٩ ، ٣٧٠ ، ٣٧١ ، ٣٧٢ ، ٣٧٣ ، ٣٧٤ ، ٣٧٥ ، ٣٧٦ ، ٣٧٧ ، ٣٧٨ ، ٣٧٩ ، ٣٨٠ ، ٣٨١ ، ٣٨٢ ، ٣٨٣ ، ٣٨٤ ، ٣٨٥ ، ٣٨٦ ، ٣٨٧ ، ٣٨٨ ، ٣٨٩ ، ٣٩٠ ، ٣٩١ ، ٣٩٢ ، ٣٩٣ ، ٣٩٤ ، ٣٩٥ ، ٣٩٦ ، ٣٩٧ ، ٣٩٨ ، ٣٩٩ ، ٤٠٠ ، ٤٠١ ، ٤٠٢ ، ٤٠٣ ، ٤٠٤ ، ٤٠٥ ، ٤٠٦ ، ٤٠٧ ، ٤٠٨ ، ٤٠٩ ، ٤١٠ ، ٤١١ ، ٤١٢ ، ٤١٣ ، ٤١٤ ، ٤١٥ ، ٤١٦ ، ٤١٧ ، ٤١٨ ، ٤١٩ ، ٤٢٠ ، ٤٢١ ، ٤٢٢ ، ٤٢٣ ، ٤٢٤ ، ٤٢٥ ، ٤٢٦ ، ٤٢٧ ، ٤٢٨ ، ٤٢٩ ، ٤٣٠ ، ٤٣١ ، ٤٣٢ ، ٤٣٣ ، ٤٣٤ ، ٤٣٥ ، ٤٣٦ ، ٤٣٧ ، ٤٣٨ ، ٤٣٩ ، ٤٤٠ ، ٤٤١ ، ٤٤٢ ، ٤٤٣ ، ٤٤٤ ، ٤٤٥ ، ٤٤٦ ، ٤٤٧ ، ٤٤٨ ، ٤٤٩ ، ٤٥٠ ، ٤٥١ ، ٤٥٢ ، ٤٥٣ ، ٤٥٤ ، ٤٥٥ ، ٤٥٦ ، ٤٥٧ ، ٤٥٨ ، ٤٥٩ ، ٤٦٠ ، ٤٦١ ، ٤٦٢ ، ٤٦٣ ، ٤٦٤ ، ٤٦٥ ، ٤٦٦ ، ٤٦٧ ، ٤٦٨ ، ٤٦٩ ، ٤٧٠ ، ٤٧١ ، ٤٧٢ ، ٤٧٣ ، ٤٧٤ ، ٤٧٥ ، ٤٧٦ ، ٤٧٧ ، ٤٧٨ ، ٤٧٩ ، ٤٨٠ ، ٤٨١ ، ٤٨٢ ، ٤٨٣ ، ٤٨٤ ، ٤٨٥ ، ٤٨٦ ، ٤٨٧ ، ٤٨٨ ، ٤٨٩ ، ٤٩٠ ، ٤٩١ ، ٤٩٢ ، ٤٩٣ ، ٤٩٤ ، ٤٩٥ ، ٤٩٦ ، ٤٩٧ ، ٤٩٨ ، ٤٩٩ ، ٥٠٠ ، ٥٠١ ، ٥٠٢ ، ٥٠٣ ، ٥٠٤ ، ٥٠٥ ، ٥٠٦ ، ٥٠٧ ، ٥٠٨ ، ٥٠٩ ، ٥١٠ ، ٥١١ ، ٥١٢ ، ٥١٣ ، ٥١٤ ، ٥١٥ ، ٥١٦ ، ٥١٧ ، ٥١٨ ، ٥١٩ ، ٥٢٠ ، ٥٢١ ، ٥٢٢ ، ٥٢٣ ، ٥٢٤ ، ٥٢٥ ، ٥٢٦ ، ٥٢٧ ، ٥٢٨ ، ٥٢٩ ، ٥٣٠ ، ٥٣١ ، ٥٣٢ ، ٥٣٣ ، ٥٣٤ ، ٥٣٥ ، ٥٣٦ ، ٥٣٧ ، ٥٣٨ ، ٥٣٩ ، ٥٤٠ ، ٥٤١ ، ٥٤٢ ، ٥٤٣ ، ٥٤٤ ، ٥٤٥ ، ٥٤٦ ، ٥٤٧ ، ٥٤٨ ، ٥٤٩ ، ٥٥٠ ، ٥٥١ ، ٥٥٢ ، ٥٥٣ ، ٥٥٤ ، ٥٥٥ ، ٥٥٦ ، ٥٥٧ ، ٥٥٨ ، ٥٥٩ ، ٥٦٠ ، ٥٦١ ، ٥٦٢ ، ٥٦٣ ، ٥٦٤ ، ٥٦٥ ، ٥٦٦ ، ٥٦٧ ، ٥٦٨ ، ٥٦٩ ، ٥٧٠ ، ٥٧١ ، ٥٧٢ ، ٥٧٣ ، ٥٧٤ ، ٥٧٥ ، ٥٧٦ ، ٥٧٧ ، ٥٧٨ ، ٥٧٩ ، ٥٨٠ ، ٥٨١ ، ٥٨٢ ، ٥٨٣ ، ٥٨٤ ، ٥٨٥ ، ٥٨٦ ، ٥٨٧ ، ٥٨٨ ، ٥٨٩ ، ٥٩٠ ، ٥٩١ ، ٥٩٢ ، ٥٩٣ ، ٥٩٤ ، ٥٩٥ ، ٥٩٦ ، ٥٩٧ ، ٥٩٨ ، ٥٩٩ ، ٦٠٠ ، ٦٠١ ، ٦٠٢ ، ٦٠٣ ، ٦٠٤ ، ٦٠٥ ، ٦٠٦ ، ٦٠٧ ، ٦٠٨ ، ٦٠٩ ، ٦١٠ ، ٦١١ ، ٦١٢ ، ٦١٣ ، ٦١٤ ، ٦١٥ ، ٦١٦ ، ٦١٧ ، ٦١٨ ، ٦١٩ ، ٦٢٠ ، ٦٢١ ، ٦٢٢ ، ٦٢٣ ، ٦٢٤ ، ٦٢٥ ، ٦٢٦ ، ٦٢٧ ، ٦٢٨ ، ٦٢٩ ، ٦٣٠ ، ٦٣١ ، ٦٣٢ ، ٦٣٣ ، ٦٣٤ ، ٦٣٥ ، ٦٣٦ ، ٦٣٧ ، ٦٣٨ ، ٦٣٩ ، ٦٤٠ ، ٦٤١ ، ٦٤٢ ، ٦٤٣ ، ٦٤٤ ، ٦٤٥ ، ٦٤٦ ، ٦٤٧ ، ٦٤٨ ، ٦٤٩ ، ٦٥٠ ، ٦٥١ ، ٦٥٢ ، ٦٥٣ ، ٦٥٤ ، ٦٥٥ ، ٦٥٦ ، ٦٥٧ ، ٦٥٨ ، ٦٥٩ ، ٦٦٠ ، ٦٦١ ، ٦٦٢ ، ٦٦٣ ، ٦٦٤ ، ٦٦٥ ، ٦٦٦ ، ٦٦٧ ، ٦٦٨ ، ٦٦٩ ، ٦٧٠ ، ٦٧١ ، ٦٧٢ ، ٦٧٣ ، ٦٧٤ ، ٦٧٥ ، ٦٧٦ ، ٦٧٧ ، ٦٧٨ ، ٦٧٩ ، ٦٨٠ ، ٦٨١ ، ٦٨٢ ، ٦٨٣ ، ٦٨٤ ، ٦٨٥ ، ٦٨٦ ، ٦٨٧ ، ٦٨٨ ، ٦٨٩ ، ٦٩٠ ، ٦٩١ ، ٦٩٢ ، ٦٩٣ ، ٦٩٤ ، ٦٩٥ ، ٦٩٦ ، ٦٩٧ ، ٦٩٨ ، ٦٩٩ ، ٧٠٠ ، ٧٠١ ، ٧٠٢ ، ٧٠٣ ، ٧٠٤ ، ٧٠٥ ، ٧٠٦ ، ٧٠٧ ، ٧٠٨ ، ٧٠٩ ، ٧١٠ ، ٧١١ ، ٧١٢ ، ٧١٣ ، ٧١٤ ، ٧١٥ ، ٧١٦ ، ٧١٧ ، ٧١٨ ، ٧١٩ ، ٧٢٠ ، ٧٢١ ، ٧٢٢ ، ٧٢٣ ، ٧٢٤ ، ٧٢٥ ، ٧٢٦ ، ٧٢٧ ، ٧٢٨ ، ٧٢٩ ، ٧٣٠ ، ٧٣١ ، ٧٣٢ ، ٧٣٣ ، ٧٣٤ ، ٧٣٥ ، ٧٣٦ ، ٧٣٧ ، ٧٣٨ ، ٧٣٩ ، ٧٤٠ ، ٧٤١ ، ٧٤٢ ، ٧٤٣ ، ٧٤٤ ، ٧٤٥ ، ٧٤٦ ، ٧٤٧ ، ٧٤٨ ، ٧٤٩ ، ٧٥٠ ، ٧٥١ ، ٧٥٢ ، ٧٥٣ ، ٧٥٤ ، ٧٥٥ ، ٧٥٦ ، ٧٥٧ ، ٧٥٨ ، ٧٥٩ ، ٧٦٠ ، ٧٦١ ، ٧٦٢ ، ٧٦٣ ، ٧٦٤ ، ٧٦٥ ، ٧٦٦ ، ٧٦٧ ، ٧٦٨ ، ٧٦٩ ، ٧٧٠ ، ٧٧١ ، ٧٧٢ ، ٧٧٣ ، ٧٧٤ ، ٧٧٥ ، ٧٧٦ ، ٧٧٧ ، ٧٧٨ ، ٧٧٩ ، ٧٨٠ ، ٧٨١ ، ٧٨٢ ، ٧٨٣ ، ٧٨٤ ، ٧٨٥ ، ٧٨٦ ، ٧٨٧ ، ٧٨٨ ، ٧٨٩ ، ٧٩٠ ، ٧٩١ ، ٧٩٢ ، ٧٩٣ ، ٧٩٤ ، ٧٩٥ ، ٧٩٦ ، ٧٩٧ ، ٧٩٨ ، ٧٩٩ ، ٨٠٠ ، ٨٠١ ، ٨٠٢ ، ٨٠٣ ، ٨٠٤ ، ٨٠٥ ، ٨٠٦ ، ٨٠٧ ، ٨٠٨ ، ٨٠٩ ، ٨١٠ ، ٨١١ ، ٨١٢ ، ٨١٣ ، ٨١٤ ، ٨١٥ ، ٨١٦ ، ٨١٧ ، ٨١٨ ، ٨١٩ ، ٨٢٠ ، ٨٢١ ، ٨٢٢ ، ٨٢٣ ، ٨٢٤ ، ٨٢٥ ، ٨٢٦ ، ٨٢٧ ، ٨٢٨ ، ٨٢٩ ، ٨٣٠ ، ٨٣١ ، ٨٣٢ ، ٨٣٣ ، ٨٣٤ ، ٨٣٥ ، ٨٣٦ ، ٨٣٧ ، ٨٣٨ ، ٨٣٩ ، ٨٤٠ ، ٨٤١ ، ٨٤٢ ، ٨٤٣ ، ٨٤٤ ، ٨٤٥ ، ٨٤٦ ، ٨٤٧ ، ٨٤٨ ، ٨٤٩ ، ٨٥٠ ، ٨٥١ ، ٨٥٢ ، ٨٥٣ ، ٨٥٤ ، ٨٥٥ ، ٨٥٦ ، ٨٥٧ ، ٨٥٨ ، ٨٥٩ ، ٨٦٠ ، ٨٦١ ، ٨٦٢ ، ٨٦٣ ، ٨٦٤ ، ٨٦٥ ، ٨٦٦ ، ٨٦٧ ، ٨٦٨ ، ٨٦٩ ، ٨٧٠ ، ٨٧١ ، ٨٧٢ ، ٨٧٣ ، ٨٧٤ ، ٨٧٥ ، ٨٧٦ ، ٨٧٧ ، ٨٧٨ ، ٨٧٩ ، ٨٨٠ ، ٨٨١ ، ٨٨٢ ، ٨٨٣ ، ٨٨٤ ، ٨٨٥ ، ٨٨٦ ، ٨٨٧ ، ٨٨٨ ، ٨٨٩ ، ٨٩٠ ، ٨٩١ ، ٨٩٢ ، ٨٩٣ ، ٨٩٤ ، ٨٩٥ ، ٨٩٦ ، ٨٩٧ ، ٨٩٨ ، ٨٩٩ ، ٩٠٠ ، ٩٠١ ، ٩٠٢ ، ٩٠٣ ، ٩٠٤ ، ٩٠٥ ، ٩٠٦ ، ٩٠٧ ، ٩٠٨ ، ٩٠٩ ، ٩١٠ ، ٩١١ ، ٩١٢ ، ٩١٣ ، ٩١٤ ، ٩١٥ ، ٩١٦ ، ٩١٧ ، ٩١٨ ، ٩١٩ ، ٩٢٠ ، ٩٢١ ، ٩٢٢ ، ٩٢٣ ، ٩٢٤ ، ٩٢٥ ، ٩٢٦ ، ٩٢٧ ، ٩٢٨ ، ٩٢٩ ، ٩٣٠ ، ٩٣١ ، ٩٣٢ ، ٩٣٣ ، ٩٣٤ ، ٩٣٥ ، ٩٣٦ ، ٩٣٧ ، ٩٣٨ ، ٩٣٩ ، ٩٤٠ ، ٩٤١ ، ٩٤٢ ، ٩٤٣ ، ٩٤٤ ، ٩٤٥ ، ٩٤٦ ، ٩٤٧ ، ٩٤٨ ، ٩٤٩ ، ٩٥٠ ، ٩٥١ ، ٩٥٢ ، ٩٥٣ ، ٩٥٤ ، ٩٥٥ ، ٩٥٦ ، ٩٥٧ ، ٩٥٨ ، ٩٥٩ ، ٩٦٠ ، ٩٦١ ، ٩٦٢ ، ٩٦٣ ، ٩٦٤ ، ٩٦٥ ، ٩٦٦ ، ٩٦٧ ، ٩٦٨ ، ٩٦٩ ، ٩٧٠ ، ٩٧١ ، ٩٧٢ ، ٩٧٣ ، ٩٧٤ ، ٩٧٥ ، ٩٧٦ ، ٩٧٧ ، ٩٧٨ ، ٩٧٩ ، ٩٨٠ ، ٩٨١ ، ٩٨٢ ، ٩٨٣ ، ٩٨٤ ، ٩٨٥ ، ٩٨٦ ، ٩٨٧ ، ٩٨٨ ، ٩٨٩ ، ٩٩٠ ، ٩٩١ ، ٩٩٢ ، ٩٩٣ ، ٩٩٤ ، ٩٩٥ ، ٩٩٦ ، ٩٩٧ ، ٩٩٨ ، ٩٩٩ ، ١٠٠٠ ، ١٠٠١ ، ١٠٠٢ ، ١٠٠٣ ، ١٠٠٤ ، ١٠٠٥ ، ١٠٠٦ ، ١٠٠٧ ، ١٠٠٨ ، ١٠٠٩ ، ١٠١٠ ، ١٠١١ ، ١٠١٢ ، ١٠١٣ ، ١٠١٤ ، ١٠١٥ ، ١٠١٦ ، ١٠١٧ ، ١٠١٨ ، ١٠١٩ ، ١٠٢٠ ، ١٠٢١ ، ١٠٢٢ ، ١٠٢٣ ، ١٠٢٤ ، ١٠٢٥ ، ١٠٢٦ ، ١٠٢٧ ، ١٠٢٨ ، ١٠٢٩ ، ١٠٣٠ ، ١٠٣١ ، ١٠٣٢ ، ١٠٣٣ ، ١٠٣٤ ، ١٠٣٥ ، ١٠٣٦ ، ١٠٣٧ ، ١٠٣٨ ، ١٠٣٩ ، ١٠٤٠ ، ١٠٤١ ، ١٠٤٢ ، ١٠٤٣ ، ١٠٤٤ ، ١٠٤٥ ، ١٠٤٦ ، ١٠٤٧ ، ١٠٤٨ ، ١٠٤٩ ، ١٠٥٠ ، ١٠٥١ ، ١٠٥٢ ، ١٠٥٣ ، ١٠٥٤ ، ١٠٥٥ ، ١٠٥٦ ، ١٠٥٧ ، ١٠٥٨ ، ١٠٥٩ ، ١٠٦٠ ، ١٠٦١ ، ١٠٦٢ ، ١٠٦٣ ، ١٠٦٤ ، ١٠٦٥ ، ١٠٦٦ ، ١٠٦٧ ، ١٠٦٨ ، ١٠٦٩ ، ١٠٧٠ ، ١٠٧١ ، ١٠٧٢ ، ١٠٧٣ ، ١٠٧٤ ، ١٠٧٥ ، ١٠٧٦ ، ١٠٧٧ ، ١٠٧٨ ، ١٠٧٩ ، ١٠٨٠ ، ١٠٨١ ، ١٠٨٢ ، ١٠٨٣ ، ١٠٨٤ ، ١٠٨٥ ، ١٠٨٦ ، ١٠٨٧ ، ١٠٨٨ ، ١٠٨٩ ، ١٠٩٠ ، ١٠٩١ ، ١٠٩٢ ، ١٠٩٣ ، ١٠٩٤ ، ١٠٩٥ ، ١٠٩٦ ، ١٠٩٧ ، ١٠٩٨ ، ١٠٩٩ ، ١١٠٠ ، ١١٠١ ، ١١٠٢ ، ١١٠٣ ، ١١٠٤ ، ١١٠٥ ، ١١٠٦ ، ١١٠٧ ، ١١٠٨ ، ١١٠٩ ، ١١١٠ ، ١١١١ ، ١١١٢ ، ١١١٣ ، ١١١٤ ، ١١١٥ ، ١١١٦ ، ١١١٧ ، ١١١٨ ، ١١١٩ ، ١١٢٠ ، ١١٢١ ، ١١٢٢ ، ١١٢٣ ، ١١٢٤ ، ١١٢٥ ، ١١٢٦ ، ١١٢٧ ، ١١٢٨ ، ١١٢٩ ، ١١٣٠ ، ١١٣١ ، ١١٣٢ ، ١١٣٣ ، ١١٣٤ ، ١١٣٥ ، ١١٣٦ ، ١١٣٧ ، ١١٣٨ ، ١١٣٩ ، ١١٤٠ ، ١١٤١ ، ١١٤٢ ، ١١٤٣ ، ١١٤٤ ، ١١٤٥ ، ١١٤٦ ، ١١٤٧ ، ١١٤٨ ، ١١٤٩ ، ١١٥٠ ، ١١٥١ ، ١١٥٢ ، ١١٥٣ ، ١١٥٤ ، ١١٥٥ ، ١١٥٦ ، ١١٥٧ ، ١١٥٨ ، ١١٥٩ ، ١١٦٠ ، ١١٦١ ، ١١٦٢ ، ١١٦٣ ، ١١٦٤ ، ١١٦٥ ، ١١٦٦ ، ١١٦٧ ، ١١٦٨ ، ١١٦٩ ، ١١٧٠ ، ١١٧١ ، ١١٧٢ ، ١١٧٣ ، ١١٧٤ ، ١١٧٥ ، ١١٧٦ ، ١١٧٧ ، ١١٧٨ ، ١١٧٩ ، ١١٨٠ ، ١١٨١ ، ١١٨٢ ، ١١٨٣ ، ١١٨٤ ، ١١٨٥ ، ١١٨٦ ، ١١٨٧ ، ١١٨٨ ، ١١٨٩ ، ١١٩٠ ، ١١٩١ ، ١١٩٢ ، ١١٩٣ ، ١١٩٤ ، ١١٩٥ ، ١١٩٦ ، ١١٩٧ ، ١١٩٨ ، ١١٩٩ ، ١٢٠٠ ، ١٢٠١ ، ١٢٠٢ ، ١٢٠٣ ، ١٢٠٤ ، ١٢٠٥ ، ١٢٠٦ ، ١٢٠٧ ، ١٢٠٨ ، ١٢٠٩ ، ١٢١٠ ، ١٢١١ ، ١٢١٢ ، ١٢١٣ ، ١٢١٤ ، ١٢١٥ ، ١٢١٦ ، ١٢١٧ ، ١٢١٨ ، ١٢١٩ ، ١٢٢٠ ، ١٢٢١ ، ١٢٢٢ ، ١٢٢٣ ، ١٢٢٤ ، ١٢٢٥ ، ١٢٢٦ ، ١٢٢٧ ، ١٢٢٨ ، ١٢٢٩ ، ١٢٣٠ ، ١٢٣١ ، ١٢٣٢ ، ١٢٣٣ ، ١٢٣٤ ، ١٢٣٥ ، ١٢٣٦ ، ١٢٣٧ ، ١٢٣٨ ، ١٢٣٩ ، ١٢٤٠ ، ١٢٤١ ، ١٢٤٢ ، ١٢٤٣ ، ١٢٤٤ ، ١٢٤٥ ، ١٢٤٦ ، ١٢٤٧ ، ١٢٤٨ ، ١٢٤٩ ، ١٢٥٠ ، ١٢٥١ ، ١٢٥٢ ، ١٢٥٣ ، ١٢٥٤ ، ١٢٥٥ ، ١٢٥٦ ، ١٢٥٧ ، ١٢٥٨ ، ١٢٥٩ ، ١٢٦٠ ، ١٢٦١ ، ١٢٦٢ ، ١٢٦٣ ، ١٢٦٤ ، ١٢٦٥ ، ١٢٦٦ ، ١٢٦٧ ، ١٢٦٨ ، ١٢٦٩ ، ١٢٧٠ ، ١٢٧١ ، ١٢٧٢ ، ١٢٧٣ ، ١٢٧٤ ، ١٢٧٥ ، ١٢٧٦ ، ١٢٧٧ ، ١٢٧٨ ، ١٢٧٩ ، ١٢٨٠ ، ١٢٨١ ، ١٢٨٢ ، ١٢٨٣ ، ١٢٨٤ ، ١٢٨٥ ، ١٢٨٦ ، ١٢٨٧ ، ١٢٨٨ ، ١٢٨٩ ، ١٢٩٠ ، ١٢٩١ ، ١٢٩٢ ، ١٢٩٣ ، ١٢٩٤ ، ١٢٩٥ ، ١٢٩٦ ، ١٢٩٧ ، ١٢٩٨ ، ١٢٩٩ ، ١٣٠٠ ، ١٣٠١ ، ١٣٠٢ ، ١٣٠٣ ، ١٣٠٤ ، ١٣٠٥ ، ١٣٠٦ ، ١٣٠٧ ، ١٣٠٨ ، ١٣٠٩ ، ١٣١٠ ، ١٣١١ ، ١٣١٢ ، ١٣١٣ ، ١٣١٤ ، ١٣١٥ ، ١٣١٦ ، ١٣١٧ ، ١٣١٨ ، ١٣١٩ ، ١٣٢٠ ، ١٣٢١ ، ١٣٢٢ ، ١٣٢٣ ، ١٣٢٤ ، ١٣٢٥ ، ١٣٢٦ ، ١٣٢٧ ، ١٣٢٨ ، ١٣٢٩ ، ١٣٣٠ ، ١٣٣١ ، ١٣٣٢ ، ١٣٣٣ ، ١٣٣٤ ، ١٣٣٥ ، ١٣٣٦ ، ١٣٣٧ ، ١٣٣٨ ، ١٣٣٩ ، ١٣٤٠ ، ١٣٤١ ، ١٣٤٢ ، ١٣٤٣ ، ١٣٤٤ ، ١٣٤٥ ، ١٣٤٦ ، ١٣٤٧ ، ١٣٤٨ ، ١٣٤٩ ، ١٣٥٠ ، ١٣٥١ ، ١٣٥٢ ، ١٣٥٣ ، ١٣٥٤ ، ١٣٥٥ ، ١٣٥٦ ، ١٣٥٧ ، ١٣٥٨ ، ١٣٥٩ ، ١٣٦٠ ، ١٣٦١ ، ١٣٦٢ ، ١٣٦٣ ، ١٣٦٤ ، ١٣٦٥ ، ١٣٦٦ ، ١٣٦٧ ، ١٣٦٨ ، ١٣٦٩ ، ١٣٧٠ ، ١٣٧١ ، ١٣٧٢ ، ١٣٧٣ ، ١٣٧٤ ، ١٣٧٥ ، ١٣٧٦ ، ١٣٧٧ ، ١٣٧٨ ، ١٣٧٩ ، ١٣٨٠ ، ١٣٨١ ، ١٣٨٢ ، ١٣٨٣ ، ١٣٨٤ ، ١٣٨٥ ، ١٣٨٦ ، ١٣٨٧ ، ١٣٨٨ ، ١٣٨٩ ، ١٣٩٠ ، ١٣٩١ ، ١٣٩٢ ، ١٣٩٣ ، ١٣٩٤ ، ١٣٩٥ ، ١٣٩٦ ، ١٣٩٧ ، ١٣٩٨ ، ١٣٩٩ ، ١٤٠٠ ، ١٤٠١ ، ١٤٠٢ ، ١٤٠٣ ، ١٤٠٤ ، ١٤٠٥ ، ١٤٠٦ ، ١٤٠٧ ، ١٤٠٨ ، ١٤٠٩ ، ١٤١٠ ، ١٤١١ ، ١٤١٢ ، ١٤١٣ ، ١٤١٤ ، ١٤١٥ ، ١٤١٦ ، ١٤١٧ ، ١٤١٨ ، ١٤١٩ ، ١٤٢٠ ، ١٤٢١ ، ١٤٢٢ ، ١٤٢٣ ، ١٤٢٤ ، ١٤٢٥ ، ١٤٢٦ ، ١٤٢٧ ، ١٤٢٨ ، ١٤٢٩ ، ١٤٣٠ ، ١٤٣١ ، ١٤٣٢ ، ١٤٣٣ ، ١٤٣٤ ، ١٤٣٥ ، ١٤٣٦ ، ١٤٣٧ ، ١٤٣٨ ، ١٤٣٩ ، ١٤٤٠ ، ١٤٤١ ، ١٤٤٢ ، ١٤٤٣ ، ١٤٤٤ ، ١٤٤٥ ، ١٤٤٦ ، ١٤٤٧ ، ١٤٤٨ ، ١٤٤٩ ، ١٤٥٠ ، ١٤٥١ ، ١٤٥٢ ، ١٤

وسورة المائدة . اما احكام الزواج التي يكثر الاستشهاد بها (سورة النساء ، الآية ٣)^(١) فهي في الحقيقة تحدد عدد الزوجات ولا تقر التعدد الذي كان مأثوماً ، ويرى النقاد ان احكام الطلاق (سورة الباء ، الآية ٣٥ والاحزاب : ٤٨ والبقرة : ٢٢٩) هي اكثر الاحكام عفاً وشدة وان الاحكام التي حتى بمعاملة العبد واليتيم والغريب (سورة النساء الآية ٢ ، ٣ ، ٤٠ ، ٤١ والنحل : ٧٣ ، والنور : ٣٣) هي اكثر التشريع الاسلامي رحمة واسية ورقة وبراً . وقد عاين القرآن ان اعتاق العبد نافذة برضا الله من الانسان كفارة عن الجحيت . ومن لوقع آيات القرآن في النفس واسلمها الايمان ٢٥٦ ، ١٧٢ من سورة البقرة .

ولاخبر القرآن التاريخي ائمة تقدم في النبوة حلالا بعض الاسماء التي هي عربية محضة كذكر عدد نوح وهود وقنوق واد اصحاب النمل ، وحلالا قصتين نمران الى الاسكندر^(٢) والى اصحاب الكهف . الا ان هذه الاخبار قد سردت بأسلوب مختصر . ومن رجال العهد القديم الذين وردت اسماءهم في القرآن مراراً : آدم وحواء وابراهيم^(٣) (وقد ورد اسم الأخير سبعين مرة في خمس وعشرين سورة وازاهم اسم السورة الزاخرة عشرة اخط) واسماعيل ووطى ويوسف (والسورة الثانية عشرة حيث ٩) وموسى (وقد ورد اسمه في ٢٤ سورة) وهارون (شاول) وداود وسليمان واليس وازوب ورويس (وحيث السورة العاشرة ٩) . وقد وردت الاسماء التي حقق الاصل بسقوط آده خمس مرات والى قصة الطوفان ثمانية مرات والى قصة سدوم ايضا ثلثي مرات . والتوازي ظاهر بين القرآن والسفر موسى

١ من سورة النور : ٢٩ - ٣٠

(١) سورة الكهف : ٢٩ وسليمان حيث يظهر ان لهما عربين وصيفة مدبرة تدعى عذرا . وفي سورة النحل : ١٠١ إشارة واضحة لاسكندر . انما اصل لقب الاسكندر بمى الفارين غير مفهوم ولعله مأخوذ من صوته ظاهرة على من ينفذ الكوفة ويصوب بها . كيش كلفني الاله مومن فليكن الاسكندر .
٣ والى سور البقرة يسمي ان هو عذرا او مبطا الى آل عمران : ٦٠ وهو سلف عبد الامل والجد الزوجي الاسلامي . النساء : ١٢٤ - آية عمران : ٦١ ومؤسس الكعبة (بقرة ١١٨ ومايلي) وفي النبوة هو عذرا (النساء : ١٢٤) سفر الاخبار الثاني ٧٦٠) كذلك هو في الانجيل رسالة بطروب (٢٣ : ٢) وفي القرآن (النساء : ١٢٤) .

الخامسة ^(١) أكثر من سواها من أقسام العهد القديم .

ويتعد من عرض هذه القصص التوسل الى عبوة اخلاقية وما المقصد الاسنى مجرد سرد حكيم بل البلوغ بالتقارى، والسمع ممّا الى مغزى سام او محظة ادبية مثل كأن يحلن للناس ان الله في القديم كان يحازي المستقيم على استقامته وبعاقب الشرير على شره . اما قصة يوسف فلقد جاءت في قالب واقعي جذاب والاختلافات البسيطة في هذه وامثاله من القصص الاخرى كقصة استجابة ابراهيم لدعوة الله الواحد الحق (الاسيا ٥٢ وما يلي) عن المعروف في التوراة لها نظائرها التي تقابلها في السنة والتعود وسواها من كتب اليهود القانونية ^(٢) .

ولا يذكر القرآن من اشخاص الانجيل ذكراً واصحاً الا زكريا ويوحنا المعمدان (يحيى) ويسوع (عيسى) ومريم . والاشجان الاخيران يطلب وردهما معاً . ومريم ام عيسى هي بنت عمران واخت هرون ^(٣) في آت واحد . اما هانان الذي تعرفه التوراة كأحد المقربين الى عرش اشوريش ^(٤) فهو في القرآن وزير فرعون ^(٥) ملك مصر . والجدير بالذكر ان اسم شخصيات التوراة الواردة في القرآن جاءت على ما يظهر عن طريق اللغة السريانية (مثل نوح) واليونانية (مثل اليسوع) لا مباشرة عن طريق اللغة العبرانية .

وان دراسة القصص القرآنية السابقة ومعارضة آياتها في التوراة لا تلبث ان هنالك اقتباساً صريحاً واليك الصورات التي تتوالى في الكتابين المقدسين : القرة الآية ٤٤ - ٥٨ واعمال الرسل ٣٦: ٥٣ : القرة : ٢٧٣ وانجيل متى ٢٣ : ٤٠ : يوس ٧٢ ورسالة بطرس الثانية ٢ : ٥ : يوس : ٧٣ ، النور : ٥٠ والثنية ٢٩ : ٥ :

(١) هذه الاسفار احدى من التوراة من الناحية السريانية : نورا - اي الترجمة مع ان الاسم يوس . وتطلق كلمة التوراة على كل اسفار العهد القديم .

(٢) راجع The Legacy of Israel, ed. E.H. Reuss and G. Singer (Oxford, 1928) pp. 129-74 .

(٣) سورة مريم : ١٦ - ٢٩ : آل عمران : ٣٦ - ٤٠ .

(٤) سفر اسير ١ : ٣ .

(٥) سورة القصص : ٣٨ : مؤمن : ٣٨ .

الانبياء ٢٠ ورؤيا يرحنا ٤ : ٨ : المؤمنين ٣ : متى ٦ : ٧ : يس : ٥٣ : ونسألونيكى
 الاولى ٤ : ١٦ : الزمر : ٣٠ : متى ٢٤ : ١٩ : الثورى : ١٩ : وغلاطية ٦ : ٧ : القصح :
 ٢٩ : ومرقس ٤ : ٢٨ : الليل : ١٨ : ولوقا ١١ : ٢١ . وليس في القرآن سوى آية
 واحدة (١٠٥ من سورة الانبياء) حسمها بعضهم مقسمة رأساً من التوراة (المزامير
 ٣٧ : ٩) . والتشابه صريح في الآيات بين الانبياء : ١٠٤ : واسعيا ٣٤ : ٤ :
 النجم ٣٩ - ٤٢ وحزقيال ١٨ : ٢٠ : النجم : ٤٥ : وصموئيل الاول ٢ : ٧ . اما
 الآيات التي وردت فيها عبارات مثل « العين بالعين » (المائدة : ٤٩ قابل الخروج
 ٢١ : ٢٣ - ٧ والجلل في « سر الطياط » (الاعراف : ٣٨ قابل متى ١٩ : ٢٤)
 و « من اسس بنيانه على شفا جرف هار » (سورة التوبة : ١١٠ قابل انجيل متى
 ٧ : ٢٤ - ٧) و « كل نفس ذائقة الموت » (الانبياء : ٣٦ : والعنكبوت : ٥٧
 وآل عمران : ١٨٢ قابل المزمير ٩ : ٢٧ : ٢ : ٩ : متى ١٦ : ٢٨) فالظاهر انها
 من الامثال السامية القديمة وجوامع الكلم المأخوذة في العبرانية والعربية معاً . واكثر
 الامثلة على التوازي بين الكتابين هي بين انجيل متى والسور المسكية . اما
 المعاني التي بنسبها القرآن الى عيسى كاقول انه « يكلم الناس في المهد » (آل
 عمران : ٤٤) وانه خلق من الطين كهيئة الطير (آل عمران : ٤٣) فهي نذكرنا
 ببعض الحوارات التي سبقت الى عيسى في الانجيل الابوكرافية (اي غير الموثوق بها)
 وخصوصاً في انجيل الطفولية . ولما ترى في القرآن شيئاً يتوازي مع ما ورد في
 اسفار القوس المقدسة الا صورة الدماء والجحيم وهي مرسومة بريشة قد غطت في
 اصباح منوره تغلب فيها المادة على الروح (الواقعة ٨ - ٥٦) . وان بقي كسب القوس
 ما يقابل ذلك . ويقال ان صورة النعم والجحيم التي اخرجها القرآن اوحتها
 الرسوم الدقيقة او بدائع الفسفاء التي خلفها النصارى مما يمثل به جنات الفردوس .
 وفيها صور الملائكة رسمت على اشكال اولدان والخور .

وعلى الرغم من أن القرآن هو أحدث الكتب التي عبرت بحرى التاريخ فانه

اوسع الكتب المدونة انتشاراً ويقراً أكثر من غيره . وليس القرآن كتاب حزين
فحسب بل هو كتاب درس وإطلاع يعتمد عليه كل مسلم ومسلمة في فهم اللغة
العربية . وليس للقرآن ترجمة إلى لغة أجنبية يعترف بها المسلمون ولكن هناك
ترجمة تركية رسمية وعدة ترجمات لعالي القرآن قد أصدرها المسلمون في لغات شتى
منها الفارسية والسفالية والأردية والتركية والبنوية والصينية . وبقيت اللغات التي
ترجم إليها القرآن نحو أربعين لغة ^(١) . وكان المسلمون إلى مدة متأخرة يعتمدون
في شرح القرآن على طبع الخبير (الجغراف) أو المخطوطات ولم يجهدوا طبعه على
آلات الطباعة . وقد أصبحت آياته وكلمه وحروفه معاً ، ودقة فكانت آياته
(٦٢٣٦) وكلمته (٧٧٩٣٤) وحروفه (٣٧٣٦٢٩) . وبلغ احترام المسلمين للقرآن
وسكرتهم له مداه الأقصى إذ شاعت فكرة عند عصر النبي يقول أن القرآن
غير مخلوق « وروى أن هذه الفكرة مندى نظرية « الصلوة » على حد قول
الأنجيل « والكلمة كانت عند الله » . لذلك فـ القرآن لا يشبه إلا المظهرين ^(٢)
(هذه نظرية اللوغس ^(٣) البوذية) . وليس بشراً في هذا الزمن أن ترى معاً
بنتقط ورقة من الأرض فيصعب عشق في مكان أمين من جدار خلا يكون
اسم الله عليها .

ونقطة قرآن معناه الأصلي قرآن أو خط أو محاضرة . وهو كتاب حي فعال

١ . أول ترجمة للقرآن إلى لغة أجنبية كانت في الهندية ودم بها نحو سنة ١٦٤٩ بقرن زاهد كافر المسمى
Venerable . ثم عدة لغات من بعد . هنري وأمر هنري . وكان يحاول في ترجمة جديدة هذه
التي بدلت الصفات الأسطورية . ثم ظهرت أول ترجمة لكبرى سنة ١٧٥٩ في لندن وأمر بها سكندر روس
مبتدئاً على ترجمة عربية صدرها سيور دى . ثم ترجمة من الأناطورية (١٧٣٤) على يد جيمس
طريق هنري واعتمد على نسخة لامية صدرها من شي سنة ١٧١٨ . ثم سنة ١٧٦١ قرأت
النور حسب تاريخ بروك . وصدر في ١٨٨٠ ترجمة جديدة مني بها في الأسفار بروك . ثم في
ولكن من وروودون في ١٨٣٨ ميل . ومن ترجمت بدقة في قام بها عبد مسلمون ترجمه مولانا عبد علي
(لاهور ، ١٧٩٦) في لغة الأناطورية . وترجمة جديدة في دم بها مسلم الكين في عهد التي أصدرها
مار مارديك بكتول (لندن ، ١٨٣٠) وول طبعة عربية للقرآن صهرت بين سنتي ١٤٨٨ و ١٤٩٩ في
البندقية وفام بها لساندرو دو بيجيني من أهل بريسكا .

في النفوس خصوصاً اذا رتل ترتيلاً وتلي بلفظه الاصلي . وان بعض قوته وانهم في النفوس لراجع الى ما يشتمل عليه من حسن البك وعلوية السجع والبلاغة وموسيقى الاقفاط والافاقية . على ان هذه اوصاف للاسلوب الاشقي بتقدير نقلها الى لغة اجنية . اما طول القرآن فيعادل اربعة اضعاف الترجمة العربية من الالجيل . وليست عربية القرآن الدينية المثلثة الى مقدمه السامي كدساس الاسلام والمرجع الاعلى الذي يحكم اليه في الامور الروحانية والادبية الا رحمة واحدة من نواحي عظمتة . وما كان الكلام والفقه والعلم وجود متفرقة موضوع واحد عند المسلمين اصبح القرآن عندهم كتاباً مدرسياً يأخذ من منهجه كل من يتخى التعليم الحر . وفي الازهر (وهو اعظم جامعة اسلامية) وسواه من معهد العلم في الاسلام تحدد القرآن اساساً لمنهج الدراسة . ويمكن ان يدرك تأثيره الادبي اذا عرفنا ان فصله وحده تعدت اللهجات المختلفة للشعوب التي تشكلت العربية فهو الذي حال دون تطورها الى لغات قومية مختلفة كما جرى للغات الرومانسية المتحددة من اللاتينية . فان المراق اليوم مثلاً وان لاقى من الصعوبة في فهم لغة المراكشي العامة فهو لا يجد شيئاً من الصعوبة في فهم لغة مراكش المكتوبة لان لغة التي يكتبها القوم سواء في العراق او مراكش - او في الشام والجزيرة ومصر ايضاً - هي اللغة الادبية نفسها التي من طريقها القرآن وسر عبيد الكتب العرب في كل مكان . وما يكن لغة العربية على عهد النبي كتب علي الله في الادب ناري . لذلك صدر القرآن اقدم مثال لمشر ولا يزال الى يوم الحاضر النموذج الذي يحتذى في الكتابة الشريفة . وهذه القرآن هي من اشرف مسجود السجع ونسكها ليست نعتراً . اما السجع الذي جاء في عريض الكتب فهو مثال رفيع يقتضي ان يترك كل كاتب عربي من المختارين الى هذا اليوم .

الفصل العاشر

الاسلام دين الخضوع لإرادة الله

من بين الديانات التوحيدية الثلاث التي انشاها الساميون يعتبر الاسلام اقرب الى دين ابراهيم الخليل الذي تمثله التوراة من دين عيسى الذي يبشر به الانجيل . على ان بعض النصارى من اهل اوربا واهل الشرق تكون عندهم في العصور الوسطى رأي يستند الى ما بين الاسلام واليهودية والنصرانية من التشابه ومؤداء ان الاسلام بدعة نصرانية اكثر منه دينا جديدا . وقد وضع دانتو في روايته الالهية محمدا في الجحيم الاسفل مع اولئك « الذين زرعوا بزور العترة والانشقاق » . وقد تطور الاسلام بالتدريج حتى اصبح نظاما دينيا متفلا . وتمتد كات الحكمة وتقرش الفصل الأول في تقرير هذا التطور .

المفاهيم

وجرى قضاء الاسلام في تدارسهم مفاهيم ديانهم على التمييز بين الايمان والعبادات والاحسان - ونعنيها كلها نظم دين ^(١) « ان الدين عند الله الاسلام » ^(٢) والايمان هو الاعتقاد بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر . واول المقائد واعظها هي شهادة ان « لا اله الا الله » . واول ما في الايمان الايقان بمنزلة الله العليا . والواقع ان تعين ثلاثة من اصول الدين الاسلامي يدور حول فكرة « الله »

(١) راجع المحاضرة بين جبريل ومحمد في الهندستان ، اثنل والتعل ، نشر كيرتون ، (لندن ، ١٨٤٢ - ٦)
من ٢٧ وهذه القضية « دين » فارسية الأصل ولا علاقة لها بـ « دين » (بمعنى دينونة) الارامية الأصل .
(٢) آل عمران : ١٧

وقد عبرت سورة الاخلاص بآياتها المحكمات عن الافكار بوحداية الصمد . فهو الحقيقة العظمى الازلية ، ومبدع الكون ، الخالق (سورة النمل : ١٧-٣ : البقرة . ٢٧-٨) والعليم القدير (الزمر : ٩-١٧ : الاحقاف : ٥٩-٦٢ : البقرة : ١٠٠-١٠١ : آل عمران : ٢٥-٧) والحي القيوم (البقرة : ٢٥٦ : آل عمران : ١) وله الاسم الحسن^(١) (الاعراف : ١٧٩) وهي تسعة وتسعون تقابل عدد صفاته لدلت فالسبعة الاسلامية في تسع وتسعون حبة تقابل اسمه الله . وصفات الحب في الله تضاهي صفات القوة والجلال فهو الله تهيمن المزية الجبار (سورة الحشر : ٢٣-٥) . والاسلام (المائدة : ٥ : الاحقاف : ١٢٥ : الحجرات : ١٢) دين الطاعة والتسليم لأمر الله . والظاهر ان امتحن ابراهيم عليه السلام ان يقدم ابنه قرصاً . وهي قصة تمثل التسليم لأمر الله (الصافات : ١٠٣) . هي المعركة التي هيئت للمدين الجدد اسمه . وقد عبر القرآن عن حصول ابراهيم بكلمة « أسلم » . ووفقنا في الاسلام من اسباب النعمة هو هذا الايمان الراسخ بوحداية الله وذلك الاعتقاد البسيط الخالص بسمو تلك الفعل . ومن هنا ما يتولد في المؤمن من شعور القداسة والاستسلام الذي لا يعرف له مثيلاً عند أبناء الأديان الأخرى . وبعد فلا عجب اذا كانت حوادث الأشهر مادية في البلدان العربية .

والعقيدة الثانية في باب الايمان هي ان محمداً رسول الله (الاعراف : ١٥٧ : الفتح : ٢٩) وبيته (الاعراف : ١٥٦ ، ١٥٨) ونذيره الى أمته (الملائكة : ٢٢) وخاتم النبيين الذين انصاعوا منذ اول الدهر (الاحزاب : ٥٠) واعظمهم . وفي علم الاهليات القرآني ليس محمد الا نبياً لم ير الله على رسوله من العجائب غير اعجاز القرآن^(٢) . الا ان التقاليد والأساطير التي اعظمهم الصلة من بعد تسجيت حول

(١) العربي : محمد تاسي . الخاتمة شامية (مطبعة ١٣٢١) ص ٩٢ وما يليها : الترمذي : مصابيح ص ١ من ٩٦-٩٧

(٢) هذه السورة المدنية هي الوحيدة التي فيها حديث كوفي نوحى الى محمد . فلي انكسر : ١٩-٢٠ : النجم : ٥-٦

هامة الرسول هامة من النور الالهي . ودين محمد دين علي صريح . وقلنا يشير القرآن الى هدف عال يصعب توافقه . ويؤكد ان يكون خلواً من العقد اللاهوتية وليس فيه اثر الاسرار الرمزية المقدسة او مراتب الكهنوت وما دنته اصول الرسامة والصح والتكريس و« الخلافة الرسولية » .

والقرآن كلام الله (التوبة : ٦ : الفتح : ١٥ : قبال الاعاء : ١١٤ - ١٥) وهو آخر الكتب المنزلة (الاسرى : ١٠٧ - ٨ : القدر : ١ : الدخان : ٢ : القصص : ٥١ : الاحقاف : ١١) وهو ازي « غير محقق » . والافتباس من القرآن يستل ب « قل الله » . وكل م في القرآن من حروف وفوائد ومجازات وآداب لغوية فانه يطبق اه الكتاب - اي النوح المخطوط في السور (الواقعة : ٧٦ - ٩ : البروج : ٢١ - ٢) . وان تكن محاسب وقرآن العظيم « قل ان احببت الاس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ... » (الاسرى : ٩٠) .

وبقدم الاسلام في نظم ثلاثية مرتبة : ميراث على سواء وهو حامل الوحي (البقرة : ٩١) ^(١) وروح القدس (النحل : ١٠٤ : البقرة : ٨١) وروح الامين الشعراء : ١٩٣) . وهو كذا في نكاح الاله الاعلى يتالى هريس في التوفيقية الاغريقية .

والخطبة اما ان تكون خفية او صاعرة ، على ان الشرك اعظم الآثام عند الله . والله لا يفر أن يشرك به آفة اخرى ويفر م دون ذلك (النساء : ٥١) . فالزعم بان الله شركاء كان يفض الامور ان محمد حتى قد نزلت السور الندية فاذا هي حافلة بتهديد الشركين وازهدهم بالدينونة الاخيرة (المنكوت : ٦٢ وما يلي الابنية : ٩٨ وما يلي) . والزاجح ان محمداً لم يشال لعمل الكتاب - اليهود

(١) القرآن معجز من حيث اسلوبه وبنائه شك : رعد : ٢٧ - ٣٠ الاسرى : ٨٧ - ٩٦ وانظر ابن حزم الفصل في المنا والاهواء والنحل ج ٢ (البقرة : ١٠٤) من ١٠ - ١٤ : والسيوطي : الاتقان في علوم القرآن (القاهرة : ١٩٢٥) ج ٢ من ١١٦ - ٢٤

والنصارى - في شهاد الشركين مع أن بعض شروحي الآية الخامسة من سورة المائدة يرون غير ذلك .

واعلم أن أقسام القرآن أفرأ في النفس ثلث التي تعنى بمسألة الدينونة والآخرة . وفيه سورة حكيمية نسى « سورة القيمة » . وقد به الى حقيقة الآخرة وأكدها بإشارات متواترة ذكر فيها « يوم الدين » (الحجر : ٣٥ - ٦ : الانطار : ١٧ - ١٨) و « يوم البعث » (الحج : ٥ : الروم : ٥٦) و « يوم » او « يوماً » (التور : ٢٢ - ٥ : قون : ٣٢) و « الساعة » (النحل : ٨٥ : الكهف : ٢٠) والحققة (الحققة : ١ - ٢) . والآخرة التي صورها القرآن تناول عذاب الجحيم وذلالت النعم الجديدين ومن هنا فهي تستدعي بحث الأحكام .

الأركان الخمسة :

١ . الشهادة

قوله الصادق في الاسلام على خمسة أركان .

لركان الأول الشهادة وصيغتها ان : لا اله الا الله محمد رسول الله . هذه اول كلمة تطرق اذن العقل للولادة في احضان الاسلام وأحر ما يلتقى على فم المؤمن الراجل . وبين الولادة والموت لا يسمع اسم كلمة تردد أكثر من تلك . فهي جزء من المبدء الذي يرسله المؤمن في يدعو « قومه » الى الصلاة مراراً كل يوم من اصالي الملائكة . وعلى المسوء فلاسلام يقبل هذه الشهادة الشفوية علامة لدخول في حظيرة فاذما قال المرء الشهادة فهو مسلم .

٢ . الصلوة

ويطلب من المسلم ان يحلي خمس مرات ^(١) كل يوم موقفاً وجهه شطر مكة

(١) الفجر والمغرب والمغرب والمغرب والمغرب والمغرب .

مردداً الكلام المفروض . والصلاة هي ركن الإسلام الثاني . فإذا نظرت الى العالم الإسلامي في ساعة الصلاة بعين حائر في الفضاء وقدرت ان تستوعب جميع اتجاهه بقطع النظر عن خطوط الطول والعرض لرأيت دوائر عديدة من المتعبدين تدور حول مركز واحد هو الكعبة وتشتد في مساحة تزيد قليلاً وحجماً متناهية من سائر أيوه في المغرب الى كاتون في الشرق ومن توريسك في الشمال الى رأس الرجاء الصالح في الجنوب .

ولمحة الصلاة العربية مستعارة من الآرامية بذلك على ذلك اسم كانت تكتب بواو - « الصلوة » . ويرجع اسم ما مورس من امر الصلاة في البلاد العربية قبل الإسلام كان غير منظم . والصلاة وان حفت عليها السور الأولى (الأعلى : ١٥) وفرضت مفاتيها وأصول أقيمتها بعض السور النكية (هود : ١١٦ ، الأسرى : ٨٠ - ٨١ ، الروم : ١٦ - ١٧) فان فروصها ومنها تعيين أوقاتها الخمسة اشتد في ساعات الليل والنهار وما يقتضيه ذلك من القيء لله في حاة القنوت والطهارة الطمسية (البقرة : ٢٣٩ ، النور : ٥٧ ، ^(١) الباء : ٤٦ ، المائدة : ٨ - ٩) لم تنظم الا في الحقبة الحديثة . والصلاة الوسطى (البقرة : ٢٣٩) هي آخر ما اوصى به الكتاب . وقد روى البخاري ^(٢) ان النبي قل « فرض الله على امتي حين صلاة » . ثم اخرج ان الحسن هي ما قامه الله من بعد مراجعة الرسول له بإعاز من موسى يوم زار السماء السابعة وحلق الى سدرة المنتهى (سورة الأسرى : ١) ويجوز الاستدلال سورة النساء ، الآية ٤٦ على ان استنكار آخر وتعريفها من بعد قد دفعت اليه الرغبة في حفظ الوقاء والكيعة في مواعيد الصلاة والعبادة .

وتمتاز الصلاة الطمسية بكونها عبادة يحددها الشرع ويقوم بها المؤمنون مجموعين وعلى طراز واحد من السجود والركوع موافق وجوههم ناحية مكة وعلى التعبد ان يحضر الصلاة في حاة الطهارة حسبما ينص الشرع . وعليه ان يصلي باللغة العربية

(١) لابل الترميز ١٧ : ٥٥

(٢) ج ١ ص ٨٥ وما يلي : لابل سفر التكوين ٢٣ : ٢٣ - ٢٣

مها كان لسانه القومي . فالصلاة على هذه الصورة المنظمة الموحدة ليست ملتبساً الى الله لودعاء بل هي ذكر لله كثير (الجمعة : ٩ - ١٠ : الانفال : ٤٧) . و « الصلوة » ذات المعاني العميقة والبسطة الغريبة التي تقابل « الصلاة الربانية » عند النصارى بتلوها نسل البرية نحو عشرين مرة في اليوم بحيث أصبحت من أكثر الصلوات تردداً . اما الصلاة التي يقوم بها المريد من عدا . فمع آباء الليل - التهجيد (بني اسرائيل : ٨١ : قف : ٣٨ - ٩) فهي عند دقة وضاعف له بسببها الجلاء . وصلاة الظهير من كل جمعة هي الصلاة الموحدة المشتركة العامة (الجمعة : ٩ : المائدة : ٦٣) . وقد وحلت على كل المذكور من السنين . وفي بعض المناسبات افرات اماكن مخصصة للمسلم . وتحتل صلاة الجمعة بالخطبة التي عقبها الامام . وفيها خطاب من المولى الزكية والخير زامن الدولة . وقد سيج الاسلام في ترتيب صلاة الجمعة على متوالي اليهود في عبادتهم بالكنيس الا انه اتم من عدد يتقوس صلاة الاسلام التي يدرسها النصارى في السبع . وليس من شكل للصلاة المشتركة فوق صلاة الجمعة قيمة من حيث الجلال والروعة والبسطة والترتيب . تنصب فيه العائدون في صفوف ذات اتق حرس واحد المجد منظمين بقيادة الامام بدقة وخشوع حتى عدت مشاهدة جمع المؤمنين تحرك حتى الحواشي الروحانية في اعماق الصدور . وما لست هذه الصلاة العامة حتى أصبحت اداة توحيد لصفوف المؤمنين من أبناء البادية ذوي النفوس المتجورة لليلة بروج فردية فخرت فيها السواة الاجتماعية وانتشرت في افئدتهم فكرة الشعور بالوحد وربيتهم على اخوة الايمان التي ارادها محمد بدلاً لحالة الارحام وعلاقة الدم . هكذا أصبح مقر الصلاة « المساحة الاولى لتدريب جيوش المسلمين » .

• الصلاة

جعلت الزكاة في الامم كعمل خير ورو يوجه لذوي الحاجة فكانت عملاً اختيارياً (البقرة : ٢١٦ - ١٧ - ٢٦٣ - ٩ - ٢٧٣ - ٥) ولكن ما وجدت حتى

انقلب فريضة تفرض على القدر والمال والانداء والحبوب والاشجار والتجارة. والقرآن
(البقرة : ٥ : البقرة : ٢٠ ، ٧٧) اورد الزكاة الى جانب الصلاة في عدد من
الآيات . وفي اوائل الدولة الاسلامية كانت جبهة الزكاة معقودة لعمال منتدبين وامر
توزيع منوط بخزانة الدولة ومنها كانت الحكومة تقاضي نفقاتها (البقرة : ٦٠) .
والنقطة زكاة من احوال آرامي وهي اخص واكثر حيث من لفظة صدقة التي تعتبر
عملاً تبرعياً وبدل على العطاء والبدل بنوع عام . والزكاة امر طائفي يخص يشمل
اعطية المسلمين التي توزع في المسلمين دون سواهم . وفي حديث بوي هي « قنطرة
الاسلام » . والحق ان ابداً الاولي الذي سمى فكة الزكاة عنه يوافق مبدأ
العشر الذي قال سليمان ^(١) ان النجر من عرب الجنوب كانوا يؤدونه لاقبهم
قبل ان يسمح لهم بيع ملبوسهم . وقد غيرت مقدم الزكاة على مر الايام الا انها
تتميز دائماً بتحويل الى الفقه . والزكاة على العموم سبع النين ونصف بالنسبة من
الاصل الذي تجب منه . وهي تضرب على كل نوع من كل ما حتى ان معاشات الجند
المقتاعدين لم تكن لتعفى منها . ولدى تضعيع الدولة الاسلامية رجعت الزكاة الى
اصلها اي صارت فئمة على وجدان اسم . والزكاة هي الركن الثالث من اركان الدين .

١ : الصوم

عددت الاوامر بالصوم في السور الندية اذ حرمه الله او بدأ (المائدة : ٥٥ :
مريم : ٢٧ : النساء : ٩٥ : البقرة : ١٩٢) . ولم يذكر رمضان كشهر صيام
الا مرة (البقرة : ١٧٩ - ٨١) . الا ان القرآن نزل في رمضان (البقرة : ١٨١)
وفيه تم الفوز للمسلمين في وقعة بدر . والصوم فيه يعني الامتناع عن كل ما كل
ومشرب من الفجر الى مغرب الشمس (البقرة : ١٨٣) . ولقد غلب على بعض المسلمين
في تفسير كنه الامتناع عن الطعام الذي يقتضيه الصوم بحيث منع احدهم الطبيب من
ادخال ملقحة في فمه مخافة ان يكون عتقاً به شيء . من الطعام ضد عليه صيامه ^(٢)

وتحاول بعض الحكومات في البلاد الإسلامية احياء تطبيق فرض الصيام بالقوة اذا
ما لاحظت في المؤمنين استتاراً .

ولا دليل لدينا يثبت وجود الصوم في ايام الجمعة ، الا ان المدعى كانت
مأخوذة ولا ريب عند النصارى واليهود ، وقد ذكر ان هـ^(١) ان قريش في
جاهليتها كانت تحوز في حراء من كل سنة شهراً قبل فيه التحدث (التجر) ،
وكان محمد قبل فرض رمضان يصوم يوم عشوراء وهو العشر من محرم ، وقد
أخذ عشوراء عن اليهود^(٢) . ولم ترد غفلة « الصوم » في السور الشكية الا في
موطن واحد (مريم : ٢٧) وذلك ضمن السكوت على ما ندرج .



حكومة

• الحج

والحج (آل عمران : ٩٦ : البقرة : ١٩٧ : التوبة : ١٠٢ : ٩٦) هو

(١) البقرة : ١٩٧

(٢) البخاري ج ٢ ص ٢٠٨ : سفر التوراة ٢٩ : ١٦

الركن الخامس والاخير من اركان الاسلام وقد فرض على كل مسلم ومسلمة يستطيعان اليه سبيلاً وهو يستدعي زيارة البيت الحرام مرة في العمر في حين معين من السنة. والعبرة اقل اهمية من الحج الحظي وهي عبادة عن زيارة مكة بقوله بها السامي شاء وفي الوقت الذي يريد .

يجمع الحج الثابتات المقدسة محرم (لأن الأزار وهو قطعة واحدة من قميص غير محيط) فيوقوف حول الكعبة سبعاً ثم إلى النبي (١) أي يحذر سبع مرات بين جبل الصفا وجبل المروة . ولا يبدأ الحج الحظي إلا بالتأخير إلى عرفة (٢) في اليوم السابع والثامن من ذي الحجة . ثم الوقوف في الوقت مبدء حرمي عرفة وهما المزدلفة ومنى . ويرمي الجمر (الجديرة) ثم على الطريق المؤدية إلى وادي منى عند جمره العقبة . ثم غداة المذبح عند منى . وتكون الاصححة من بهيمة الاحياء أي بدنة من الابل أو النمر أو إحدى ذوات القرون (الحج : ٣٤ - ٧) بمنحوب في العاشر من ذي الحجة وهذا هو عيد الأضحية الذي يحتفل به المسلمون إلى كلوا في الأرض . وانه منهي فرصة الحج رسمياً . وبالإضافة على بعض الامور التي حظرت على المسلم ان يصيبه . وانه قد فرض على الحج . ما دام محرم . ان يراعي شروط الاحرام وانسلت التي تقتضي ان لا يسلط دم أو يقاتل صيداً أو يفتش بيتاً (٣) ومن حد حق رأس يجمع الحج احرامه ويحلق .

وكان الحج إلى الأماكن المقدسة نظاماً سامياً قديماً (٤) وكان من معالمه ما عرف في زمان النبوة القديس (سفر الخروج : ٢٣ : ١٢ ، ١٧ : ٣٤ : ٢٢ - ٣ : ١٢)

(١) بقوله سبعون الممر يدكر أن الحار في الحديث من أن حار سمعت سبع مرات بين الصفا والمروة طناً ماء لأروا غيلاً إلى الصفا .

(٢) عرفة اسم الجدي وعرفت اسم الجبل كما يرى رمت ، امرأة الحرمين ج ١ ص ١١ . ولكن القاصدين يتدربون منها كثيراً .

(٣) رواية لأبي داود عن شاذان حج رجع امرأة حرمين ج ١ ص ١٢٢-١٢٣ . وقد كان رمت مؤلف امرأة الحرمين أمير الحج بحري سنة ١٩٠١ ، ١٩٠٢ ، ١٩٠٣ ، ١٩٠٤ .

W. Robertson Smith, *Lectures on the Religions of the Semites*, 3 ed. by S. A. Cook (London, 1927), pp. 80, 276.

صموئيل الأول ١ : ٣) وتعلمه في الأصل ظاهرة من عبادة الشمس كان القوم يخشون عبدا لها فصانف ان وقع هذا العيد في الاعتدال الخريفي - وهو رمز الشراخ صدر الاسن فكان العيد بمثابة اودع تحيط الشمس وسيطرت العاشقة واستقبلت فرح . انه الرعد والخصب . وكانت مواسم الاسواق السنوية في الجهة في شمالي الجزيرة تنسب بالخيج في ذي الحجة الى الكعبة وعرفة . وقد استل محمد في السنة السابعة للهجرة عدة الخيج القديمة فاضاف الى الاسلام ثم فيها من مراسيم العبادة المتركبة في مكة وعرفة . فتم الاسلام تحت القروظ اعظم ثلاث من جهة الجزيرة . وقد ذكر ابراهيم رفعت ^(١) بعض ما صدر من العرب من الكلمات الخالصة العرب وقت طوافهم بالبيت الحرام كان يقول الرجل منهم يا رب ائتني بالشهد الي حيث لا قول ما حيث . انقضي وولائي ولا خوفي غصه . تراني حيث لا . ونحوه جمعت الخبيج من الوسط افريقية بصورة غير منقطعة الى البحر من الشمال واليمين وبحريا - سيرة في الشرق وتزداد عنده كم . وانما سوره . ويحس بعض الخبيج مشبه على الاقصداء ويركب غيره لان . ان كثره الماهرين من الرجال والنساء من النساء والأولاد . ومنهم من مول على الاندلس وغيرها على الاستغناء او سواء من لسان تبهذا لاسمهم موصول الى مكة المكرمة والسنة النبوية . ويتبع عدد كبير من هؤلاء في طريق الخبيج فيسبحون في عداد شهداء . ثم الناجون منهم فقد ناسرهم اليوم الى أحد مراقي البحر الأحمر العربية ومنه يسافرون في قوارب حصة شواطئ الجزيرة العربية الى الشاطئ المقابل . الا ان قوافل الخبيج العظمى تمتد من اليمن والعراق والشام ومصر . وقد كانت هذه البلدان في معنى ترسل كل عام على رأس قافلة حبيجة محملة بعنود الشكاري . والمحمل يقطر سيج من الخبز وفي زينة وإياخرف يحمل على حمل يمد يابدا دون ان يركبه أحد . ومنذ القرن الثالث عشر الميلادي جرى لوب الامر في الاقطار

الاسلامية على اشخاص هذه الحمل اعلاماً لاستقلالهم واضهاراً لما لهم من حق حماية الحرمين . وفي الاخبار المنقولة ان شجر الدر زوجة نجم الدين احمد سلاطين الدولة الايوبية المتأخرين هي التي انتدعت فكرة الحمل في منتصف القرن الثالث عشر . الا ان بعض التأليف ^(١) القديمة تحسب الخراج ابن يوسف (المتوفى ٧١٤) . عامل الامويين على العراق ، مشى . هذه القصة . وسواء اصدقت هذه الرواية ام تلك فجلي ان الاحتفال بهذه الحمل لاقى تشجيعاً حرب وعشاة فائضة على دور المماليك في عهد السلطان بيبرس (١٢٦٠ - ٧٧) حتى صارت عادة أمراً ^(٢) يفتنى من عند . وفي غضون السنين المتأخرة لم يحد ركب الخراج المصري الا اركب السامي من حيث العظمة والاهية . وقد بلغ عند الخراج السنوي من بعد الحرب المالية معدل ١٧٢٠٠٠ . ووجد في الحصان الاراك سنة ١٩٠٧ ان عددهم كان في تلك السنة نحو ٢٨٠٠٠٠ . ولو فرضنا ان الخراج انفي من مقل وعندهم حوالي ٣٠٠٠٠ على التقريب وبس لبلاد الحجاز الفاحمة افضل من موسم الخراج موزناً اقتصادياً .

ولا يزال الخراج على كثر العصور نظاماً لا يبرى في تشديد عرى الدفع الاسلامي والتأليف بين مختلف طبقات الشعب . ومغضته بقى لكل مسلم ان يكون بحالة مرة في حياته على الاقل . وان يجتمع مع غيره من المؤمنين احكاماً اخوية . ويوجد شعوره مع شعور سواه من المسلمين من اطراف الارض . وبفضل هذا النظام يتيسر للزوج والبربر والصيبيون والفرس والترك والعرب وغيرهم ان اغنيهم كانوا او فقراء عظماء او حداثك . انهم يتأخروا لغة وادباً وعقيدة . وقد ادرك الاسلام نجاحاً لم يتحقق لمدين آخر من اديان العالم في القضاء على فوارق الجنس واللون والقومية .

(١) من مقدمة : تعارف من ٢٢٤ : ياقوت : لندن . ج ١ ص ١٩٦ : ابن رستم من ١٩٤ . واهل الديوبندي . انظر لغويون ١ : ولاف ١٢٤٤٠ : ص ٢٨ .

(٢) السبوني : حسن الخامرة . ج ٢ ص ٧٤ : وغازي القزويني : نواظم والاعتبار شعر عاصمونييت (القاهرة ١٩٢٢) ج ٢ ص ٣٠٠ و : ج ٢ ص ٣٠٠ : ترجمة كازم ج ١ ص ١٢٩ - ١٣٠ . ويمكن ان الحمل ومركب (عظمة) الروقة وتابوت العهد ترجع كلها الى اصل سامي واحد .

خاصة بين أبناءه . فهو لا يعترف بتفصيل بين أفراد البشر إلا الذي يقوم بين المؤمنين وبين غير المؤمنين . ولا شك أن الاجتماع في مواسم الحج أدى خدمة كبرى في هذا السبيل فعلاً عن تأثيره في نشر الدعوة والأفكار الهدية بين الخلائق القادمة من هناك لما ترتبط وسائل الاتصال العديدة والتي ليس للمصحفة فيها صوت ومن مثله ذلك الحركة السوسية في تنامي افريقية التي لم تكن الحج لها أيها لها من وسائل تكون وتدفع من نهجها .

المجاهد

وعندك جهاد^(١) (الجزء : ١٨٩ - ٩٠) وأرمه عرفة من فوق الاسلام (الخورج) إلى مصاف الأركان وأعمه ركناً - وله يعود الفضل في امتداد الاسلام امتداداً لا يقرن له في بقية الدول العلية . وسعدت وطيلة النهضة توسيع النطاق جغرافي لنشر الاسلام على حاسب دار الحرب . وإن غلب العلم إلى منطقة سر ومصلحة حرب توارثه النظرية الاشتراكية التي سميت به دعوة السوفية . إلا أن فكرة جهاد لم تخط في السنين الأخيرة فتمسرة العلم الاسلامي وذلك في الاكثر لأن معظم الخطر الاسلامي التزمية الاخرى لجميع السمات الجديدة لا يستطيع التمسك بها . ولا رغب فيه . وأحرار دعوة إلى الجهاد وجهت إلى العلم الاسلامي هي ما بقي حتى بدأ محمد شاد السلطان العثماني في خريف سنة ١٩١٢ إلا أنها كانت نتيجة .

أن ما ذكرناه في تقدم من العبادات الواجبة هو اساس الدين الاسلامي . ولكن ليست العبادات كل ما في القرآن من اوامر وفروض . فلاحسن مثلاً بدعته التشريع القرآني . كذلك فممن السوء لأدبي سواء اكان فرداً أم اجتماعياً فإنه يبنى على اوامر الدين وأوامره وإلزامه الذي به يعرف الخلال من الخراء يرجع ابدأ إلى ارادة الله كما نزلت على محمد . على أن الاسلام هو اول دين في الجزيرة قال بوجود

(١) ليس في الاسلام نظرية حرب دينية . إنما هو جهاد .

العلاقة الحميدة بين الخلق والمخلوق وجعل العبد مسؤولاً عن نفسه . هذا وقد نسخ
الإسلام في ميدان الاجتماع قانون القبائل النبي على علاقة الدم واستعاض عنه بأخوة
دينية . أما في ميدان العفصان الإنسانية فقد جعل الإسلام عمل الخير واجباً ووصفه
بلفظة الزكاة وشدد عليه جداً . والآيت التي نقرأها في سورة البقرة : ١٧٢ وآل عمران :
١٠٠ ، ١٠٦ ، ١٠٩ - ١١ والآية ٥٠ : والأعراف : ٣١ تعطي إقتضاً ما أحله
في التوراة (مثلاً سفر عموس ٥ : ٢٣ - ٢٤ يونس ٦ : ٦ : مزمور ٦ : ٦ - ٨) وفيها
ينجلي ما في القرآن من مثل أخلاقية عية .

الفصل الحادي عشر

عصر الفتح والنوع والاستعمار

٦٣٢ - ٦٦١ ميلادية

المؤلف: الراشدي

١. أبو بكر ٦٣٢ - ٦٣٤

٢. عمر ٦٣٤ - ٦٤٤

٣. عثمان ٦٤٤ - ٦٥٦

٤. علي ٦٥٦ - ٦٦١

جمع محمد في شخصه وظائف النبوة والاشتراخ والامامة والقضاء وقيادة الجيش والرياسة المدنية في الامة . ولكن محمداً قد مات الآن فمن ذا تولى خلفه بعد موته ؟ على ان وظيفة الرسول من حيث هو خاتم النبيين واعظمهم هي بطبيعتها غير قابلة للانتقال الى خلف يربها عنه .

لما يترك النبي ذرية من الذكور ولا من الاناث حلالا ابنته فحمنة زوجة علي ام الزعامة او الشيخة عند العرب فما تكن وراثية تماما بل كانت في الغالب انتخابية تنتقل الى اكبر القبيلة سناً . وعلى هذا فنو ان النبي لما يختب ببه فان الشككة التي جابهها الاسلام من بعد موت الرسول بقيت على ما هي من التعقيد . ولم يعين محمد بوضوح خلفاً له فاصبحت الخلافة اقدم الحفلات التي واجهها الاسلام واعضاها ولم يزل يعاني مشقتها حتى اليوم . وفي آذار من سنة ١٩٢٤ التي الكاينوت

الترك الخلافة المنيّة في الامّة واقصوا عبد الحميد الثاني بعد اهضام ستة عشر شهراً على تلهم عرش آل عثمان . ثم عقدت عدة مؤتمرات اسلامية جامعة في القاهرة ومكة لبحث مسألة الخلافة وتعيين من هو احق الناس بها . ونكسها لم نعمل الى نتيجة . وقد صدق الشيرازي (١) اذ قال : « واعظم خلاف بين الامة خلاف الامة اذا سأل في الاسلام على قاعدة جسيمة مثل ما سأل على الامة في كل زمان » . توفي محمد فظهرت احزاب متضاربة . وهو ما يحدث في كل مجتمع يفتتح بشأن خطير . فكان هناك حزب المهاجرين واكثرهم قرشيون من قبيلة النبي وقد ادعوا ان الخلافة حق لقرشي وادّوا لهم . هم اول من قبل رسالة النبي . وكانت يثارهم على الخلافة حزب الاعراب وهم من اهل بئرب ودعواهم ان الخلافة يجب ان تكون فيهم وانه ولا احتفاظهم محمد وجمعيته بالاسلام في عقولهم فصاحت الرسالة والرسول معاً . ثم حدث بعد ذلك ان توحيد هذان الحزبان تحت اسم الصحابة . وكان هناك حزب آخر تفرع من اصحاب النعم والتعيين مبداء انه لا يجوز التسليم بان الله ورسوله يضمن جماعة المؤمنين تحت راية الانسحاب والبيعة . ولا مجال للشك - في رأيه - ان زعامة الاسلام معقودة من يستحقها على اساس منصوص معين أي علي ابن عبد الرسول وزوج فاطمة التي حلقته . فعلي هو خليفة الرسول الشرعي يؤمره النفس والتعيين . واستند هذا الحزب الولاية من الله فكان حق الخلافة عنده مقدساً . استند الآخرون من الامة والاطراف بالانتخاب والبيعة . وأخيراً ظهر حزب استنفاضة قرشي يشبه الامويين الذين كانت هذه الزعامة في الجاهلية واستأثروا بالسلطة والثروة الا انهم كانوا آخر من قبل الاسلام وقد هضموا الآن بدعون الخلافة وعلى رأيه ان يكون هذا هو رعي المصلحة مني حتى فتح مكة .

مقدمة الراشدين : عصر الحكم القشيمي

وظهر الحزب الأول - حزب المهاجرين - فم انتخاب علي بكر حي النبي واحد

الثلاثة أو الأربعة الأول الذين آمنوا بالرسول قبضه رهط الرؤساء المخشدين - ولعل مباينة أبي بكر كانت نتيجة اتفاق بينه وبين عمر ابن الخطاب وأبي عبيدة ابن الجراح - الكتلة الثلاثة التي ادارت شؤون الاسلام وهو بعد في مهده .

وأبو بكر الصديق (٦٣٢ - ٦٤٠) هو الخليفة الأول في الاسلام ورأس الخلفاء الراشدين الأربعة وقد ملأ عمر ابن الخطاب (٦٣٤ - ٦٤٤) فضاء ابن عباس (٦٤٤ - ٦٥٦) فلي ان اي حاكم (٦٥٦ - ٦٦١) وكان عصر هؤلاء انطفاء الأربعة عصر شغل في العيش وخشونة وغفل في الطمع والنسب تقرب امهات سيرة الرسول وما سيجته تلك السيرة لعومين من مثل عبد في البر والتقوى والبطالة التي لم تكن الايام قد درستها بعد . فطغيت احلاف الخلفاء الراشدين بطاع الرسول الشخصي ومحبك ان كلاً منهم كانت تربطه بالرسول عرى الصداقة والتمرس . واستقرت ولايتهم في المدينة وهي حجة اذكروا ايام الرسول الاخيرة لا عيباً فيه اختار الكوفة بانعراق فجعهم عصاة له .

الجزيرة ثورم

وكانت خلافة أبي بكر (٦٣٢ - ٦٤٠) قصيرة الأمد شغلته فيها حروب الردة . وقد سلكت مدونات العرب التاريخية مسلكاً واحداً في العرض هذه الحروب فذهبت الى ان الجزيرة بأسرها انضمت للإسلام ودانت لرسول في ايام حياته ، حتى اذا ما ادركته الوفاة قامت قبضة الأعراب واربدوا في حلال الحجاز وسعوا نفراً من الانبياء الكذبة الذين طهروا عندئذ . وواقع ان خطوط الاتصال بين الحب الجزيرة كانت يومئذ ضعيفة قليلة ووسائل نشر الدين ومث دعواته ضعيفة ولم يكن الزمن لاستنساب الاتباع قد اتسع بحيث لم يكن من استطاع بالفعل ان يدخل الاسلام في حياة الرسول اكثر من تلك سكان الجزيرة . ويجب ان لا ننسى ان الحجاز وهو القطر الذي ولد الاسلام فيه لم يمه هذا الدين الا قبل موت الرسول بسنة او سنتين . اما الوفود التي قيل انها قصدت النبي لتقديم الطاعة

والاقرار بولايته فلا يسوغ البت في انها كانت تنوب عن كل أنحاء الجزيرة . وإذا
است القبيلة يومئذ فلم يكن في الامر سوى ان زعماءها دخلوا في الدين .

وكانت بعض هذه القبائل المسلحة في اليمن والنجاة وعمان قد شهدت في مسنة
الزكاة واستنكرت عنها الى المدينة . وجاء موت الرسول حافزاً له على الخروج .
ولا يستبعد أن تشوف العاصمة الحجازية لمسانة حركت كوامن الفجيرة والحشد في
أوساط الجزيرة فجلت المذعنات التمردية واعصيات الاقليمية التي طلع عليها العربي .

ومع ذلك فقد اسر ابو بكر على طلب الاذعان من المرتدين والتسليم بلا قيد
او شرط وألا فالحرب حتى الدمار^(١) . ولم يمض الا زهاء سنة اشهر حتى تمكن
الاسلام بقيادة خالد بن الوليد من اخضاع قتال الجزيرة الوسطى وحمها على تقديم
الطاعة . فعالمه هو بطل هذه الحروب . وكانت اول قبيلة اخضعها هي بني امية
وعظمتين وكانت فيها بني ثقبه المسلمون بطلحة الكذاب . ثم فن جند المسلمين على
بني حنيفة من اهل النجاة وقد اجتمعوا تحت راية بني هبم ذكرته الاخبار العربية
باسم مسيفة بعميلة التصدير تحقيراً له واستهزاء به . وكان مسيفة هذا قد ابدي
اعظم مقاومة للاسلام ضد واحد صفوفه وعقد حلفاً دينياً دينياً مع سجاح^(٢) وهي
امرأة نصرانية فيما رووا ادعت النبوة وتعاظت الحرافة فتبعها فخم ثم تزوج منها وسار
فيها بقول باربعين الف مقاتل فانتصر على جيشين من جيوش المسلمين فوافاه خالد
وواجهه ولم يثن الا وانتصر في جانبه . بيد ان الغلبة لم تكن لصالحين دون استشهاده
عدد من حفاظ القرآن خشى عد موهمه على الكذب الكريم من الضياع . ولقد
سيرت المدينة حالات عسكرية بالرة قواد آخرين ثم لمه من النصر حظوظ متزاوية^(٣)
منها ما اتخذ الى البحرين وحمان وحضرموت واليمن حيث كان الأسود الغني قد
ادعى النبوة ودعا قومه فآمنوا بنبوته . اذ لم تكن حروب الردة في الواقع حروباً

(١) البلاذري ص ٩٥

(٢) كانت لها نسب الى شعب القبيلة النصرانية .

(٣) راجع البلاذري ص ٩٥-١٠٢

يقصد بها اخذ ثورة قام بها الفرنجون وكبح جماح الثأرين على الاسلام من اتخذه ديناً - كما توهم مؤرخو العرب - بل هي في الحقيقة حملات قصد بها اخضاع اعداء ما عرفوا الاسلام ولا قبلوا رسالته وحملهم على الانضمام اليه .

توحدت الجزيرة في خلافة ابي بكر سيف خالد . وقال ان نجبة الجزيرة الى اخضاع العالم كان عليها ان تخضع نفسها بنفسها . وقد جعلت هذه الحملات الداخلية من بلاد العرب في الاشهر اللاحقة لوفاة النبي امة مسلحة ما كادت تظفر . ناز الثورة الاعلى حتى حاوت الانحاء الى الخارج والتطلع الى مقعد جديد تشتر فيه ما خبرته من شؤون القتال . ولما كان الاسلام قد وضع حداً لتطاحن القبائل ضمن دائرته وشمل العرب بنوع من الاخوة والسلام كان لابد للروح الحربية العربية من ميدان جديد .

كانت الحادتان الخطيرتان في اواخر العصور القديمة هما الهجرات التونسية (الجرمانية) التي اسفرت عن غروب الامبراطورية الرومانية الشرقية والتفوحات العربية التي دكت مسرح الدولة الفارسية الى الاساس وزعزعت اركان الامبراطورية البيزنطية . فلو قام في الثلث الاول من القرن التاسع الميلادي احد وتكهن بان دولة خاتمة الذكر وصيغة الجذب تخرج من مجاهل جزيرة العرب ثم تنقض على الدولتين العظيمتين المعروفتين فتفتت الدولة الواحدة - دولة آل ساسان - وتظهر باملاكمها ثم تقطع من ولايات اشية - بيزطة - ازهي مقاطعاتها تقول لو صدرت مثل هذه الغزوة من فم اسان في ذلك العصر لحكم عليه بالجنون . والواقع ان هذا ما حدث فعلاً . فبعد الرسول تغيرت طبيعة بلاد العرب الجدياء وانحلت تشبه رجلاً ابطلاً بندر وجود من يشاكلهم في اي صقع كان فكان اعجوبة حلت فيها . فالحملات العسكرية التي قام بها خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وسعد بن ابي وقاص فاتحين به العراق وفارس وسورية ومصر هي من اعظم الحملات التي يرونها تاريخ

الحروب المذمومة وقد كشفت عن نبوغ قوادسها ونموقه في اساليب القتال وحذلت
اسماهم مع اسما نابوليون وهيدل ووليوس قيصر و الاسكندر .

وقد يصر الفتح لعرب اسباب منها التي فارس وبيزنطة ككثا قد وهنت نسب
الحرب بينهما اجبالا طولا . فاضطربا هذه الحرب الى ارباق رعيها بضراب
قاسية اذت الى عورهم . اهلك بن السيفان القتال العربية في سورية واراض
العرايين وفي السطوح الواقعة على حدود اقلان الفصيب وظهور الشفق في حرم
الكنيسة المسيحية الشرقية حيث شئت البدعة الموقعية في سورية ومصر ،
والسلورية في العراق وفارس ، مع مالا من ذلك من عداوة بيزنطة واصحابها للفلسفين
عن كنيستها . جميع هذه الامور سببت عمل العرنيين . وكان الروم قد اهلوا اخصين
العور . ومن بعد غزوة مؤنة الواقعة الى شمالي البقرا التي انتصر فيها عرب الشام
على جيش ارميه الرسول عليه (ايلول سنة ٦٢٨) اقل هرقا الجزاة التي كان
يوزعها في قتال الشام العربية القيمة جنوا من البحر الميت على الخط الواصل بين
المدينة وعرة (١) . وكان سكان الشام وفلسطين وهم ساميون وسكان مصر وهم
حديون ينحدرون العرب القدامى قوما من بني جسيم يربطهم بهم ما لا يربطهم
بالملك الحكام الاحبار القدامى . فامتزجت الاسلامية من هذه الوحدة هي عند
التحقيق انقلاب الخديجي سببي استرد به الشرق الادنى بحمد السبي القادر وهدم
الاسلام مبرا بالشرق الى تهوؤ من كبره بعد الف سنة ابتدته فيها سلوة
العرب . ونذكر ان الجزية التي فرضها القدامى العرب على ابناء البلدان المنسفة
عن فارس وبيزنطة كانت اقل مما كانت تفرض عليه في ظل الحكومات السابقة .
واقصد الفتح امام الامم السلورية باب الحرية فصاروا يشارسون غنائم اديانهم دون
اوعاج . ان العرب انفسهم فقد كانوا شعبا تمتد حبة وثقا وقد اطلبهم حمسة
قومية جديدة وتكثرت من نفوسهم ارادة لفتح وانظر وهاهم دينهم الجديد الى ان

استغروا من الموت ويختفروا الحياة. على ان نصيب وفرا من الغزو الذي حازوه
يرجع الى اعتبارهم لسبب حربية ثلاثهم فلولت آفة القرية ومعدري القرية
الشامية - منها استعمل الخيل والابل - وما تكن الروم تحسن استعمال .

اسباب النهضة

وقد مال بعض الباحثين في الحركة الاسلامية الى النظرية الدينية التي كبرها
المصدر العربية ففسروا التوسع الاسلامي كنتيجة لاهل الدين وما يعتقدوا كبر الهمة
على العوامل الاقتصادية . وتثبت بعض كذب النظرية بمكررة اخرى حادثة وهي
ان المسلم العربي لم يكتسح البلدان رافعاً القرآن في يد والسيف في الأخرى . ولا
صحة هذا الزعم فان العرب في حروبهم خرج الجزيرة كانوا يرمسون على اهل
المنصب من يهود ومصريين امواً كما عبر القرآن والسيف هو العرب الى مطامع
الغزيرين واصبح لهم من كلال الامرين الاولين - الجزيرة - ما قسوا... من الذين اوتوا
الكذب حتى يظنوا الجزيرة عن يد وهم مدعون . ثم قدت الاوصاف ان
يعرض هذا الاحتمال الثالث حتى على الخوض اسرع زادت وعلى الوثائق من التبرير
والفرق فحري عليهم وهم من غير اهل الكذب وعمسوا معصية اهل الكذب اذ لم
يمكن اخذ من ما يؤمن منهم وهم العدد الكثير بالسيف . فضرورة قدمت اذا والله
مقام النظرية القرآنية . ولا مانع في ان الاسلام الف بين المسلمين ووجد اهدافهم
وخلق لهم شعراً جديداً فكانت جهاداً لادبيهم القومي . فزال الشحنة والبغضاء
والتحمت العناصر المتنافرة فشأت بين العرب قوة بحركة وحدة . الا ان هذه الروح
الاسلامية العجيبة لا تكفي لتحصيل المتوحدين . فبست الآفة الدينية وانعصب ما
حدا بالعرب الى تدوير الدول وفتح الامصار اما هي الخطة الحادة التي دفعت شعائر
البدو . واكثر جيوش الفتح منهم الى ما وراء نفوس الدولة القفر الى مواطن
انعصب في بلدان الشمال . وثان كانت الآخرة أو شوق العصر الى بلوغ جنة النعيم

قد حجب لهم حومة اوقى فن ابتعد الكثيرين حياة الهند، والبدخ في احضان المدينة
التي ازدهر بها « افلال الخصيب » كان الدافع الذي حجب لهم القتال .
ولم يتعمد مؤرخو العرب القدماء عن الناحية الاقتصادية في تحليل الفتوحات .
وقد توسع في بسط هذه النظرية اثنان كيتاني ^(١) وبكتر ^(٢) وسواهما من العلماء
النقد . وذكر الباذري ^(٣) وهو احد مؤرخي الفتوح حكما ان ابا بكر اذ رأى
توجيه الجيوش الى الهند كتب « الى اهل مكة والطائف واليمن وجميع العرب بتجد
والجهاد يستقرهم للجهاد ويرغبهم فيه وفي غنائم الزود فبائع الناس اليه من بين
محبب ومطامع واتوا المدينة من كل اوب » . وذكر ايضا ان رسم القائد القارسي
القائم بالدفاع عن بلاده ضد هجمات العرب ارسل الى سعد بن ابي وقاص يسأله
توجيه بعض اصحابه اليه فوجه النبوة ابن شعبة فكلمه رسم بكلام كثير ثم قال
له : « قد علمت انه لا يمكنكم على ما اتم فيه الا ضيق العاش وشدة الجهد ونحن
نطلبكم ما تشعرون به ونصرفكم بعض ما نحبون » ^(٤) . وفي حنة ابي
نعمان ^(٥) بيت يجمع فيه هذا الرأي :

فد حنة المردوس هجرت تبني ولكن دعائك انظر احسب والتميز
فذا نعرتنا التوسع الاسلامي واحشد بالاحوال الحقيقية التي احدثت به الضح
لما انه كان الشوط الاخير في عملية الحروب المتواصل على مدى الدهر من البداية
القاحلة الى ما يتخلف من الهند افلال الخصيب - هو آخر الفجرات السامية العظيمة .
وان مؤرخي العرب وقد نظروا الى وقائع الفتوح على ضوء الحوادث التي خلفها
ذهبوا الى ان الحملات الاولى في الاسلام والخصب ما تم في ايام ابي بكر وعمر
تولاهم الخلفاء بشعب ربيهم وبعد نظره وضدت بتوجب خطة سابقة . على ان

(١) *Annals*, vol. ii, pp. 831-61 .

(٢) *Decker, Cambridge Medieval History*, New York, 1913, vol. ii, ch. vi .

(٣) *فتوح الشام*، ص ١٠٧ .

(٤) *الصدر عنه*، ص ٢٠٦ .

(٥) *الحاسة*، ص ١٩٢ .

متصفح التاريخ العائلي قلنا نجد التقنيين بالأمور الجاه يستبقون مجرى الحوادث
الظلية . كلا ! لم تكن هذه الحلات نتيجة خطة رسمها أولياء الأمر من قبل ،
بل بدأت الحلات كفتحات يقصد بها الوصول الى متفد جديدة لروح القتال الشارة
بعد ان حيل بينها وبين الحرب والخصومات ضمن ذلك النطاق الاخوي الذي
حدده الاسلام . وكان الغرض منها في كثر الاحوال الغنية لا الاحتلال او
الاستعمار . الا ان هذه الاداة الحربية التي توسل بها الاسلام في بدء امره لم تلبث
ان عظم شأنها فقلت من يد الدين استخدموه . وتواترت الانتصارات فذا الحارون
يزدادون ذرية ونوغلًا . وهذا بدأت الفتوحات المنظمة وما سبق مد من شوا
الامبراطورية العربية . فالتفكرة الاولى في خلق هذه الامبراطورية لم ترجع الى
سابق عمره او لغير بل الى مجرى الحوادث وسير الامور .

وفي تحليل اتوسع الاسلام حيلة دية بحرية لتتبعيل الاضي الذي اوردته
التوراة في انشاء مبردها وقام التاريخ العربي ومواقفة لم استطعت انفسه النصرانية
في المعمور الوسطى لتعبر التاريخ المسيحي . وما سبيل شرح هذه النظرية المنظمة بين
انها العربية ان المنظمة « اسلام » معني ثلاثة بسيل الانبياء باسماء : بدأ الاسلام دينًا
فلم يلبث ان اصبح دولة ثم صار ثقافة . وللاسلام بانصر انه دين يختلف عن اليهودية
والبوذية القديمة في انه مثل النصرانية دينة شير ووحيد في سبيل الديوع والانتشار .
وما لبث ان اصبح دولة منبئة الجذب . على ان الاسلام الذي فتح اراضي الشمال
لم يكن الدين بل الدولة . والعرب الذين فاجوا العلم والمفتوا عليه ان كانوا مدفوعين
بعامل قومي . فالتفوز الاول كانت للقومية العربية لا لدين الاسلامي . وما يدخل
السواد الاعظم من سكان سورية والعراق وفارس في دين محمد حتى القرن الثاني
والثالث للهجرة . ان فبين الفتوح العسكري والفتح الديني حقيقة متويزة من الدهر .
واذا كانت الامم المفتوحة قبضت الاسلام بعدد فلا تهم لانت انتصارات من الجزية
ونقلت لشركة الطبقة الحاكمة في ولاية الامور . وبعد الفتوح العسكري والفتح الديني

سار العرب والمستعرون في منهج الثقافة يخطي واسعة فصيح الاسلام ثقافة وركز
اركانه على اساس ما ورثه من حضارة السريين والآراميين والفرس واليونان التي
تعدت اليه . فللإسلام باعتبار انه ثقافة جاء متأخر ولاحق لانتشار اللغة العربية
بين الشعوب الفتوية . وبالإسلام استطاع الشرق الأدنى ان يسترجع ماضيه المخذل في
ميدان السياسة فحسب كل في ميدان الثقافة ايضا حيث نسي له ان يستعيد
سيادة التكريمة .

الفصل الثاني عشر فتح الشام

حين قدم هرقل الذي كان قد تمهله الله بعينه حتى الصراية ومعيد وحدة
الامبراطورية الرومانية الشرقية الى بيت المقدس للاحتفال برفع الصليب ^(١) بعد ان
استرد الروم من القرمس سنة من حنطة الخراط وروا الارمن الى عصاة من العرب
قد هجمتهم فرددوا على انفسهم جهد كبير . وقد حوت هذه الواقعة في مؤنة وهي
تحت البقاء الى الشرق من طرف البحر الميت الجنوبي . وكانت التي قد ايسل
حدث من المسلمين قوامه ٣٥٠٠٠٠ لاف مقاتل ^(٢) بمؤيدهم انه الذي معه زيد ابن
حذافة ^(٣) قتل زيد وهو حاكم ابن ابيد وهو حدث امهت بالاسلام اعباء القيادة
وخلف عاتدا تحته الميراث الشمل الى مدينة . وكانت القرمس القاهري من هذه
الفترة هو الميراث رسول كان الذي قد منه الى ايراحدسة في عسرى قتل . اما
ابعد الموهري فهو رعية محمد في الحصول على السيوف الشرقية ^(٤) التي كانت
تسعى في مؤنة وواحيد مسيح . راحة يوم الفجوة القيد على مكة . وكانت
من الطبيعي ان تفسر هذه الواقعة على اب غزوة عديدة من هذه الغزوات التي بهم
هم البدو ابدا الخصرة الله الله . وانواع اب الطفلة الاولى من رايح مسنم لم
سنة امره حتى سقطت العاصمة البيزنطية المعجزة (١٤٥٣) على يد آخر حماة
الاسلام آل عثمان وحل اسم محمد محل اسم المسيح المنقوش على حدران سانت

١ في ١٤٥٣ سنة ٦٩٩ وهو عيد عيد الصراية في بيت المقدس وسورة في اليوم .

٢ في القري ، تاريخ ج ١ ص ٢٦١٠ وقال Theophanes, p. ٢٢٦

٣ مؤيد الرسول صاغة .

٤ سيرة الى مشارف الشام .

صوفيا - افتم كاندراية في العالم المسيحي حين ذاك .
 وكانت غزوة مؤنه هي الحملة الوحيدة التي جردت على الشام في حياة محمد . اما
 حملة تبوك ^(١) التي قادها محمد نفسه في السنة التالية (٦٣٠ / ٩) فلم ترق فيها دماء
 مع ان المسلمين اخذوا فيها بضع واحات من اليهود والنصارى .
 ووضعت حروب البدة اوزارها فبهز اشمون في خريف سنة ٦٣٣ ثلاث سرايا
 في كل منها ثلاثة آلاف مقاتل يرأس الاولى عمرو بن العاص والثانية يزيد بن ابي
 سفيان والثالثة شرحبيل بن حسنة وسبروها الى الشمال ^(٢) . فوضعت الحملة الى
 الشمال وبشرت الحركات العسكرية في الجنوب والجنوب الشرقي من الشام . وكانت
 حامل اللواء في سرية اخوه معاوية مؤسس الدولة الأموية فيها بعد . وسلك
 يزيد وشرحبيل طريق تبوك ومضت البسر . اما عمرو (الذي عهد اليه باصرة
 الجيش كله اذا استمر الامر عملاً متعدياً) فقد سلك طريق أيلة (العقبة) الساحلي ،
 وظل المدد يصل الى اسرايا حتى صار مع كل امير نحو سبعة آلاف وخمسة رجال
 وكانت ابو عبيدة ابن الجراح الذي صار امير الجيش فيها بعد قد جاء على رأس
 بعض هذه الامدادات سلكاً بها طريق الحج المعروف وهو طريق النقل القديم الذي
 يربط المدينة بدمشق .

وكان اول امطدام في وادي عربة وهو منحصر عظيم جنوبي البحر الميت
 واجتمع فيه يزيد على سرجيوس بطريق فلسطين الذي كان مقره قيسرية فرددت
 الروم نحو غزة ولم يبق من جيشه الا عدة آلاف من الجنود البيزنطيين بفوذهم
 سرجيوس فانبعهم المسمون واخذوكوهم عند قرية يقال لها دائن وكادوا ان يفنؤهم
 (٥ شباط ٦٣٤) . اما في غير هذه الواقعة فقد ساعد البيزنطيين موقعهم الطبيعي
 ومكثوا بالمتعين تنكيلاً . ثم اسرع هرقل ، الذي كانت قد تمرس على الحروب
 وقاتل انقرس في الشام ومصر ست سنوات حتى اجلاهم عنها ، عائداً من الزها

(١) الواقدي ص ٢٤ وما يل ٥ . لاثري ص ٢٩

(٢) قابل العمري ، ج ١ ص ١٨٣ . تشر ليس السكة ١٨٣٣ : ١ ص ٩٩ - ١٠٠ - ١٠١

« أستاذ » موطن اجداده لتنظيم خطة الدفاع وتجهيز جيش وافر العدد والعدة يقدر
امارته لآخيه نيوودورس .

وبينا خالد ابن الوليد سيف الله ^(١) يقاتل في العراق ودمه خمسة جندي
من غرستهم حرب الردة يغامرهم بنو شيبان وهم من بطون بكر ابن وائل
القيمين على حدود فارس اذا مكثت راية من ابي بكر يأمره فيه بالشحوص فوراً
الى جبهة الشام لتجدة حيوش الاسلام فيها . وكانت غزوة العراق قد حدثت في
مستهل الفتوحات الاسلامية قد تعرف فيها كثير من الدماء . وليس غريبة ان
يكون خالد قد قام بهذه الغزوة مستقلاً حيث ان اصحاب الامر في المدينة والخيبر
كانوا محصورين اكثر اهتمامهم في بلاد الشام المحيطة دون سواها . وقول ان
يعتذر ابو بكر امره الى خالد بالتبر الى الشام كانت الخيرة في العراق قد حدثت
لخالد وحليفه اثني ابن حارثة سيد شيبان على ان يدفع اهلها ستين الف درهم .
وكانت هذه المدينة التي كان على عرشها امير عربي بصري اول غنبة اخذها
الاسموس خارج الجزيرة او قل هي المؤنثة الاولى التي اتزعم العرب من خارج
الاساس . وكان خالد قد فتح عين ثمر غنوة وهي حصن منع في الدرة الى
الشمال الغربي من الكوفة قل يزود كتب ابي بكر عليه .

مغامرة خالد في البادية

قطع خالد البادية فسلط طريقاً مختلف السكوب في وسط البصري كما تصف
آراء المؤرخين في تعيين الزمن الذي استغرقه ذلك المغامرة ^(٢) . ولقد رجح
النفذة الحديثون ان خالد بدأ سيره من الخيرة (آذار ٦٣٤) واتجه غرباً محاذاً لقلب

(١) لوفدي ص ٢٠٩ من مسالك ج ١ ص ٩٢ - ٩٠ - ٩١

(٢) قال القادري ص ١١٠ - ١١٢ من بطون ج ٢ ص ١٠١ - ١٠٢ من ج ١ ص ١١١ - ١١٣

١١٤ - ١١٥ من مسالك ج ١ ص ١٣٠ من لوفدي ص ١١٤ - ١١٥ من ج ٢ ص ١١٤ - ١١٥
١١٦ - ١١٧ من مسالك ج ١ ص ١٣٠ من لوفدي ص ١١٤ - ١١٥ من ج ٢ ص ١١٤ - ١١٥

الصحراء الى واحة دومة ^(١) الجندل (الجوف حديث) وهي واحة تقع على منتصف الطريق بين العراق والشام. ولتلك كانت اسم الطريق المروقة. واتخذ من دومة الى وادي سرحن (عظم السمرقندية) ثم اتجه عن بصرى وهي اول مدخل الشام لآل منبجة الحصون فتجهول الى فراقر ^(٢) ملازم حارب الشرق من تخوم وادي سرحن. ثم فوز ثلثا الى سوى ^(٣) وهي مدخل الشام الذي وبين فراقر وسوى مبر خمسة ايام في الدابة الذخيرة. وكان دونه رحلا من قبيلة ملي. يدعى رافع ابن عجير. وكان خد قد استكثر من الداء فحمله معه الى الجبل فكان يسقيها من اكرش الواحل ^(٤) التي كان يحرق ويقدم طعاما لطودهم وعندهم بين الخس والذي منه. وكانت الجبل تسمى حبيبة لبعض فم تركب الجنود الا في حومة الزغبي. وقد سار النور بصرى رافع. ولاتعة النور في الصحراء مربي نمكة الرمال فحل في العيون اسوأ فعل. ثم سمع رواية موطن الداء ولكنه اشار الى شجرة عوسج على ظهر الطريق فوجدوه واخذوا فوجدوا حبيبة فمروا بها حتى رويوا واخذوا من الداء حاجتهم.

وتسير جلد بعول دمشق فلاحا مؤطرة جبال الروم مصحفة مسرجية بعد رحلة دامت ثمانية عشر يوما. وهذا بدأت حيلهم التي ظهر فيها ما كانوا في مرج رافع ^(٥) وانحر على عدن في يوم فصحهم وهم بصرى فطلبهم وغمر منهم. ثم قدم بصرى (الكي داء) فحل في جبال جيبوش العربية التي كانت قد ثبتت الروم في الجندل ^(٦) في الثلاثين من تموز سنة ٦٣٥ تكشفتهم وهرمتهم وقتلت كثيرا

١ - وردت في سفر بكون ٤٤٥٠ والشمس ١١٦٩

٢ - من فراقر حديثا

٣ - انور من سبع رطل الجندل شمل شرقي من دمشق

٤ - في اشارة لشور. جبال دابة النور في اعداء عرب قديمين. يعنون بطون رومهم من الجبل. لطفه مصطب. Luckenfull vol. II, 827 ولا يزال يدعو هؤلاء على دابة في اليوم Mosul, Arabia Deserta p. 570

٥ - من معاصر حسانة على حد ١٦ ميل من دمشق مغرب من حمراء

٦ - لو جاسين بن ربه ولس جيري (يوترووليس ثو جوماية) على طريق عزة وانور حليم

منهم . وبذلك اغتاحت اواب قسطنطين امه السمين . وثب قدمه خالد ابن الوليد على السمين في بصرى وهي احدى عواصم غسان اطمع القواد معاً وأمرؤا عليهم خدماً وبدأت الحملات النظامية اذ ذلك ففقت بصرى وطلب أهلها الصلح بلا مقاومة كبرى . ثم ذهب فعلى (او فحل رلاً في اليونانية) الى الشرق من الأردن وهي حصن يسيطر على معبر الأردن وقد حصره السمين حتى طلب أهلها الامان في ٢٣ كانون الثاني سنة ٦٣٥ . وتمكنت امه السمين السيل الى دمشق عاصمة الشام بعد أن هزموا جيوش الروم المندمعة في مرج الصفر ^(١) في ٢٥ شباط سنة ٦٣٥ . وقدمه خالد حتى ثلث نحيوشه امه بان دمشق الشريفي هذه المدينة التي تذهب الروايات الى انه تقدم من الأيض والتي من سوارهم دى القلابد ولى الرسول في سار بلة هربه الشهيرة ^(٢) . وقد سمعت دمشق في الحول من سنة ٦٣٥ بعد حصر دام سنة الشهر وكان السمين اثر حيازة قدمه بان سمين الرباب السلطة الدينية والروحية وبمبه الاسقف حد القدس وحدث الذي سجنه بالذكر فيما الى من تاريخ الامويين . وقد قدم دمشق الى اعدو من بعد عاصمة الامبراطورية الاسلامية . وقد صالح أهل الدمام عندهم ورضيت الخاضعة البيزنطية . واصبح العهد الذي اعطاه خالد لأهل دمشق كما اوردته اللاذقية ^(٣) نموذجاً لما اعطاه لسائر المدن السورية :

« بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أعطى خالد ابن الوليد أهل دمشق اذا دخلوا اعطاهم امناً على انفسهم واموالهم وكنايبهم وسور مدنيهم لا يهدم ولا يهتك بيت من دورهم فله ذلك عهد الله وختمه رسوله صلعم وانفدوا والمؤمنين لا يعرض لهم الا باختيار اذا اعطوا الجزية . »

وجعلت الجزية ديناراً وجريباً (غير حنطة) على الرجل وقد رفع ^(٤) عمر

(١) سهل على سنة ٤٠ ميلاد في الجنوب من دمشق .

(٢) سفر الاعمال ٢١: ٢٩

(٣) ص ١٢٩

(٤) اللاذقية ص ١٢٤

ابن الخطاب هذا المبلغ فيما بعد . ثم تناقلت بعد ذلك بعلبك وحمص وحماه (ايقاتنا)
وسواها من المدن كالوراق الخريف . ولم يترق منير القنايع عقبية ما قضى نحو
شيزر (لارسا) فخرج أهلها يكفرون ومعهم انفسون ^(١) فدعنوا له .

يوم اليرموك

وكان هرقل قد حشد جيشاً بلغ بأهله خمسين ألفاً وولى عليه اخاه ثيودورس
وتغفر للوقوف في وجه العدو وقفة حاسمة . فسرع خالده الى الجلاء انوقت عن
حمص ودمشق وسواها من مراكز الخطر اخري وحشد خمسة وعشرين ألفاً ^(٢) من
حشوده في وادي اليرموك ^(٣) . واليرموك رافد يسب في الاردن . ومرت شهور
دارت فيها المناوشات بين الفريقين الى ان كانت المركة الفاصلة في العشرين من
آب سنة ٦٣٦ في يوم حار اسفدت فيه سحب من الممر الذي افترقه الرياح في
بقعة من الارض كعاد نهب من شدة القحط . ولا شك في ان القيادة العربية
قد تغيرت ذلك اليوم ونلك البقعة للاشياء بالمدور . ولاحق المسلمون الروم حتى
هزموه ولم تعد جهود البيزنطيين شيئاً ولا خروج كهنتهم اليهم ومعهم العلبين وهم
يرتلون ويحسون ^(٤) . واستمر القتال في الارض ومرتزقة العرب ممن واصل الروم
فزال المسلمون من لم يقتلوا منهم عن مواقعهم فراجعوا حتى الجأوا هم والمدة التي
جاءهم الى خندق صيغ الهرب بين نهر اليرموك ووادي الرقاد . لم القنة الماحية
منهم ممن عبروا النهر الى الضفة الاخرى فقتلهم فيها المسلمون وافتنهم او كادوا .
وخر ثيودورس أخو هرقل سريعاً ولم يبق من جيشه الا القليلون وهكذا فان
وقعة اليرموك كانت مربة قضية على البيزنطيين . ولم يبق هرقل خيراً رجل عن

(١) المصدر نفسه ص ١٣١

(٢) قدرت الاخبار عربية عدد جيش الروم في سنة ٦٣٦ في وادي الرقاد وخمس جيش حمص عو
رعي . ولا يدرى الالهة في وادي الرقاد . منها ما روى مصادر عربية . ومنها ما روى

(٣) يرموك في سمرقند ٣١١٠ م . في تاريخ الخلفاء .

(٤) المصدر نفسه ص ١٣٦ . في تاريخ الخلفاء .

البلاد وأدرك أن الامبراطورية قد خسرت إحدى مقاطعاتها الفضلى ولما جاوز
الدرب في طريقه إلى القسطنطينية قال مودعاً أرض الشام : عليك يا سورية
السلام ونعم البلد هذا للمدو ! ^(١)

ودعت الحاجة بعد أن تم الفتح إلى رجل إدارة وتنظيم يحمد إلى أنسالة
والسيرة فكان كتب عمر أن الخطاب إلى أبي عبيدة ابن الجراح بنى أبي بكر
واستعمله أيام وعمره خاتماً . وأبو عبيدة من أرفع الصحابة قدراً وأعز رجال الحكومة
المدنية بالمدينة إلى النسي . وكانت قد سر في جيش الفتح فتولى الإمداد وبلغ
حدود الشام ثم رافق خاتماً إلى الشام ويقال أن عمر أن الخطاب كان يضر عدا
شخصياً لخاتماً . ومما يكن الأمر عتقد كان سقوط دمشق عظيماً وبسقوطها سقطت
جميع البلاد الشامية من أيدي البرطيين حتى جبال طوروس - تخوم سورية الطبيعية
في الشمال . وثبات مبول السوريين قدما هي في جانب الفاتحين وقد ذهب إلى أهل
همس محاطتهم المسلمين بهذا الكلام : لولايتكم وعدنكم أحب اليانا مما كنا فيه من
الظم والضم . ^(٢) وسقطت الطاقية وحلب وسواها من مدائن الشمال دون
مسلة الأقسرين (كلنس) فيها كلفت العرب بعض الماء . ولم يبق في قبضة
الروم من مدن سورية الجنوبية إلا بيت المقدس وقيسارية وكانت الفيلينيون هم
العصر الغالب فيها . لذلك حدث هناك المدينتان غارات المسلمين فلم يذعن لهم
الأول حتى سنة ٦٣٨ والدية حتى سارن الأول من ٦٤٠ . وأمد الروم قيسارية
غراً فوقفوا العرب على مكافئهم في البحر . وحاصر المسلمون قيسارية سبع سنين
ولحقها معاوية بفضل حيلة يهودي من أهلها . وبين سنة ٦٤٣ و ٦٤٠ تم فتح
الشام من الجنوب إلى الشمال .

ومدق البلاخري في تسميته هذا الفتح : فتحاً يبراً ^(٣) . فالاسباب التي

١ - البلاخري ص ١٣٧

٢ - المصدر نفسه وأصحها رجب

٣ - المصدر نفسه ص ١١٦ ، ١٢٦

مهدت سبيل الظفر امام المهاجرين هي ان الثقافة الفلبينية التي طُست على البلاد مذ قتها الاسكندر (٣٣٢ ق . م) لم تكن قد غيرت طبيعة السكان بل انما لم تعد في تأثيرها نطاق الظاهر الخارجية . ولم تكن هذه الحضارة اليونانية الاسكندر الذين فقد حافظ سكان الاراضي على ثقافتهم الوطنية واختلافاتهم الطائفية التي فصلتهم عن اسلافهم الاجانب . وزادت التفرقات الطائفية في مدى هذا التفرق بين سكان البلاد وهم سميون وحكامهم الدخلاء وهم يونان . فالكثيرة السورية النوفورية آمنت ان المسيح طبيعة واحدة لا طبيعتين (الفية ونسرية) كما ارادى الجمع الخلقيدوني (٤٥١) الذي اقره كنيسة بيزنطة اليونانية . وسمى هرقل سنة ٦٣٨ الى ثبوت الخلاف النشأ مصدر صيغة جديدة للايمان كان قد ابتدعها سرجيوس^(١) بطريرك القسطنطينية لرادى ان يحول الاقرار عن مسمة الطبيعة الواحدة والطبيعتين ويوجهها الى ان المسيح مشيئة واحدة ومن هنا نشأ اسم شيعة مسيحية جديدة هي « النوفورية » هي القالة بمشيئة واحدة للمسيح . ولم يلاق هذا الاسم الا الاختلاف شئ كل معنى بقصد « التوفيق بين عقائد الايمان المتفردة فلا يرض به دعاة كنيسة بيزنطة ولا اقره النسطوريين بل ادى الى ظهور طائفة جديدة كوت جزاً ثالثاً . الا ان كثرة السكان في سورية احتفظت بعقيدتها النوفورية (طبيعة واحدة) . ولا جدال في ان وراء النزعة الدسية التي حسنت هؤلاء التعلق بكنيسة سورية المستقلة . فوسعي القتال يوحىب التميز عن البيزنطيين الاغراب .

ادارة مؤرته الشام

وقدم عمر ابن الخطاب الى الشام قبيل سقوط القدس فزال في معسكر الجربة وهي الى شمال الساحة التي جرت فيها وقعة اليرموك ولا يزال باب دمشق الغربي الى يومنا بسمى بالجربة . وكان القصد من مقدمه الخليفة الاحتفال بالفتح وتقرير حالة النطوبيين والتشاور مع امير الجيش ابي عبيدة الذي تولى الامارة بعد يوم اليرموك

(١) كان سريدياً ينتمى الى عائلة على مذهب بطريركية واصحاب النوفورية من أهل سوريا يعرفون له الطالب بالعبادة لدية الى بطريركهم بطريركهم بزمرة بزمرة سنة ٥٧٤ .



ووضع النظم اللازمة لإدارة الحكم في المنطقة التي وقعت تحت سيطرة المسلمين . ولما
 حلت القدس جاءها عمر زائراً وأخذ صلح أهلها وكتب لهم به فاستقبله بطريرك
 اورشليم صفرونيوس الملقب بـ « حامي الكنيسة المصولة اللسان » وطاق به على
 انهاء البلدة وأمره الأماكن المقدسة . وكان هيئة الخليفة البسيطة ولباسه الرث اثر
 عظيم في نفس صفرونيوس فتفتت الى احد مراقبيه وكلمه باليونانية قائلاً : « حقاً
 هذا رجس الخراب الذي شكلم عنه النبي دانيال ^(١) ورآه قائماً في القدس » ^(٢) .
 وما لبث ابو عبيدة ان توفي في نحواس (او نحواس) ^(٣) معصاً بطائون قيل انه
 فتك معتبرين القاء من الجنود . وما انت عمر ان الخطاب وفاة ابي عبيدة كتب الى
 يزيد ابن ابي سفيان بإزالة الشام مكانه فماتوا في يزيد انتقلت ولاية الشام الى معاوية .
 وجعلت سورية اربعة اجزاء تتعاذل واقام البلاد الادارية على عهد الزمان
 والبيزنطيين التي كانت لا تزال مربعة الشام القنوج وهي جند دمشق وجند الاردن
 وفيه الجليل وجند فلسطين وهي الارض الممتدة الى الجنوب من مرج ابن عامر .
 اما جند قيسرين في الشمال واما اضافة الى اجزاء الشام يزيد الاول الخليفة الاموي .
 وكان لمسرعة والسهولة المتين ثم لمسلمين بهي النزاع مثل هذا الاقليم السقراحي
 الهام من اعظم سلطان في ذلك العصر اثر كبير اكسب دولة الاسلام الجديدة نفوذاً
 ومهابة في الماء وولد فيها فوق ذلك قوة نفسها ومصيرها . ثم زحفت جحافلهم من
 الشام الى مصر ومن سلك طريق النصر الى كل افرقية الثمانية واتخذت الشام
 قاعدة شئت منها القزوات متدججة الى ارمينية وشمال العراق وبلاد الكرج
 وآذربيجان . كذلك توالى الغارات على آسية العفرى طيلة السنين ولم تفض
 مئة سنة على وفاة الرسول حتى تمكن العرب بتدمير جنود الشام من التغلب على
 اسبانية في اقاصي اوروبا ووسعها في دائرة الاسلام المنطردة الانحاء .

(١) دانيال ٢٩٦

Theophanes, p. 339 Constantine Porphyrogenitus, "De administrando Imperio" in J. B. Migne, Patrologia Graeca, vol. cxlii (Paris, 1864), col. 109 وحسان
 صفرونيوس ماروني الأصل على الأرجح .
 (٢) لا سهل اليهودية .

الفصل الثالث عشر

فتح العراق وفارس

قبل أن تترك حامد أخيرة فلبس وبنه الخليفة غزاة إلى الشام خلف حليفه
 البدوي الثاني ابن حذيفة شيخ بني شيبان قاتلاً على الجبهة العراقية . وكان العرب
 يستعدون لدرء غارة العدو فدخلوا الكتيبة العربية في معركة الجبل (١) بنو
 أخيرة في ٢٦ تشرين الثاني سنة ٦٣٥ ووقعوا به وكادوا أن يهزموا عليها . ولكن
 لم يمت هذا الغزاة من سعد الثاني فجمع جيشه وحمل في تشرين الأول أو
 تشرين الثاني من السنة التالية على مهران قائد العرب هضبه في وقعة البويب على
 الفرات . على أن انتهى لما كان الأسيد من أسيد الدولة لا يعود له في المدينة أو
 مكة ولم يسمع بالاسلام أو يقبضه ولا بعد وفاة رسول دمار الخليفة عمر سعدان
 أبي وقاص ، أحد الصحابة العشرة الذين بشرهم محمد بأخيه على أثر وقعة بدر ، على
 جيش أرسله لأمداد المسلمين في العراق . وكانت وقعة اليرموك قد أدت إلى سقوط
 الشام في أيدي المسلمين فخرج سعد ومعه ستة آلاف رجل لملاقاة رستم عامل العرب
 فشتبك الجيشان في القادسية على مقربة من أخيرة . وكان يوم تلك المعركة (آخر آيار
 أو أول حزيران ٦٣٧) شديد الحر حار الجو من العبد الذي ارتفع الريح وهو يوم أشبه يوم
 اليرموك فغلب العرب كما أخبروا يوم اليرموك واستولوا بالأسباب الخيرية نفسها التي استأنوا
 بها هناك ووصلوا إلى النتيجة نفسها هتف رستم وتشتت الجيش الساساني وانفتحت

(١) على الفرات . في القرنين من ٢٢٠-٢٤٠ : في القرنين من ٢٤٠-٢٦٠

أمام الغزاة سهول العراق^(١) الخصبة (السواد) إلى الغرب من دجلة . وقد رحب
 الفلاحون الآراميون بالمقاتلين ترحيباً لا يقل عن ترحيب الفلاحين السوريين وذلك
 لأسباب متشابهة إذ كان العراقيون الساميون يحسبون سيادتهم الآراميين اجانب
 محقوتين ويزرون المناحين اقرباء لهم . ولم يخطب الجيش لأهل العراق وهم انصدى إذ
 ذاك في ظل الفرس وهم اتباع زرادشت . اصف إلى ذلك ان لغارات ودويلات
 عربية كانت قد نشأت على الحدود بين الجزيرة والعراق قبل الاسلام فحرون عديدة .
 كذلك سهل للعرب السيطرة على ارض العراق منهم وبين سكنت البلاد من
 علاقات تعود إلى اقدم العصور البنية . وصلات ثقافية ، واختلاط مستمر بين معاصر
 البدو وأهل البلاد . وكما حدث في الشام بعد اليرموك حدث ايضاً هنا بعد القادسية
 فآخذ الكثير من القبائل العربية تتدفق إلى العراق وقد افرغهم خبرات البلاد
 ونماؤها .

مضى سعد ومن معه إلى المدائن^(٢) عاصمة الفرس فذهبوا إلى دجلة وهو طافح
 بالماء من سيول الربيع وإذا بالفرس قد رفضوا النصر والفسخ فلم يجد المرأة سبيلاً إلى
 العبور . ولم يلبث الأمر عزيمة سعد فزال حتى عبر دجلة ونزل الضفة الشرقية
 ولم ينفذ شيئاً ولم يعرف من جمعه احد فهاجت الفرس « والله ما تقتلون الا جنأ » .
 وحسب اخبار الاسلام ذلك الصور معجزة . ولم يبق في المدائن احد من اوليائها
 لأن حاميتها وعاهل الفرس قتلوا عنها فاقطعتها جيوش العرب ودخلها سعد في حزيران
 سنة ٦٣٧ . وتقدم اطلق مدوؤ العرب الصان تحيلتهم في وصف ما جمع من في .
 أهل المدائن وما غنمه السفون من كنوز « القصر الأبيض ومنازل كسرى وسائر
 المدائن » . قانياً كان في بيوت اموال كسرى تسعة آلاف مليون درهم (ثلاثة

(١) كلمة « عراق » مستمدة في الواقع من البهوية ومعناها الأرض الواضحة ولقد أطلق حرب على هذا
 الألف اسم « السواد » لخصرة الزرع و « نجيل » أي فيه وفير بين ارضه وارض حمره . « بالقوت » بلدان
 ج ٣ ص ١٧٢ وقيل (p.60) Olmstead, History of Assyria, (New York, 1923)

(٢) نحو عشرين ميلاً إلى الجنوب شرقي من بغداد وتشمل مكتوبة في عربي دجلة وتبلغون في اجانب الشرقي

آلاف الف ثلاث مرات (١)

احتل عرب الجزيرة الجديبة اعظم العواصم الملكية في آسية الغربية فحدقت بهم اسباب البذخ والرخاء ونصوا بوسائل الراحة التي عرفها حية القوف في ذلك العصر . وادبل من سطوة الفرس الى هؤلاء العرب الذين اقتادهم سعد فقهروا واملوا ملكهم في العراق وقرع على عرشه سعد فافتح له ابواب كسرى ذلك القصر الملكي الضخم وفيه المجالس الزجة والقدحار اليدعة والريش الفاخر والزينة الطريفة التي اطلبت بوصفها الاشعر العربية من سعد . ومن العرف المستمعة التي سجلتها مدونات العرب فجاءت مصيلاً وازن به بين ثقافة الفرس الطلوبين ومذاحة العرب الغافلين انت اعرابياً ظفر بخراب فيه ككفور غفلة مدعة وطبخ طعاماً وضعه فيه (٢) وان بعضهم كان يأخذ في يده الذهب الاحمر ويقول من يأخذ الصفراء ويعطي البيضا (٣) يرى ان القصة غير من الذهب . وما أمضى خالد صلح اهل الخيرة دفع الى اعرابي بنت احد حكام الخيرة فباعها الاعرابي بثلث درهم ولما لامه اصحابه على اكفائه بذلك القدر من المال قال : « ما كنت اظن عدداً يكون أكثر من عشر مئة » (٤)

فتح المسلمون القادسية والمدائن ثم بدأ سعد ذلك فتح العرب المنظم لبلاد الفرس . وكان لهذا الفتح قوة مركزية يسوسها توجهون بالامور من القاعدة العربية في البصرة . وورد كتاب عمر الى سعد يأمره فيه ان يتخذ الكوفة دار هجرة للمسلمين ومدينة يكتوبها ومقرراً للجدد وهي على مقربة من الخيرة الحديثة . واستغنى بها الخليفة عن المدائن التي كانت سعد قد ابنت فيها اول مسجد للاسلام في ديار العراق .

(١) الطبري ج ١ ص ٢٢٤٣٦ دبل ابن الأثير ج ٢ ص ١٠٠ - ١٠١ Caetani, *Annali*, vol. III, pp. 742-6.

(٢) ابن المقفعي - القسري . نشر ديربورج (باريس ١٨٩٥) ص ١١٤

(٣) المصدر نفسه ص ١١٥ ديربورج ص ١٣٥

(٤) البلاذري ص ٢٤٤

وفي أثناء ذلك كان يرتجرجد الثالث الأساسي هرباً نحو الشمال يرافقه عظماء
بلاطته وأهل بيته . وأعظم الأتباع في حمولة . وخذلوا فيب وهي على حافة
المرتفعات القريية فدجسب العرب فيب (آخر سنة ٦٣٧) وخذلوا عبيد حملة أجوسهم
بها عن موقعهم فوئرا هربوا واستكثت بلاد العراق . رمتب قبيلة العالين . وفي
سنة ٦٥١ تم فتح الموصل وهي على مفرقة من القرض السوي القديقة على يد عبد
ان غير الذي سار من الحار الشام . وفي تلك السنة حرت آخر موقع الكري .
موقعة بوند - بالقرب من همدان (الكشور القديقة) وأهزم الفاحول من جيش
برمجرد وظهر السعوي وحيلة بوند على الجيش وكان حربية قد أخذ الزنة من
بعد مقتل العالين بن سفل . وأوجبت حملة من البصرة والكوفة ومنبت حوزستان
(عباله القديقة وهي شوش من بعد وشر من بوند) سنة ٦٥٠ . وأولت قدم
السعوي في البحر من وصحت فم مقر الكري من بعد البصرة والكوفة وخذلوا
فرسبون القريية وهم فيب حربة على بوند ثم ما لبثوا أن حردو مع حملة على
أقام فارس (فارس ي فوسن القديسي السعوي) على شاطئ خليج العجم
الشرقي . وفي هذا الأمر العرب حتى خضوا شوكة سكان البلاد وهم غير سديين
فخذلوا الصخر (بسويين) - اعظم مدن فارس - وكان ذلك سنة ٦٥٩ - ٦٥٠^(١)
وكان قودهم عديده ان حردو شمس البصرة . ومن فارس انشدت سطوة العرب
الى خراب فارس وهو من بعد واسع الارض في الشمال الشرقي ومنه عدوا الى ما
وراء النهر (اي نهر سيحون او لاكسوس عند لافوج واسمه موريه و امورا تارة
عند سكان البلاد) . وما أنفق العرب ادراج مكران اي مدخل الهند من
الوحدان نحو سنة ٦٥٣ خضوا على فوب قوسين من بلاد هند .

وكان السعوي قد خضوا على ربيعة البريعة سنة ٦٥٠ بتقديم عديس ثم

(١) حتى فارس سنة ٦٥١ من بعد فارس وضم لافوج شوش (السعوية) و ساسانية في الاول الخوي
من القرن . وخذلوا فيب مغة فارس . عريسة فديقة معروفها في فارس وأخذوها على شمس كاه
(٢) نظري ج ١ ص ٢٠٤ - ٢٠٥ و ٢٠٦ - ٢٠٧ . Vol. V. pp. 19-25, Vol. VI. pp. 219-20, 208-209.

مضت سنوات أربع فوجهوا حملة ثانية على ارمينية يقوده حبيب ابن مسمة النهري
فنهض اليها وانح على اهدب . ولكن لما تم فتح البلاد حتى حوالي سنة ٦٥٢^(١) .
وانغذت الكوفة وهي مقر جند عاصنة الاقصر الخليفة في الشرق وبعد عدد
سنة عمر الملوقة من حب السطة وراهد فتمنى داره على شكل القصر المنكي في
المدائن ونقل الى الكوفة ابواب المدائن ومنه فعل مشيدو المدن الاخرى الجديدة في
الشرق العربي من بعد يوم نصرهم وشعرت بآفة من المخاز في ذلك الحضرة
الناقة وتأسس دوعهم الخبيثة . وحطت الكوفة فوجد الجند واخيت منازل لا يراه
الخارجيين واهلهم وكانوا قد نوه اول الامر كانت متكررة من القصب ثم من
غصون الى طودوا بنظر دور من دس وقصب معسكرهم وصبغ مدنة خمرية . هكذا
كانت البصرة خطا في قلعة ارميه مدنة بعد مدنة الى بلاد حتى كسبت ما
الكوفة من شئت في كيف اعيد السبسية والمتكررة في الشرق العربي حتى قام
او حمر المتصور الخبيثة العباسي فقام مدنة مدنة . زور . بنو العباس الشهيرة في
البلاد شرقا وغربا .

وبقيت مدنة حتى تم لمرو واختفت هو ومن معه واهل حراسان فوي الى
كوح ملحد حيث خلقه فبوه وقبوه سنة ٦٥١ و ٦٥٢ تم رموا به في نهر وداعى
مدح "مدوة العربية" التي بيوت مركز الالية والتصلح هو في عشر فرس واهلهم
ها قلعة مدنة ثمانية قرون الى اليوم .

قد قضى المسلمون اول الامر نحو عشرة اعوام في حرب الفرس فبوه في هذه
فيها الا فتح حزبي غير مضمون لذلك الحيلوس العربية فسمى من مدفوعة الاعجم
ونفائهم في المدفع عن حيلتهم اصعد ما فاسته في فتح الشام . وقد اشترك في هذه
الحملة زهاء ٣٥ - ٤٠ الف من العرب وفيهم المسلمون والحدث والرفيق . وانصر في مدفوعة
الفرس راجع الى ان الفرس ينتمون الى الجنس الآري لا الجنس العربي . وقد كانت طبة

(١) راجع للاعوي ص ١٩٣ - ٢١٢ : ٢٥٤١ pp. vol. vii, pp. ٢٥١٠-٢٥١١ vol. viii, pp. ٢٥١٠-٢٥١١

عهود متطاولة من الاستقلال والوحدة القومية مع عنك ما تسلموا به من جيش منظم وما حازوه من حرية على الحرب وخبرة بالقياس . وقد سبق لهم ان صاروا الروم مراعاة عنيفاً استغرق اكثر من اربع مئة سنة ، ولكن الفرس غلبوا آخر الأمر واحتلت اللغة العربية في القرون الثلاثة التي حكم العرب فيها البلاد مقاماً سامياً فأصبحت لسان المتأدين ووسيلة لانتشار الثقافة بل صارت اللغة المحكية عند العوام الى درجة محدودة . غير ان الروح القومية المذبذبة لم تمت بل نسي لها الشور يوم اعتنقت الامة من اغلاظ . واستعانت الامة بالقوة فحيت مانعي اللغة الوطنية والادب القديم . والفرس في طبيعة الغامر التي دفعت بحركة القرامطة الى الامناء وسهلت لهم سبل التبع بالخلافة والتمر على سلامة الدولة الاسلامية العربية . كذلك كان للفرس اثر بين في ظهور الشيعة وفيه الدولة الفاطمية التي نمت الحكم في مصر مدة تزيد على القرون . وحسبك ان الفن الفارسي والادب الفارسي والفلسفة الفارسية لم تمت بل حصص لتأثيرها العرب تحت استطاع الفرس فيما بعد ان يستولوا على الفاتحين بهذا السلاح المكنوي . ولا عجب ان اذا رأيت مراً من رجال الفرس يطلعون في سماء العلوم الاسلامية العربية كواكب تميز القرون الاسلامية الثلاثة الاولى وهم من الاعاصير الداخمين في حضرة الدين الجديد .

وبعد الجيوش العربية لتوغل شرق بقيادة سعد كانت جموع اخرى تتقدم غرباً بقيادة عمرو ابن العاص وهم الى حضرة الدولة الاسلامية الناشئة سكان وادي النيل والبربر من ابناء افرقية شمالية .

ان هذا النوع العربي المنقطع النظير . والذي كان في الظاهر دينياً وفي الواقع هو سياسي واقتصادي قد بلغ من النمو بحيث أصبح امبراطورية مترامية الاطراف كامبراطورية الاسكندر . وكان مثل الخليفة في ندبة مركز هذا النوع مثل رجل وكل اليه ان يضبط سبلاً متدفقاً اخذت تزايد زوافه ونسكته مبعه بحيث نادر عليه يوزعهم او التحكم في مجاريه .

الفصل الرابع عشر

الاستيلاء على مصر وطر البس و بركة

طلعت نفوس العرب في شفق إلى مصر منذ أوائل عصر الفتح وقد تمت
نظرهم إليها أمور جمة . منها موقعها الجغرافي الخطير الذي نطش منه على الشام
والبحر . وحسب ترتيبهم الذي جعلها امراة القسطنطينية . وكوبها المدخل الى سائر
الساحل الاقريقي الشمالي . وكانت الاسكندرية يومئذ عاصمة وقاعدة القوة البحرية
البيزنطية .

ووقع فتح مصر في ايام الحلات النشطة ولم يكن من باب مجرد الغاية والغزو .
وكان مشاء ان عمرو ابن العاص واد مسارة زعيمه خالد ابن الوليد في تدوين الامصار
فسيب فرصة قدومه عمرو الى بيت المقدس واستأذنه في السير الى مصر فقل له عمرو
« سر واد مستخير الله في مسيرك وانيك كذا في سر » . وكان عمرو قد دخل
مصر في الجاهلية لتجارة وعرف مدب وطرفه ورأى كبره ما فيها ^(١) . ورجع عمرو
الى الخطاب الى المدينة وشاوره على وسواه فتخبروا على المسلمين وكرهوا ذلك فكتب
الى عمرو ان يصرف عن مصر عن معه فذلك « الكذب عمرا » وهو لا يقض الحدود
القسطنطينية المصرية فظن ان هو حد كذاب وقدمه لا يجد فيه الانصراف وكان
عمرو حين امره بالسير ووجدته بالكذبة اليه قال « من اتركك كذاي امرك فيه
بالانصراف عن مصر قبل ان تدعني او شيا من ارضي فاصرف وان انت دخلتها
قبل ان ياتي كذاي فمض لوجهه واستعلن بالله واستصره » ^(٢) . وسار عمرو دون

١٩ ابن عبد الحكم ص ٤٣

٢٠ البطوني ج ٢ ص ١٦٨ - ١٦٩ ابن عبد الحكم ص ٤٤

فرض الكتاب حتى زل العرش (كانون الأول ٦٣٩) .

كان عمرو قريباً في الخامسة والأربعين من عمره قوي الشكيمة فصيحاً طليق اللسان شديد الدهاء وكان قد سبق له أن فتح ما كان من فلسطين غربي الأردن . وفي الزمان بين علي ومعوية اتفق عمرو بمعية وأخيه في الفتح بالخلافة فسي أحد الدهاة الأربعة في الإسلام ^(١) . أما الطريق التي سلكها مع فرسانه الأربعة آلاف فهي تلك التي سار عليها إبراهيم وقنبر والإسكندر والضيوحوس والمثناة المقدسة ونابليون وجنرالهم . وهي الطريق الدولية في العدة القديمة الموصلة بين أهم مراكز حضارة .

والول موضع حصين بسده العرب فيه يوم هو المرمدة (سوسيو) مدخل مصر الشرقية حيث اندثرت القريش في قتل شديد نحو شهر وفي أوسط كانون الثاني سنة ٦٤٠ ^(٢) سقطت القلعة في يد عمرو فعمل العرب في حصارها التي لم تكن قد استسلمت منذ الاحتلال الفارسي الأخير (٦١٦ م) ثم أتى عمرو بنيس (أو بنيس) إلى الشمال الشرقي من القاهرة وسواها من مزارع وادي النيل فقدمت له بأسيرها . وأخيراً حاصرت حصن نابليون ^(٣) وقد مر بارزاً جزيرة الروسة في النيل كأنه سد في وجه الغزاة . ومعهما حذائق مصر النفوس ^(٤) مسدود البرود في إدارة حكومة البلاد منذ استرجاعها من أيدي الفرس عام ٦٣٩ ومعه راجس الجيش أوغدها بنيس نيودورس وشاكوه . وأخذ عمرو في عين شمس (هيووليس) بفرص الفرصة ويرقب الأعداء . وفي يوم طويل حتى ومسته نخبة الفيلة برأسها الزاير ابن الهوام أحد متقدمي الصحابة فسيح بجوار الجيش العربي نحو عشرة آلاف مقاتل

(١) ابن جرير . الأمانة في شرح نسخة الج ١ ص ١٩٠ ص ٣

(٢) هذا التاريخ وغيره من طبع مصر غير ثابت فلهذا ج ١ ص ٢٥٩٢ ذهب إلى أن تاريخ فتح

مصر هو ربيع الأول سنة ١٦٠٠ (بين سنة ٦٣٩ م) من أن عبد الحكم ص ٥٣ - ٥٤

(٣) A. G. Butler, *The Arab Conquest of Egypt* (Oxford, 1902,) pp. 215-7

(٤) يقول أخباريو العرب أن نفوس همدى بن رسول الله مصرية مدنية وحدها وأعد ولدت له لأولي إبراهيم . أما بقية النباهة وعمار الأنسب . ذلك أنه همدى أيضاً رسول قديماً كان من داخل من صنفها من الحيوان إلى الحمار . بن عبد الحكم ص ٥٨ - ٥٩

يقابلهم عشرون ألفاً من الجند البيزنطي عدا حامية حصن القوفة من خمسة آلاف .
وفي القتال بين الفريقين في منتصف الطريق بين المعسكرين في تموز سنة ٦٥٠
تفرق جيش البيزنطيين وفر نيودورس إلى الاسكندرية واحتس القوفس في مبيون .
وصيق العرب الحصار على مبيون ولم تكن بأيديهم آلات بالحصار أو وسائل لتقديم
يهدمون القلعة بآلة ، فمما خاف القوفس على نفسه ومن معه سعى مبيون إلى رد
الغاصرين بالمال فمما بفتح وكث حواف عمرو إلى نفسه « انه ليس بيدي وبانكم
الا احدى ثلاث حصن لعل احدى في الاسلام فكمم الحصار وكان لكم في
وان ابيهم واعلمهم الجزية عن رواتهم يسعون ومما كان حصاره كما حصار القل
حتى يحكم الله وهو خير ما كان » (١) . وقد رجع القوفس إلى القلعة فمما
فيما يروى كيف راسوهم وقال : « رأيت قوم يوتون لرب في حصارهم من ابيدة
والمواع لرب اليه من الرفعة من لا حصار في الدنيا بعد ولا همة قد حوهم
على القرب والاكاه على ركبهم واميرهم كوحده منهم من عرف ربيعهم من وسبهم
ولا اليد فيهم من العبد . ولما حصرت القلعة لم يستطع عمهم منهم مخرج » (٢)
فرد اليهم القوفس ان ائتمروا بسلامة حصارهم واستعفى عن وهو في مبيون
يكون فيه صلاح له ولكم . فبعث عمرو عشرة من حصارهم عداوة من القلعة
وهو اسود فمما دخلوا على القوفس فمما عداوة فمما القوفس : « ائتمروا على هذا الاسود
وقدموا غيره لكمي » فمما حصار : « هذا الاسود سيء وحير ، ومفده عيب » (٣)
ومما عداوة ان القوفس ان ائتمروا بسلامة حصارهم فمما عداوة فمما القوفس : « ائتمروا على هذا الاسود
واقضب راجعاً إلى الاسكندرية برفع الشروط الصالح إلى الامير بطريرق عرقيل . ومما
ترض تلك الشروط الامير بطريرق فغضب على عمه وريبه بالخيانة وعده .

رابط العرب على حصن مبيون سعة شبر تمكنوا من رايه في مبيون من رايه

(١) ان عداكم من ٦٥

(٢) حصاره وامفحة لرب

(٣) عداكم من ٦٥

بعض الخندق . ثم اتى ببناء قصع عليه حتى اوفى على الحصن وهو مجرد سيفه
فكبر وكبر السفون ونبحوه ففتح الحصن غنوة في السادس من نيسان سنة ٦٤١^(١) .
وبعد انت تم عمرو فتح الجانب الشرقي من ارض الدلتا اخذت قبضته
الخليدية تشد على رأس الدلتا وسقطت قبيوس (تكبو وهي شبر اليوم) في ١٣ ايار
ولا سقوطها معركة دموية . اما الاسكندرية وهي يومئذ ابدع مدب الأرض
واقواهن بعد القسطنطينية لم تكن قد سقطت بعد .

وكان عمر ابن الخطاب قد اشفق مما اخبر به عن عمرو وقلة من معه من الجند
فايسل الامداد حتى سقطت قوات العرب في مصر نحو ٣٠ الف وتمكن عمرو من
الزحف على الاسكندرية فما لبث ان وصل في ظهره وسرح طرفه فيها يحيط بها من
اسوار منيعه ومروج عذقت السم . ووقفت تحرس مدينة مصر الأولى . وفي الجانب
الواحد من المدينة انتصب عمود السواري^(٢) القائم على آثار السرايوم الذي كان
هيكلا لاله سرايوم ودله على نحو حراسة الاسكندرية الشهيرة . وبرزت في
الجانب الآخر كنيسة تحرف بالقبصارية^(٣) عند العرب وهي كاتدرائية القديس مرقس ،
وامثالها بعد شيده كنييسة طرة اكرام . يوليوس قيصر واكمل بيته اوغسطس . والى
الغرب ارممت المئذنة البيضاء من غرابيت اسوار الاحمر والمسويين الى كليوباترة
اخضا والصحيح ان بابهم الخمس الثالث (نحو ١٤٥٠ في .) . ولقد نقلت
احدها الى بلاد الاسكندرية وهي اليوم على رصيف الناس في الدلت والآخرى الى
مدينة بيورث حيث سقطت في احدى حدائق العمومية . وفي طرف الميناء الداخل
في البحر ارمعت مدرة الاسكندرية (القديس) شائعة في السماء وفي اعلاها مראה
عظيمة من روح الاحجار الشافة انقي شعاع على البحر نهرا . ويمكن مرئب لوقود
الشار طوال الليل تهدي به السفن عن بعد . وهي تعد بحق من عجائب الدنيا

١١ . تاريخي ص ٢١٣ : ابن عبد الحكم ص ٦١ ومايلي .

(٢) القديس . نواظف . (بولاق) ص ٣٠٠ ومايلي .

١٣ . ابن عبد الحكم ص ٢١٠ ومايلي .

السبع^(١) . ولعل دهشة هؤلاء العرب القادمين من الجزيرة حين وقفوا امام الاسكندرية
 لم تكن أقل من دهشة المهاجر القادم الى مدينة نيويورك اليوم عندما تقع عيناه على
 حيويتها وما فيها من نشاطات السحاب .

وكان في الاسكندرية حامية بلغ عددها ٥٠ الف مقاتل . يتجدها الاسطول
 الميزانطي القوي وقاعدته في ميناء سم كان العرب أقل عدداً وعدة وليس هم سفن
 ولا آلات حصار او سبل مباشر يكفل لهم وصول المدد السريع .

وقد وصف لنا محمد الخوي وهو مؤرخ معاصر صيف حملة العرب اول مرة
 اسم غزوات العدو التي كانت تطردها واللاً من الخندرة من فوق اسوار المدينة^(٢) .
 وحلف عمرو بالاسكندرية عدداً من اصحابه ومن مفرقه الى باسيونست ومنها جرد
 بعض الحملات على مصر العقب . ثم مات هرقل (سنة ٦٤١) وحلفه ابنه
 قسطنطين الثاني (٦٤٢ - ٦٨٠) وهو حدث السن فرضي عن انقوص وانغذه الى
 الاسكندرية فقام بها بسور الى الصبح . وكان انقوص بطبع الى ادارة شؤون البلاد
 تحت رعاية القسطنطين فوقع في ٨ تشرين الثاني سنة ٦٤١ معاهدة بحوز اسميتها بمعاهدة
 الاسكندرية وقيل ان اسمها مصر صراحة ففرصة فخرين على كل رجل وخراج
 بم شجرة الارض والبرق . وتعهد أن لا يعود سفن الروم الى ساحل مصر ولا جعل
 اسطولهم على استرجاع البلاد . ولم يلازم الروم عن المدينة في ١ ايلول سنة ٦٤٢ .
 ولم يجرؤ الامبراطور قسطنطين وهو حدث ضعيف الحسب على ابرهة فاقر المعاهدة
 التي اشترت عن انقل مقدمته من افضل تشيكات الامبراطورية الى ايدي العرب .
 وكتب عمرو ابن العاص الى عمر ابن الخطاب يقول :

ان بعد في فتح مدينة لا اصف ما فيها غير اني احصت فيها اربعة آلاف
 مية اربعة آلاف حماء واربعين الف يهودي عبيد الجزية واربعمئة ملبى

١ انكريري ، ج ٣ ص ١١٣ - ١١٤ . سيوطي ، حسن الخاضرة ، ج ١ ص ٤٣ - ٤٤ .

H. Zotenberg , Chronique de Jean , évêque de Nicosie , Texte éthiopien , (٢
 with fr. (Paris , 1881) p. 150

العلوك^(١) .

وكيف استقبل الخليفة عمر من حاكم يهود البصرة ؟ قال : « يا جارية هل من طعم ؟ » فثب بخبز وزيت فقال : كل . ثم قال : يا جارية هل من تمر ؟ فثبت تمر في طبق . وخرج إلى المسجد فمال المؤمنين : اثبت في الناس الصلاة الجمعة . فاجتمع الناس ثم صلى ودخل منزله واستقبل القبة فذهب يدهشوات ثم جلس^(٢) .

وذكر ابن عبد الحكم^(٣) (المتوفى ٢٥٧ / ٨٧١) وهو صاحب الفقه كتب مخطوط في فتح مصر أن العرب النبط في الاسكندرية لم يسموا قريش عمرو بن العاص إلى مصر كتب في القبط انه لا يكون قريش عمرو بن مسكويه قد انقطع وبنصره غلب عمرو . ويقال أن القبط من كانوا يسمونهم كانوا يسمونهم عمرو اعوان ، وما زالت تسمى . فقد التفت الجزء من كلمة المنكبين - كلمة الدولة - وعرفوا بالعمروين بن وهي الميزة الوطنية وكنيت لأول في الكيد والكر ، نسبة والتصنيف على اسماء . وكان عمرو قد انصرف من اوليه من هذا إلى حال القبط على ابطال نفس العادة القبطي ولومز إلى يقوفس أن عمرو لكلمة الوطنية قسرا إلى أخذ تعالي الوطنية مدهم وبيع رجل الكهنة من القبط ومن فيه يقوفس تمر الاستعداد والارهاب وتقدمه إلى بيع القبط لبيع الكلاب وعقبه عمرو لامة إلى عمرو الدين المسيحي .

وتحول عمرو من الاسكندرية قبل عمرو بن الحسن وأحمد عمرو في التوسع الذي صرحت فيه أخيه الجليل أول اسم التمسح وخطت اعلمته الحروفه بالتسقاط وكانت ذلك زولا عند رغبة عمرو أن الخطاب واسوة باخية في الكرم والبقرة والكوفة في العراق . وفي عمرو في التسقاط^(٤) مسجد وأحمد فيه التبر فكان أول مسجد

١ ابن عبد الحكم ٩٩ ومن Zotenberg , p. 161

٢ ابن عبد الحكم ٩١

٣ ص ٨ - ٩

٤ كلمة لائبة منها مكر

في مصر (٦٤١ - ٢) وهو لا يزال الى اليوم الا ان شكله الحاضر يشمل اضافات وزيادات عديدة . وبقي القسطنطين (مصر الحقيقية) عاصمة مصر الى ان بنى الفاطميون القاهرة سنة ٩٦٩ . واحضر عمرو القدة القرعوبة القديمة فسميت خليج امير المؤمنين ^(١) وهي قمر عين خمس وتخرج النيل شمالا من بابليون بالنهر الاحمر ^(٢) عند المنارة ^(٣) وكان ذلك السبيل الى ارض العرب من قبل المؤونة الى الحرمين . وكان الاميراطور ارمان قد حشد فتح القدة ولكنك فشلت بانقلاب على امر السنين وامانات رسلا وحشد .

وسحر عمرو القدة فشق القدة في منطقة الشبر وفصل وقدة الخليفة عمر (٦٤٤) كانت عمروون صبيحة قد وردت على اوراق العربية ^(٤) خدمة بعض ممتلكات مصر المصرية . وعرفت هذه سنة من مد بالخبيج الحكيم سنة الى الخليفة العباسي (المني ١٠٢١) وهي حبيج معروف حتى الاحمر حتى اواخر القرن التاسع عشر . حبيج حكم البلاد العرب في نظام الحكم العربي وقوا التقدم على قدمه وفي دولوا من قدم الادلة فيهم لوزة على لوزة دكر الامم اعدوه من امراة سموا بها دولة الحكومة المركزية في القدر . والحفظوا بشكل الحكومة المركزية عن العهد السابق في سياسة البلاد الاخرى كالسورية والعراق وفرنس . واشبهوا خطة من قبهم من ولاية مصر وسدحوا لاسهم حبرات البلاد واستلزموا وحسوا الارضين " بقرة حنوز " منذ على ذلك ما عثر عليه في مصر الخبرا من مدونات اوراق العربي . وكانت عبر ان الخطاب قبل وقده قد استفاد من بعضه محرو من صراة البلاد فوجى بحدته في سواد من في سرج على التعميد . ولما استخلف عثمان عزى عمر وولى ان في سرج وهو احوه لارضة على جميع البلاد المصرية .

١ - ابن عبد الحكم ص ١٦٢ - ١٦٣

٢ - ابن الجوزي ص ٢٩

٣ - ابن الجوزي ص ٢٩

٤ - البغدادي ص ٢

وانتهت الاسكندرية العهد سنة ٦٤٤ وخرج أهلها على الحكومة الجديدة واسترحبوا الامبراطور قسطنطين فبرسل ثلاثئة سفينة عليها منوبيل^(١) الخفي الارمني فاحتل برجاله الاسكندرية بعد أن ذبحوا حاميتها وهي ألف رجل واعدوها قساعدة بحرية ومركزاً للهجوم على القوة العربية في مصر . ولما حل اعيد عمرو للولاية لما له من معرفة بالحرب وهبة في العدو ففني العدو في جوار نفوس وقتل من جيشه عدداً كبيراً . وهكذا تم استيلاء النصارى للمرة الثانية على الاسكندرية في مطلع سنة ٦٤٦ فدمرت اسوار المدينة النبعة وغطت الاسكندرية في ايدي النصارى الى هذا الوقت .

مكتبة الاسكندرية

اما القصة التي نقول ان عمراً احرق مكتبة الاسكندرية بأمره من الخليفة واهمى بها حمامات المدينة مدة ستة اشهر فينكرها البحث العلمي . فقد احرق مكتبة البطلمية العظمى يوليوس قيصر حين غزا البلاد المصرية سنة ٤٨ ق. م. اب لا انصبة الصغرى ه التي نشأت من بعد فقد انفت بامر الامبراطور ثيودوسيوس حوالي سنة ٣٨٩ . واندثرت مكاتب الاسكندرية من بعد ذلك لم يك في الاسكندرية مكتبة عظمى يوم الفتح . زد على هذا ان احداً من الكتاب المعاصرين هذه الحوادث لم يشتم الخليفة او عامله باحراق مكتبة ما بالاسكندرية . ولا يعرف احداً روى هذه القصة قبل عبد القليل البخاري^(٢) المتوفى سنة ١٢٢٩/١٢٣١ ولما فهم الباحث الى اختلاف هذا النبا الذي اعتمد به المؤرخون لشأخرون وزادوا عليه^(٣) .

واراد عثمان بعد جلاء الروم ان يكون عمرو على الحرب وعبد الله ابن سعد ابن

(١) البلاذري ص ٢٢١

(٢) في الاقدلة والاعتبار ، نشره وترجمه (لاتفية) هوبت (اكسفورد ، ١٨٠٠) ص ١١٤
(٣) القسطنطيني ، تاريخ الحكماء ، نشر ليرت (ليون ، ١٩٠٣) ص ٣٥٥ - ٣٦٠ وايو الفرج ابن العبري ، تاريخ مختصر الدول ، نشر تصانفي (بيروت ، ١٨٩٠) ص ١٧٥ - ١٩٠ القسطنطيني ، المخطوط ج ٣ ص ١٢٩ - ١٣٠ ، وراجع - Decline, ed. Bury, vol. ١, pp. 452 - 461 ; Butler, pp 401 - 26

أبي سرج على الخراج فقال عمرو : « إن كانت البقرة غريباً وآخر غريباً »^(١)
فولى عثمان عبد الله على مصر .

وكان عبد الله إدارة أفضل منه مثلاً . على أنه ما كاد يلى مصر حتى بحث
المسلمين في حراند خيل قاموا من الغرب والجنوب وغنوا وأفلح هو في توسيع
نطاق عمله في تلك المنحيتين . ثم التفتة البحرية الكبرى التي أفلح فيها فهي أنه
أنشأ أول عمارة بحرية إسلامية ونظمت مائة شظية له ومعونة صاحب الشام اذذاك .
وغدت الاسكندرية بطبيعة الحال قاعدة للأسطول المصري . وكانت الحملات البحرية
سواء التي تولاهها عبد الله من مصر أو تلك التي انضمت معه من ساحل الشام
معونة على البيزنطيين . واستولى معاوية على قبرص سنة ٦٥٩ وهي قاعدة هامة
للعمارة البحرية البيزنطية كان اسمها يحضون بذايها من الشواطئ السورية . فاجل
للإسلام أول ظهر بحري وانضمت الى الدولة الإسلامية أول جزيرة . وفي السنة التالية
فتحت ارواد وهي قرية جداً من الساحل السوري . وسنة ٦٥٢ بدد عبد الله عمدة
بحرية قوية للروم في معركة جرت قبالة الاسكندرية . ومضت سنتان فبعث معاوية
جيشاً ابن أبي امية الأزدي فخرارودس^(٢) . وفي سنة ٦٥٥^(٣) التقى الاسطول
السوري المصري الذي جرده معاوية وعبد الله بأسطول بيزنطي مؤلف من ٥٠٠ مركب
فداوت الدائرة على الروم بالتقرب من فينكس اسم شواطئ ليبيا . وغلبت الروم
وقهر الامبراطور قسطنطين الثاني الذي حضر المعركة بنفسه وفر يطلب النجاة . هذه
معركة ذي الصواري^(٤) التي حل فيها القضاء البري على سيادة الروم البحرية . على
أن المسلمين لم يصلوا الى القسطنطينية ، وهي هدفهم الاسد ، لأن القلاقل الداخلية حالت
دون ذلك . وفي سنة ٦٦٨ أو ٦٦٩ سرت عمدة بحرية مؤلفة من مئتي سفينة من

(١) ابن عبد الحكم ص ١٧٨ : قابل البلاذري ص ٢٢٣

(٢) وهناك حلة أخرى جرت سنة ٥٢ / ٦٧٢ ذكرها البلاذري ص ٢٣٨ - ٦ .

(٣) قابل C.H. Becker , art. « Abd Allāh B. Sa'd » Encyclopaedia of Islam.

(٤) ابن عبد الحكم ص ١٨٩ - ١٩١

الإسلامية . ونعت المسلمون جنوباً إلى بلاد النوبة ليجاورها وهي تحاكي جزيرة العرب في مراعيها بل هي أكثر ملائمة من وادي النيل لطبيعة الحياة البدوية . وقد ورد في أيام الجاهلية الأولى كان بعض العرب يتسربون الحياة إلى مصر والسودان . سنة ٦٥٢ صالح عبدالله أهل النوبة ^(١) ولكن لم يلبث أن غلبت بذلك . وفي القرون التالية أخذت تهاجرة النوبة النهرية وعصمت دغسة بسكان خليط من المسلمين والزواج نصف جزراً يتم توغل الإسلام إلى جنوب القارة الأفريقية .

(١) البلاذري ص ٢٢٧ - ٢٢٨

الفصل الخامس عشر

إدارة الممتلكات الجديدة

كيف تدار تلك الأمصار الواسعة الناحية التي فتحها المسلمون لا وكيف يوفق بين الحكم غير مسلمة قوانين العرب والمادة ومقت لمجتمع عربي بدائي وبين حاجات خدمه حذر من حاله العدل والتعليل ليس تحت ظروف متباينة ذلك كانت لشدة مشكلة واحيت الاسلام والتفتين على امور الحكومة الفتية - واول من تعدى هذه المسألة الخطيرة كان الخليفة عمر عثت حتى مؤسس الحكومة لمدينة الدية - الجمهورية الاسلامية - التي لم تقدر لها عمر طويلا .

عمر عمر

وحمل عمر طبيعة الشريعة الإسلامية ولا يسمح بالتفاد في الجزيرة العربية غير الاسلام دة . وعمل هذه القاعدة الاساسية على جهود خير ^(١) سنة ١٥-١٥ / ٦٣٥ - ٦٤٠ م بين الامام بن عمر من عقود الامم السابقة ^(٢) فالتجأوا الى ارباب وسوانه . وكذلك على صدى عرب في الشام والعراق ^(٣) . والاساس الثاني هو ان تمت العرب الذين أصبحوا كالمسلمين ككتلة واحدة ويعمل منهم جمهورية عربية حربية يحافظ اعضاؤه على غروبهم العرقية وعدم اختلاطهم مع غيرهم بالزواج وهو منع من الاستقرارية العسكرية وبخلافه من لم يكن عربيا من حق الرجعية في هذه الجمهورية وتفيد هذا فرض على المسلمين العرب لا يتشكوا الاراضي الزراعية خارج الجزيرة العربية . أما في الجزيرة فقد تراءى على من يستسلم ارضا أن يؤدي العشر . ومن هنا يرى ان

(١) خير واحدة على حدة من قبل من ضمن من يريد شدة .

(٢) انظر مناقشاه العائلي من ٣٩١-٤٠٠ : أبو يوسف ، كتاب الخراج (مطبعة ١٣٢٦) من ٥٥-٥٦ .

حيث توجد المروعة في الشريعة من غير . (٣) بلاطوي من ٦٦ .

شهد وجاز أقرارهم فيها على التأييد وهي تسمى دار الصلح . ومتى سقطت الجزية عن الداخل في الإسلام حلت محلها الزكاة التي لا يجب على المسلم في مسأله حق سواها . وخلص العهد في دين الله سهم من النبي . والفتنة ونه حق في الرواتب والنكاح التي توزع في المسلمين .

والحقيقة ان الأخير نعزو الى عمر كثيراً مما أحدثه المسلمون التي خلقت عهده من آثار دعت اليها التجارب والأحوال الجديدة . وان ما جاء به انظمة الأول وعمل الامصار الأول في حدد الخراج والجزية واصول جديده وسياسة اموال الدولة لم تكن بالنسبة التطوير . فنقد انشئ الاسلام اساس الحكم وانظمة الادارة البيزنطية على ما كانت عليه في سورية ومصر ولم يفكر ارباب الامر في الامصار العربية ان يبدلوا اصول الحكومة الغنية . ولم يحد المسلمون الضرائب الا طبقاً لطبيعة البلاد ومقتضى الاموال الزمنية في العهد المنقضى سواء أكان بيزنطياً ام فارسياً . ولم يعتبروا في ذلك اذا كانت البلاد قد ذات فداً صعباً او اليه فتحوه عبوة ولا اعتدوا بتسريع قد أوجده عمر . ففرضية التي قسم المال الى الفروع صنعاً والمفروح خنوة لم تكن الا مديراً متأخراً احد باب القوم من بعد ولا اصل تاريخي لها . وكذلك شأن عمر بن الخطاب بين الجزية والخراج (ولمنظف لفظة خوريجية اليهودية) فاستبين ينبغي لم يكن معروف ايها الغلبة الزائد الثاني (٦٣٤ - ٤٤) . ولم ترد المظفشان في العصر الأول الا تعنى واحد مترادف اي العربية على التعميم . ولم يورد القرآن لفظة « حزية » الا في سورة التوبة الآية ٢٩ وذلك دون معنى شرعي معين . اب لفظة « خراج » فقد وردت في القرآن مرة واحدة ايضاً (سورة المؤمنين الآية ٧٥) بمعنى الاجر . والظاهر ان الشروط الاصلية التي عقدت مع الامم المنقلبة ادركها النسيان في الزمن الذي أخذ فيه المؤرخون تدوين هذه الاخبار ففسروها على ضوء الاحوال والتطورات المتأخرة .

اما وجوه الاختلاف بين الجزية والخراج فه تعين حتى اواخر العصر الأموي .

واشتراط الخدمة الخراج اوقت مضروبة الاجل يقبل فيها الدواب والتبع وغير ذلك وهو يؤخذ بالقيمة ولا يؤخذ في الخراج مينة ولا حيز ولا بحر . اما الجزية فتؤخذ دفعة واحدة وهي علامة الذلة وجزاء على الامان . والغالب ان يؤخذ من كل فرد من الاغنياء اربعة دنانير ^(١) جزية ومن افراد الطبقة الوسطى ديناران ومن الفقراء دينار واحد . ولقد كلفت الشعوب المغنوبة فوق ذلك بصرايب أخرى لاعانة جند المسلمين . وما تحب الجزية الا على الرجل الصالح العفان . فمن توضع على امرأة او صبي ولا محسوس ولا عمد ولا سبيل او سائل ولا راهب او شيخ او زمن الا اذا اسروا .

والاساس الثالث الذي استنه عمر بعد مشاورة معاوية من الصحة ^(٢) هو ان الغنيمة ^(٣) تشمل المال والاسرى وما وقع للمقاتلين وهي حق للمسلمين . اما الارض وما نهب من اهلها فليس غنيمة بل فية ^(٤) بحرف في مصابيح الحجة الاسلامية . وكذلك فان من يقوم بخراطة ما هو في من البلاد فليس له ان يؤدي خراجا لا يسقط بالاسلام . وكان كل ما اصابه المسلمون من موارد البلدان التي فتحوا يجب ان يوضع في بيت المال ويصرف في مصالح المسلمين كادارة الحكومة وشؤون الحرب بما فيها الخيش وما زاد على ذلك فدية بين المؤمنين . وامر عمر باحصاء الناس لكي يحسن توزيع ما يحدون فكان ذلك اول احصاء معروف بقصد منه ضبط ما يتفق في الامة من موارد الدولة . وبدأوا بقرابة النبي . الاقرب فالاقرب . وقرش عمر فدية التي عشر الف درهم ^(٥) . وهو اعظم ما قرش . ومن بعد اهل البيت . فاشترى دينار من دينارين . واما ما والى وكنة وكانت وحدة نقد قديمة في دول الاسلام وانما هو صنف باقية لا تكبر في دينة ورياء . وكان لما كان ياتوا في عشرة دراهم في عهد الخلفاء الراشدين ثم أصبح في عشر دراهم ثم بعد وراثة من ذلك في بعض احوال العصر عباسي .

(١) اني - مروج الذهب ١ ص ٢١٦

(٢) اني - مروج الذهب ١ ص ٢١٦

(٣) اني - مروج الذهب ١ ص ٢١٦

(٤) اني - مروج الذهب ١ ص ٢١٦

(٥) اني - مروج الذهب ١ ص ٢١٦

يأتي المهاجرون فلأنفسهم . وقد قدم عمر أهل البصرة منهم ففرض للواحد خمسة آلاف أو أربعة آلاف درهم ^(١) في السنة على المتوسط . ثم جعل من بقي من الناس بأحد أو فرض لهم على جهدهم وفرائضهم القرآن . ورأى بعض الخلفاء خمسة إلى ستة دراهم في السنة على الأقل . ولم يدع عمر أحدا من الناس إلا فرض له شيء حتى بقيت شقة من المال ولأولاد والموالي ^(٢) ففرض لهم ما بين سنتي درهم وستة دراهم في السنة ووضح أن عمر أخذ أصول تدوين الديوان . الذي ضبط فيه دخل الدولة وخرجها وترتب أهل القضاء في مراتب . من أنظمة الخراج حسب الكيفية التي ^(٣) وعلى ما تليده خطة ديوان وهي غربية .

وكان دستور عمر عسكريا اشتراكيا قوامه العزومة . وكانت المؤمنين الأعجمي نوعه أعلى درجة من غير المؤمنين . لأن هذا الدستور لم يكن طبيعيا . فهو يقوم على مجاهدة الزمان . فخصبة عين الذي يلي الحكم من بعد عمر قد حصل لأبناء الخربة بامتلاك الأراضي في الأمصار . ومضت السنين فذا سبيل المواشي العرب . فغير تلك الاستقلالية العربية التي تمت بأسرها في أوائل عهد المنصور .

الدين

وكان الجيش عبارة عن الأمة بكاملها في معرض الكفاح . ولأمر المؤمنين شؤونها هو الخليفة القيم في المدينة غرضه الحفاظ على معنوية وقواته . وفي أوائل العهد الإسلامي كان القائد ذا فتح مصرا لولي الخلافة والقضاء فيه . ونفذ في البلاط ^(٤) أن عمر ولى أبو البركات قضاة دمشق والبركات وولى عدة قضاة حمص وقنسرين . إذا فهو من استغنى القضاء في الأمصار ^(٥) .

(١) ابن سعد ج ٣ ص ١٠٣ - ١١١ : يورد من ١٠٠ - ١٢٠ : أبو يوسف ج ٢ ص ٢٤٤ - ٢٤٥ : الأوزي ص ١٠٠ - ١٠٩

(٢) ج ١ ص ١٠٩ وهو الأعجمي الداخل في الإسلام انتهى بولاء دمشق . عاتق مريضة . وكانت مكاتب الأجنبية ولى من مكاتب الشام العربي .

(٣) الأوزي ص ١١٩ . وقال في تاريخه من ٣٢٣ - ٣٢٤ .

(٤) ص ١٢٩ .

أما تقسيم الجيش إلى فرق خمس هي المقدمة والقلب واليمين واليسرة والمخافة
فهم عن المؤثرات البيضاوية والمساوية . وعند الوحدة من الجيش تسمى الجيش
لاحتوائها على خمس فرق . أما المرساة فهي حدة اليمين واليسرة . وقد جرى
تقسيم الجيش على تسع الموحدة الخمسة فشكل فبيننا نواته وهو قطعة من نسج
ترفع على رمح بحمته أحد الأبطال . وكان شعار النبي العقاب وسلاح المشاة القوس
والسيف والمقاليع وأحياناً القوس والسيف . والسيف يحمل في عنقه ويستخدم في الكف
اليمين . أما الخربة فقد أعده العرب عن الأعداء . وأظهر سلاح الفارس العربي
الرمح وهو قامة طويلة من الخيزران في رأسها حربة ويسمى الرمح في الأدب العربي
بالمخاضية نسبة إلى الخط وهو سلاح لبحرين حيث كان الخيزران نمو فريد قبل
استحلاله إليه من بعد . وكان الرمح والقوس والمخاضية قوائم السلاح القومي وخبر
السيوف كانت صمم أشد في عهد حتى صارت نقطة هندي مرادفة لسيف . أما
الدفع فعنده المذراع والقرص . وعند الحربي عند العرب أحف منه عند البيزنطيين^(١)
كان نظام القتال عند العرب سادساً بدأ في صفوف متراصة متلاحمة . وأول
المنافسة بين أفراد من قوى رحى الطرفين وأندهم شكبة عظمون من مراكبهم
في الخرب واندعون العدو إلى قتال . وكان الخرب العربي يمشد مقدساً فوق
رأس حصنه الفارسي أو البيضاوي فصلاً عن حصنه من القمام . ثم سكن الخدمة
أهل لأعمال والخراب عند أنه وحسب بل أوجر الذين دخلاً . على أن عضمة الجيش
العربي . مما على قوة السلاح أو جودة التنظيم . كانت ثمة القوة المتوجة بالروحانية
التي كان الأندلس والذين قد عززها في عهد . ووليدة الصبر والتأثير الذين تمنحها
البداية لأندلس وسبغة سرعة حركته لمحبة التي عيها تعرب بالأكثر اعتمادهم
على الأهل مراكوب^(٢)

١١ إلى موضوع لمدة وسلاح غير رجمة . عيون لأصراع ١ ص ١٢٨-١٢٩ .

١٢ راجع لغاية بين الجيش العربي والجيش البيزنطي في : Charles Oman, A History of the

Art of War in the Middle Ages, 2nd ed. (London, 1921) Vol. 1, pp. 208 seq.

حقيقة المربية العربية

وفتح العرب الهلال الخصيب وبلاد الفرس ومصر فستولوا على مواطن حضارية هامة ومصدر كانت أقدم مراكز الحضارة في العالم بأسره. فورث ابناء الصحراء تلك الثقافات القديمة التي ترجع تراثها إلى عصور اليونان والرومان والآشوريين والبابليين. ولم يكن لأولئك العرب القدماء من الجزيرة علم أو أدب أو نظام ينقلونه إلى الأمم النشوبة بل كان همهم أن يقتسوا كل ذلك عندهم. ولم يقف اقتباسهم عند حد ضيق بل ابتدوا رغبة شديدة وقوية فافقه لأحد المعارف تدفعهم اليها عوامل الشوق إلى الاطلاع والتغلب بالاستكشاف. فالتفت أن تحوت قواهم الكامنة إلى قوى هائلة فاطبقوا تحوية أحوالهم من أبناء البلدان المفتوحة إلى استئثار ذلك التراث الفكري اللغوي والتحر فيه وسوقه إلى مجرى تراثي عقليتهم. هي المدن والزهر وصيرين ودمشق والقدس والاسكندرية مهدوا لهذا راحة من بدائع الهندسين والمهندسين والصناعة والعمارة وما وقفوا بمقدورها. قد غلبوا فغلبوا غلبوا ثم غلبوا حصارها العريقة وحصلوا بدورها حضارة الأمم غلبت التي غلبوها وظلوا لهذا كيف يستطيع الغلوب أن يصحح غلبا.

وإذا فهدم المدنية التي مدعوها المدنية العربية لا سكن عربية في أصولها أو أركانها ولا نجسة أروابها. وإذا كان أثر العرب فيها مقتصر على اللغة والدين. ولم تزدهر دول الإسلام حتى قام السورجون والفرس والعبريون وغيرهم سواء من أصل منهم ومن نفي على عرابيته أو يهوديته طويلا تلك الخلف يتقدمون صفوف الأمة حاميين مشعل النور والعرفان. شأن اليونان من قبلهم إذ غلبهم الرومان. فمدنية العربية الإسلامية إذا قامت على أسس المدنية الآرامية الفينيقية والندبة الإيرانية وتدرجت في معارج الترقى تحت لواء الخلافة وعبرت عن غمها واسطة اللسان العربي. وباعتبار آخر فهذه المدنية العربية الإسلامية هي نكبة مدنية السمة العريقة التي زهت في الهلال الخصيب. ابتدعها ورعها الآشوريون والبابليون والفينيقيون والآراميون

والعربيون ثم اتهم عليهم العرب فهي مثل الندوة القصوى التي طفتها مدينة
البحر المتوسط القائمة في غرب آسيا.

الهدوء الخلفاء الراشدين

لقد كان الفتح العربي الذي دفع اليه أو بكر قد بلغ ذروته في أيام عمر ثم
انت خلافة علي فبدأت حركة التوسع لأن الفلاقل الداخلية اقتضت عنها . ولم
يتفرض الجيل الأول على وفاة الرسول حتى امتدت دولة الاسلام من جيحون الى
اقصى طرابلس الغرب . فهذه الخلافة العربية الاسلامية التي لم يكن لها في سده
امر شيء من الحول أصبحت الآن اعظم قوة في العالم .

وعاش أبو بكر (٦٣٢ - ٦٣٤) محصن الجزيرة وأشر علم اسلام فيه عبثه
الساحة والتشرف وكان منزله الوضيع بالسج مع زوجته حبة وهو يقدو كل يوم
الى المدينة عاصمته . ولم يتفاض راساً ما لأن دولة الاسلام كانت آتية بلا دخل^(١)
وقد فرغ أبو بكر شؤون الامة فكان يجلس لها في الساحة من مسجد النبي وقد
كانت صفاته العالية وإيمانه التي لا يزعزع يصوره النبي محمد الذي يكبره ثلاث
سنوات عاملاً جعله من اقرب الشخصيات في فجر الاسلام الى القلوب واحبها
واكبه قلب الصديق^(٢) . وكان من حيث الخلق اكثر حرماً وعزاً مما
ذكرت الاخبار عنه وقد ذكروا عن هيئته انه كانت خفيف النية خفيف اللحم
ايضاً الشرة وكان يغضب حينه بالحداء والكتم وإذا منى الخنى^(٣)

واستحلف عمر (٦٣٤ - ٦٤٤) بعد أبي بكر فكان رجلاً جدياً شيطاً وكان
مثال البساطة والاقتصاد ومن صفته انه كان طويلاً اصم^(٤) شديد الامة وما اقطع

١ : ابن سعد ج ٢ ص ١٣١ - ١٣٢ . ابن كثير . سعد خالته في معرفة معاوية
(القاهرة ١٢٨٦) ج ٣ ص ٢١٩

٢ : الطبري الصديق في ابن سعد ج ٣ ص ١٢٠ - ١٢١ .

٣ : بطوني ج ٢ ص ١٥٧

٤ : الصديق في ابن سعد ج ٣ ص ١٢٠

اذ ولي الخلافة عن الكذب بالتحجارة بل اغتشى بها زماناً وهو يتفق على نفسه من
صلب ماله وما يعش عشق رداءه او ترفيل آخر ان يمشي مثل أي رجل من قريش
او شيع من مشيخ البدو . والواقع ان عمر رفعته التقاليد الاسلاميه الى أعلى مرتبة
بعد النبي ورأى فيه الكذب السلوك عنون البرع والعدل والباطة في الشيوخ
فصنوه نموذجاً لفضيلة التي يمدح بالخليفة ان يزدان بها حتى أصبحت سيرته مثلاً
تحتذيه كل خليفة ذي ضمير حي . وقد زعموا أنه لما يكن أمير الأقباط خلق
وازار قنطري مرقوع رقعة من أدبه ^(١) . وكان يناد على سموف النخل ولا هم له
الا الدفاع عن شعار الدين واقامة العدل واعلاء شأن الاسلام ونامين مصالح العرب .
وقد حفل الأدب العربي بما يبرز سيرة عمر من الأخبار . فقد روى ابن عمر جلد
ابنه حذاً على الشرب والخلاعة فثبت تحت حده ^(٢) . وروى ابنه ان رجلاً تقي
عمر فقال له : يا امير المؤمنين اطلق معي ففسري على فلان فنه قد ظفني ، قبل
فرقع عمر الدرة (السوط) فخلق بها رأسه وقال : ندعون امير المؤمنين وهو معرض
لحكم حتى اذا فعل في امر من امور المسلمين يشوه : أعدني ! أعدني ! ففسرف
الرجل وهو يتدمر . ثم نده عمر على ما فعل ففعل الرجل اليه وسأله ان يضربه
كما ضربه هو . فأتى الرجل وفسرف الحقيقة حتى دخل منزله ففعل ركعتين وقال
يتاجي نفسه : « يا ابن الخطاب كنت وضيعاً فرفعك الله وكنت ضالاً فهداك الله
وكنت ذليلاً فاعزك الله ثم حنك على رقبك الناس فهداك رجل يستعبدك فضرته .
ما تقول لربك غدا اذا اجتهذا » ^(٣)

ان عمر هذا الذي جعل هجرة النبي بدء التشريع الاسلامي وقوم على فتح
الفتوح في الارضين وهدون الميول وكذب الناس على قبائلهم وفرض لهم الاعطية
ونظم حكومة الدولة قد لاقى حنقه في ابن مسعود وقومه . فقلت انه بعد كانت

(١) ان سميح ٣ ف ١ ص ٢٢٧ - ٢٢٨ .

(٢) تقيديكري ١ ف ١ ص ١٢٠ - ١٢١ .

ص ١٢٠ - ١٢١ .

(٣) ابن الاثير ١ ص ٢٢٧ - ٢٢٨ .

وسلمه الخليفة الاول . فقام اليه بمشقص (يصل عريص) حتى وجده في رأسه (١) .
 وقتلوه فكان اول خليفة فكت به ابد مسة وذلك في ١٧ حزيران سنة ٦٥٦ .
 وهكذا قاتل عصر الحكم الجمهوري الذي تركت الرعاية فيه في مدينة النبي علي
 اساس مشيخي طافح بذكرات الرسول وروعة هيته وعميق اثره في النفوس قد
 انتهى الآن بحرب اهية في سين الخلافة لولا بين علي وشاحة بالزبير ثم بين علي
 وشامع جديد هو معوية زعيم البيت الاموي - هذا البيت الذي كان منه عثمان ،
 الخليفة المتوكل .

الفصل السادس عشر

النزاع بين علي ومعاوية على الخلافة

المقدمة التمهيدية

كان أبو بكر من أول الخوارج محمد ومن أمهات الصحابة مولاه له وقد أقر المؤمنين في الخلافة الله فرض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في ٨ حزيران سنة ٦٣٨ شكل من الأساليب التي فيها من خصائص جديدة من الزعماء قسم زعماء الأمر وحمل مسؤوليات رسول وحققه في وظائفه الخمسة الأولى بحسب النبوة حيث هذه قد انتهت بموت النبي وهو حياء لا يزال.

أما لقب خليفة رسول الله الذي عرف به أبو بكر فإنه لم يسمه الله. وقد وردت لفظة خليفة في القرآن في آيتين (القرة : ٢٨ و ٢٥ : ٢٥) ولا يظهر فيها فيها أي معنى مصطلح ولاية دالة على أن نقطة انطلاق علي من أبي محمد.

وعين أبو بكر غير خلافة من بعده وعبر حتى المرشحين هذا فادعي غير خليفة خليفة رسول الله ورأى القوم هذه التسمية مولاه وحقاً (١). ويرى أن الخليفة الراشد الثاني (٦٣٤ - ٦٤٤) كان الأول من دعي أمير المؤمنين «مختبر» الأمير الأعلى لجيوش المسلمين. ويقال أن عمر الشافعي وهو محسن انتخاب من سنة اعتمد : علي ابن أبي طالب وعثمان ابن عفان والزبير بن العوام وطلحة ابن عبد الله وسعد ابن أبي وقاص وعبد الرحمن ابن عوف (٢). وأمرهم لا ينعقد الخلافة

(١) ابن سعد ج ٣ ص ١ من ٢٠٢

(٢) المختصر ج ٣ ص ١ من ٢٠٤ وما يلي.

من بعده لابنه . وفي تأليف هذا المجلس الذي يسمى الشورى وهو يضم أقدم الصحابة سناً وأولاهم قدراً ما يدل على أن فكرة الرعامة القبلية القديمة عند العرب تقلبت على فكرة الملكية الوراثية .

وجاءت بيعة عثمان (٦٤٤) الخليفة الراشد الثالث هزواً على علي فذا هي نتيجة لأثر التقدم في الفن . وكان عثمان زعيم الأرستقراطية الأموية أما سلفه فمن زعماء المهاجرين ولم يحاول أحد من هؤلاء الثلاثة إقرار الملك في اعتقابه .

وبعد مقتل عثمان ^(١) خرج نعلي ابن أبي طالب بالمدينة في مسجد النبي لأربعة وعشرين من حزيران سنة ٦٥٦ واعترف بحلافته كل العالم الإسلامي . وهو ابن عم الرسول وزوج فاطمة أحب إليه وولده الحسن والحسين اللذين لا يمكن لحمد في قريته من ذكر الأهل . وعلي ثاني من آمن بمحمد أو تائبهم وقد كان طبيب النفس ودوداً نقيباً شجعاناً . وكان حزب علي يقول بأن الأمامة ثابت بالنص والعين ^(٢) واحتجوا بأن الله ورسوله أبداً علياً للخلافة دون سواه فهو الخليفة الشرعي من البدء واعترفوا على الثلاثة قلة - أي نكر وعمر وعثمان - وأنهم وهم بأنهم سلوا عدواً حقه المشروع .

مؤلف علي

وأول مشكلة أثير بها علي هي التخلص من منافسيه طلحة والزبير ^(٣) زعيمي الحرب السكي وكان لكل منها جبهة من الأجانب في الحجاز والعراق رفضوا أن يعترفوا بولاية علي . وانضمت عشيرة أم المؤمنين إلى مقاومي علي وكانت قد واطأت الثأرين على عثمان وه هي اليوم ثمان . الخاضعين على علي في البصرة . وكان النبي قد تزوج منها وهي صغيرة السن جداً ^(٤) لا تزال تلهو طبعها التي جاءت بها

(١) التاريخ . الباب ١٢٨٦ . ج ٤ ص ٥٩ وما إلى

(٢) الشهرستاني ص ٩٥

(٣) كانت أم الزبير أختاً لوالد الرسول

(٤) في التاسعة أو العاشرة من عمرها على قول من هنام . نسخة ١٠٠٩

من بيت أبي بكر . وكانت مراحل البغض لحي تقلي في صدر عائشة للحادثة التي جرت لها يوم تخلفت عن ركاب النبي فقد ارتاب علي في سلوكها وتزل الوحي ببرائتها (سورة النور ١١ - ٢١) ونسبها لم نرى ذلك لعل .

واطلق علي بقمع الفتنة فضرب علي ايدي موقدتها بخوار البصرة في ٩ كانون الاول سنة ٦٥٦ . وتعرف هذه المعركة بيوم الجمل لان عائشة التي ثاب الثأرون خوف . كانت راكبة جملاً وقد صرع في هذا اليوم متفصدا علي على الخلافة طامحة والزبير . وكان من سبل علي ان اشهر الخزع والأسف عليها ودفنها في احتفال مهيب ^(١) وحي . بمائة أسيرة فحسن علي اليها وعملها تمنى الاحترام الذي يليق بتكافئها باعتبارها أم المؤمنين واثن لها في الرجوع الى المدينة . وهذا انتهت اول معركة من المعارك التي حارب فيها اسم أخاه السيد علي . أباه لكن الا وئمة الحروب الأهلية في سبيل مائة الخلافة في العالم الاسلامي ، هذه الحروب التي كانت تغير الاسلام من حين الى آخر ونكاد نهر كياه .

واستتب الأمر علي في الظاهر فحمل الكوفة عاصمة واستهل ولايته بعزل أمراء الأمصار الذين استعصب عنهم فاستعاض عنهم بغيرهم ممن تابعوه . وتربص معاوية ابن أبي سفيان وهو أمير الشام منذ زمن عمر لم يبيع علي . ثم انشق قتل عثمان وعلي ومعاوية بدمه الخبيثة الشهيد . واخرج معاوية قبض عثمان الموت بالدم وامسح زوجته نائلة التي قطعت يمين القات صرعة السيف عنه ^(٢) واستطاع معاوية بحنكته وسياسته وقوة يده ان يؤثر في قلوب أهل الشام ويحسمهم على النفقة على علي . واحجم هو بدورهم عن تقديم المساعدة لعل بل انه اوقع عليا في حيرة كبرى حين ارسل اليه مثل هذا الكلام : سم قنعة عثمان حليفة رسول الذي باعته الأمة او لا فإنك تتركهم في الحرم ولا حق لك في الخلافة . ولم تنطو هذه الخصومة على عداا شخصي فحسب بل تجاوزته الى المتحاربين بين بيتين من قريش وإلى تناقض

١ . ولقد كانت قرية ان جاب قد اريد شريف اسمه ن كاه .

٢ . مطري ص ١٢٥ ، ١٢٦

بين الكوفة ودمشق أو قال العراق والشام في أيهما يتصدر في الشؤون الإسلامية .
 أما المدينة فقد عافى علي بعد انتصاره ببيع له سنة ٦٥٦ ولم يرجع إليها وكانت قد
 فقدت سيادتها ما قضى به التوسع وانفتحت من انتقال مركز البصرة إلى الشمال .
 وانتهى الجيشان بصفتين في الشمال من اوراق على ضفة الفرات الغربية : علي علي
 اهل العراق وهم نحو خمسين ألف مقاتل ومعدونة على اهل الشام ^(١) . وميرت
 مناوشات ولم يكن لأي الفريقين رغبة شديدة في معركة حاسمة . ففضى الأسبوعين
 وهم يكفون عن الحرب ثم يعودون إليها . إلى أن كان السادس والعشرون من ثور
 سنة ٦٥٧ فزحف اهل العراق بغيرهم مائة الف لقتال اهل الشام عن مراكبهم .
 وظهرت امرات الفجر وشار عمرو بن الحمص - وهو من هو حيلة ودهاء - على
 معاوية برفع المصاحف على الرماح علامة على التروك عند حكم الله لا عند حكم
 السيوف . فوقف اهل الشام على سلامة ملوكهم - بفكرة معدونة في التحكيم
 وقبل هذا لولاه اكثر اسعته من اتفاق اهل الشام - فقاموا على
 بالتحكيم شرما أن يزال التفرقة عند حكم الله وكأنه ^(٢) على ما في ذلك
 من الامم .

حقاً ان عدواً لم يكن راضياً عن انتخاب ابي موسى الأشعري . لما عنه في مؤتمر
 التحكيم لأن الأشعري على ما اشار به من العلوي كان قوياً في ولايته بالحرب
 العلوي . لا معدونة فقد انتدب عمرو بن الحمص - الذي سمي ذاهية العرب ^(٣) -
 ممثلاً . وجاء الحكمين كل يحمل صحيفة نحوه حق المدعوة ورافقه اربعة مئة شاهد
 وعقد الحكمين مؤتمراً عسباً في الفرج - وكانت الفرج محطاً للقوافل بين المدينة
 ودمشق وهي في منتصف المسافة بين مدينتي البصرة والفرج - وكان ذلك في كانون الثاني
 من سنة ٦٥٩ .

(١) ابن عسكرح ١ ص ١٢

(٢) انظر من وثيقة تحكيم لالهيدوري ص ٢٠٦ - ٩

(٣) السويدي ج ٢ ص ٣٩١

أما حقيقة ما دار في هذا المؤثر التاريخي فيصعب استجلاؤها وتضطرب المصادر العربية المختلفة في أمرها ^(١) . والتصرف أن الحكمين قد اتفقا على خلق الزعيمين وجعل الأمر شورى بين اثنين ليختاروا لأنفسهم من أحبوا فتقدم أبو موسى وهو الأكبر الاثنين ثم قطع علياً ومعدية معاً . أما عمرو فخلع زميله وثبت معدية عند أن خلق علياً . إلا أن أصل الأب لأمس ^(٢) النقدية ومعدية من تحت فطوس ^(٣) يدل على أن هذه الرواية التي تظهر قبول المدرسة العراقية التي تنسب إليها كثرة المصادر الموجودة وهي قد وجدت في العصر الأموي عصر العداء بين أمية . والزاحج أن ما نتج عن مسحات مؤثر الفرج هو أن الحكمين جمع علياً ومعدية . وبذلك وقعت التطريد على علي لأن معدية لم تكن غيبته بل اسيراً على ولاية لا غير . وفي عهد السوية بين علي ومعدية كمرشحين للخلافة في مؤثر الفرج رقم الذي وخط من شأن لأول . فكان علي مدعياً له مدافع الخلافة كإمامه ليس إلا . وهكذا فقد كانت النتيجة من هذا المؤثر أن خسر علي منصب الخلافة الذي كان فيه جالساً بحسب معدية سوى حقه في الخلافة . هذا الحق الذي لم يكن قد أعدم علاقه مدع علي بمعدية . من خلافه إلا مدعاً الفدح بين علي والحكمين الفرج وذلك في عهد الدولة العباسية (تحت القدر) سنة ٦٦١ .

والخطأ الموضح الذي ارتكبه علي سوية مدعاً للحكمين حراً عنه الشر لوجوده حتى من أعوانه الذين خرجت عليه فئة منهم عرفوا بالخوارج ^(٤) والصحابة الذين عدلوا عنه عليه . ويشهد الخوارج أن علياً حطاً في الحكمين إذ حكما برحمة . وهكذا فله .

١٦١١ في التاريخ ج ١ ص ٣٣١ - ٣٦٠ : في المؤثر ج ١ ص ٢٩٢ - ٣١٠ : في الفرج ج ٢ ص ٢٥٠ - ٢٦٢ : في التاريخ ج ١ ص ١٩٦ - ٢٠٠ .

(١) *Codes sur le regne du calife Omarou ben Abdou el-Mekroum* (1907) ch. vii. (٢) *Das Arabische Reich und sein Sturz* (Berlin, 1902) ch. ii. (٣) *The Arab Kingdom and its Fall*, Dr. Margaret G. Weir (Calcutta, 1925) . ch. ii.

(٤) ويسمون أيضاً الخوارج سنة في حروب ، (حروب في بؤوت ، مدني ج ٢ ص ٢٤٦)

ومن هنا كان نداؤهم حين خرجوا عليه « لا حكم الا لله »^(١) وساروا الى العراق وهم اربعة آلاف^(٢) عليهم عبدالله بن وهب الزاسي فضر بهم علي في معكرهم على ضفة النهر وانزل العقاب بهم حتى كاد يبيدهم . الا انهم ما لبثوا ان هبوا ثانية بعد هذا الانكسر وانزلوا اهل السلطة وعرفوا باسماء متعددة ونزلوا شوكة في جانب الخلافة الى ايام العباسيين .

وفي اوائل كانون الثاني سنة ٦٦١ بينما كان علي في طريقه من داره بالكوفة الى المسجد فيها اعترضه خروحي اسمه عبد الرحمن ابن منجم وضربه بسيف مسموم على أم رأسه فقتله . وكان ابن ملجم قد علق امرأة فاقعة الجمال تدعى فطام كان انوف واسوها قد قتل يوم النهران فصابت من ابن ملجم شرطاً لتزوجها منه فقتل علي ابن ابي طالب . وقد ذهبت بعض الآخر الى ان ابن ملجم كان واحداً من ثلاثة حوارج اجتمعوا بالسكبة ونواعدوا علي ان يكفوا الجماعة الاسلامية نثر الثلاثة : علي ومعدوية وعمرو بن العاص^(٣) في يوم واحد . وهو غير انه برؤية منه واقعة تاريخية . وصار مدفن^(٤) علي في النجف مشهداً من اعظم مراكز الحج في الاسلام . وسرعان ما اصبح الطلبة الرابع ونياً رفيع القدر عند الشيعة بل هو عندهم ولي الله كما كان محمد نبي الله ورسوله . وهكذا اكسب الموت علياً ما لم يكن له اياه الحية . وهو وان اعوز له مزاج الزعامة والسياسة من بقية وتبصر وحزم وحيلة فانه مثل اعلی خلق اعرفي الكرم بما عرف عنه من الساسة في الحرب والحكمة والمصاحبة وحفظ اليهود والعفر عند المقدرة . ومن هنا وضعت التعانيد الاسلامية علياً في اعلی مقامات الشرف والقنوة والقروسية وصيرته « سيد » الآداب العربية بما حاكت

(١) نصري ص ١٢٠

(٢) انما عشر الف في شهر ساني ص ٤٦

(٣) قابل الدينوري ص ٢٢٦

١ : انؤكد اخبار الشيعة ان هذا لندن اخير استأجر لارادة بني قبل وفاته ففقد امر ان تحمل جثته على جبل ولا ادعى الا في المكان الذي يحتو به الجبل . وقد اخفى هذا الخبر في ايام بني امية وبعد ايامهم الى ان عثر عليه مدحة الخليفة هارون الرشيد سنة ٢٩١ . انظر اقدم وصف مفصل لغيره في ابن حوقل ، السالك والمالك .

نصر على عوده (لندن ١٨٧٢) ص ١٦٣

حول اسمه من الأشعار والأمثال والحكم وأنواعه وجوامع الكلم . وكان علي اسمه اللون اذ عرج العينين اصلع ايضاً الرأس قلاً حبه صدره عظيم البدن ليس بالطويل ولا بالقصير ^(١) . وقد دُعي سيفه الذي امتشقته النبي في وقعة بدر الشهيرة بذي الغفار (اي قصه فقرات الظهور) وهو خالد في بيت من الشعر تراه على كثير من السيوف العربية التي اقتناها الحضور اوسى :

لا سيف الا ذو الفقار (.) ولا فتى الا علي

وان حركة الفتوة وما يرافقها من رموز ومراسم تدل على ما جاءت به الفروسية الاوربية في العصور الوسطى وما اندمج في نظم الكشافة اليوم قد جعلت علياً نموذجاً الاسمي . وقد انقل الشيعون على اعتبار علي بهاس الحكمة والشجاعة فوصفته فرقاً من اثنين واهل التصوف موضع الجلال النفسي وتحويلته مثلاً عالياً لها وذهب النابغة من الشيعة الى انه طهر منزله عن الخطأ بل حبه غلاتهم بحلى الله في البشر . ان علياً الذي اُمدح في ميدان السياسة الدنيوية قد رفع الموت قدره وامنه مركزاً لا ينافسه فيه الا الرسول . وان مواكب الطنج الذين يتساقطون الى مشهد علي في النجف الاشرف والى مشهد الحسين شهيد الشيعة الاعظم في كربلاء وما يتدبرونه من حالات الأسى والتفجع كل سنة حين تنشر في العالَم من محرم راية الحزن في اعداء هذه الشيعة وما في ذكرى مقتل الحسين المؤثر من المأساة والغمة - كل هذه الامور ثبت ان الموت قد يسلّم لغيره ان يكون ولياً او مسيحاً اكثر من الحياة .

عصر المماليك

وبمقتل علي (٦٦١) انقضى عصر الخلافة الاول الذي تجوز سمته بالجمهوري . وقد بدأ ولاية ابي بكر (٦٣٢) وعرف الخلفاء الارسة فيه عند مؤرخي العرب بالخلفاء الراشدين . ثم اعتلى عرش الخلافة معاوية مؤسس الخلافة الثانية وهو الداهية

وفي تشرين الثاني سنة ١٩٢٢ أعلن المجلس الوطني الكبير بانقره الجمهورية التركية
وتخلى الخليفة السلطان محمد السادس^(١) وعصب عبد المجيد خليفة بعد انت تزع
السلطة عنه . وفي آذار من سنة ١٩٢٤ أُنقِى الترك الخلافة أخيراً .

الأمراء مناصب سياسي

بحسب بعض خطط ان الخلافة هي مقام ديني تشابه بيعة عن صاحب السريعة.
وبحسب هؤلاء . رئاسة الامبراطورية البيزنطية لتقديمه داهين عن ان التميز في دول
القسارية بين دائري السلطة الزمنية والسيطة الروحية هو امر مستحدث . فالخليفة
باعتباره امير المؤمنين كانت وظيفته الخيرية لا تروى . واما باعتباره اميراً فانه
كان يستطيع ان يقوم بوظائفه الدينية فيصلي في المصلى وتلقي خطبة الجمعة ولكن
هذا الحق نفسه هو مشى ونحوه لأهل المسلمين فليس مبرسته . فالزعامة من بعد
النبي اما كانت زعامة سياسية لأن زعامة النبي الدينية كما سبق هي زعامة جاءت
عن طريق الزعامة لا غير وقد انتهت الزعامة فباعتبار الزعامة أيضاً وما كان
لأحد ان يحلها في زعامة الدينية كما انه لا يمكن لأحد ان يحلها في رسالته . ان
صلة الخليفة بالمدين لم تخرج عن حدد اعباء عليه فالخليفة هو حامي الدين بالمعنى
الزكوى بعد موتك اوروبا يمرض عليه فق اهل الزرع والاخذ والمزوقين ومحاربة
البدع وتوسيع حدود دار الاسلام . وكان يستند في تنفيذ هذه الامور الى سلطته الزمنية^(٢) .
وان الرجوع الى ما وصفه عبد الشرح الدين عرش كتهمة في مكة والمدنة
وسواها من المدن البعيدة عن مجرى الخواجات في عوالم الاسلام كدمشق وبغداد
والقاهرة شأن ضروري مناصب الخلافة والاميرانية التي مصل . فانوردي^(٣) (المتوفى
١٠٥٨) في الاحكام السلطانية - وهي رسالة في السياسات - ذكر مناصب مثله العليا

١- كان اسمه الأصلي وحيد الدين . مات عبد الحميد في ١٩١٨

٢- راجع : Thomas W. Arnold, The Caliphate (Oxford, 1924) pp. 9-11

٣- من ١٠٥٠ - ١٠٦٠

— وابن خلدون ^(١) (المتوفى ١٤٠٦) في مقدمته الشهيرة وسواهما من الكتاب
التأخرين جعلوا شروط الخلافة : أن يكون الخليفة من قریش ذكراً بالغاً سليم
الجسم والعقل شجاعاً نشيطاً وإن يحوز غير ذلك من الصفات اللازمة لحياة بيضة
الاسلام واكتساب طاعة الناس بدعوتهم الى الدخول في بيعته والانقياد لطاعته .
أما الشيعة فأنهم يرفعون قدر الامامة ويقولون من شأن الخلافة : بهم الذين شاعروا
علياً وقالوا بامامته وخلافته واعتقدوا ان الامامة لا تخرج عن اولاده . وليست الامامة
في رأيهم قضية تناط باختيار العامة بل هي قضية دينية والرسول اقام علياً خليفة
له بموجب النص والتعيين وانتقلت ولايته من بعده الى اولاده الذين قدر الله لهم
الامامة الكبرى ^(٢) . ولقد جعل أهل السنة واجبات الخليفة كما يلي : حفظ
الدين وحماية دار الاسلام (وبالأخص الحرمين الشريفين أي مكة والمدينة) وحماة
من عائد الاسلام بعد الدعوة وتقليد الاسكفاء اعمال الدولة وحماية التي . والصدقات
وتقدير العطايا وما يستحق في بيت المال وتنفيذ الاحكام وقطع الخصام حتى تعم
النصفة فلا يتعدى ظالم ولا يضعف مظلوم ^(٣) . اما حقوق الخليفة فمنها ان يخطب
باسمه ويدعى له في صلاة الجمعة وإن تضرب النقود باسمه وله ان يلبس برقة النبي في
احتفالات الدولة الرسمية وإن يقوم بحراسة القنائر النبوية ^(٤) من عصا النبي وخاتمه
ونعله وما اشبه .

أما التسمية التي تجعل الخليفة شيعياً بالبابا عند المسيحيين له ما لهذا من
السلطة الروحية على أبناء حظيرته في أنحاء العالم فلم تلاق رواجاً حتى أواخر القرن
الثامن عشر . ولقد اذاع هذه التسمية الخاطئة لأول مرة مؤلف ارميني كان يقيم

(١) المقدمة ص ١٦٦

(٢) التبرستاني ص ١٠٨ - ١٠٩ ابن خلدون ، المقدمة ص ١٦٥ - ١٦٦

(٣) الماوردي ص ٢٣ - ٢٤ السلي ، محمد خليفة أهل السنة ، ص ٢٢٠ (لندن ، ١٨٥٣) ص ٢٨ - ٢٩

(٤) قام سلاطين آل عثمان وهم آخر خلفاء الاسلام بصون القنائر النبوية التي أتى بها السلطان سليم سنة
١٥١٧ الى القسطنطينية عند مرجعه من فتح مصر . ولا تزال هذه الآثار محفوظة في قبة خاصة من المرايا
وهي تعد شارة تينة من شارات الخلافة .

في القسطنطينية يدعى ده سون واودعها كتابه (صورة عامة للسلطنة العثمانية) ^(١) .
ورأى عبد الحميد بدعائه ان تلك فكرة تقوي مكانته تجاه الدول الاوربية التي
كانت قد اقتطعت اقساماً كبيرة من جسم مملكته واستحوذت على السواد الاعظم
من مسلمي آسية وافريقية فجمعها . ثم ظهرت حركة مبهمة يرجع اصلها الى اواخر القرن
الثالث اراد اربابها السعي الى جمع شمل المسلمين وتنظيم صفوفهم تحت راية الجاسة
الاسلامية وهم انما يقصدون بذلك مقاومة دول الغرب . ولقد كانت تركيا مركزاً
لهذه الحركة التي غالى اصحابها في اعلاء ما للخلافة من مزايا عامة شاملة .

Talbeau général de l'empire ottoman, (Paris, 1788) vol. i, pp. 213 seq. (١)

انتهى طبع هذا الكتاب على مطابع

دار الرشيد

للمطبوعات والنشر والطباعة والنشر

بيروت - لبنان

في ٩ محرم سنة ١٣٩٩ الموافق ٣١ تشرين الأول ١٩٧٩

